

حياة المشير

محمد عبد الحكيم عامر

مع ألبوم الصور الخاصة

رشاد كامل

دار الخيال

حياة المشير
الناشر: دار الخيال
الغلاف: محمد الصباغ
الطبعة الأولى

حياة المشير
محمد عبد الحكيم عامر

حياة المشير محمد عبدالحكيم عامر
الطبعة: الأولى يناير ٢٠٠٢
رقم الإيداع: ٢٠٠١/٧٤٥٢
الترقيم الدولى: 2 - 25- 5979 - 977
دار الخيّال : ٠١٢٣٢٩٠٦١٨

دار الخيّال

تصميم الغلاف: محمد الصباغ
جرافيك: محمد كامل مطاوع
خطوط الغلاف: لمعى فهيم
المشرف على الإنتاج: عماد حمدى
طبع الغلاف: القطان للمطبوعات الفنية
المهندسين ت/ ٣٤٧٩١٦٣
كمبيوتر: دار جهاد ـ ت : ٧٩٦٤٧٨٣
طبع بمطابع دار قباء للطباعة
ت : ٦٣٦٢٥٦٢ - ٦٣٧٤٠٣٨

حياة المشير محمد عبد الحكيم عامر

رشاد كامل

مطبوعات دار الخيال

اللواء ● صلاح سالم يكشف سر ترقية عبدالحكيم عامر ● ترقية عبدالحكيم لم تكن الترقية الاستثنائية الوحيدة فى تاريخ الجيوش العالمية ● عبدالناصر وراء تعيين عامر قائداً للجيش لتعضيد جبهته فى الصراع على السلطة ● معركة صامتة داخل مجلس قيادة الثورة ● رأى حافظ إسماعيل فى شخصية عبدالحكيم عامر من خلال عمله معه كمدير لمكتبه: «خلال سبعة أعوام ونصف.. عملت مع عبدالحكيم عامر مديراً لمكتبه، ومع أن عامر لم يكن عبقريا إلا أن ذكاءه وحسمه كانا محل إعجابى به كما كان «عامر» إنسانا قبل كل شيء، عاطفيا إلى حد بعيد، كان دائما على سجيته ، لا يشعر الإنسان معه بفارق سن أو بفارق رتبة، لا يصعب اللقاء به أو الحديث إليه ● صلاح نصر: لم يكن عبدالحكيم منافقا ولا مداهنا، بل على العكس كان يتعامل مع عبدالناصر معاملة الند للند، وقد أدى هذا إلى مشكلات كبيرة استغلها بعض المحيطين بعبدالناصر لتقويض هذه الصداقة.

● علاقة بين الرئيس والمشير أقوى من الصداقة ● عبدالحكيم كان مختلفا ● حلمى سلام: لم يكن عبدالحكيم حذراً كعبدالناصر، ولا فواراً كصلاح سالم، ولا غامضا كزكريا محيى الدين، ولا ماكراً كالسادات ● وفاء عبدالحكيم لعبدالناصر ● تنظيم عبدالناصر داخل الكلية الحربية ● خلاف المشير والرئيس حول إدارة حرب ١٩٥٦ ● المشير يرى عدم تعريض البلاد لدمار شامل وأن القوات المسلحة ليست فى وضع استعداد لمواجهة غزو كبير ● عبدالناصر يكن الكره لـ «صلاح سلام» ويظن أنه هو الذى يحث عبدالحكيم عامر على فكرة تجنب ويلات الحرب ● عبدالناصر يتجنى على عبدالحكيم وأنه عزله عن القيادة العسكرية وأنه لا يضعه فى الصورة عما يجرى من أمور الحرب ● رأى صلاح نصر: عبدالناصر كان موجوداً منذ البداية فى القيادة العامة وهو الذى ابتعد عن القيادة بعد أن تبين خطورة الموقف ● عبدالناصر يسافر إلى القناة دون أن يخبر عبدالحكيم وقد عاد هذا بأثر سيىء على علاقتهما ● أول استقالة لـ عبدالحكيم عامر بعد الثورة كانت بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ولكن عبدالناصر لم يقبلها ● أزمات ما بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا ● أزمة داخل مجلس الرئاسة بسبب تعيين الرتب الكبير تعقبها استقالة جديدة للمشير ● عبدالناصر يعاود الاقتراب من عامر «عندما سمع من زملائه أعضاء المجلس الباقين أنهم يقترحون سفره إلى يوغسلافيا» ● المشير عامر يقول لـ سيد مرعي: «هل يجرؤ إنسان فى مصر أن يعترض على قرار يصدره جمال عبدالناصر؟» ● مصطفى أمين ينسب أقوالاً للمشير عامر مؤداها أنه يرفض تعيين أية امرأة فى الوزارة ● المشير عامر يحل مشاكل عثمان أحمد عثمان فى بناء السد ● رسالة غاضبة من كمال الدين حسين إلى عبدالناصر يعقبها تحديد إقامته ● رسائل متبادلة بين المشير عامر وكمال الدين حسين حول أساليب الثورة فى الحكم.



حياة المشير

هذا الكتاب يحوى بين أوراقه الحياة الشخصية والعامة للمشير محمد عبدالحكيم عامر مكتوبة ومصورة ولكنها تمثل الجانب الآخر من الشخصية والأحداث والذي ظل محجوباً عمداً، ولعل سطور هذا الكتاب توضح النقلات القدرية فى حياة المشير ومماته أيضًا.. فلولا لقاء المصادفة مع زميل لما ترك كلية الزراعة ليلحق بآخر يوم للتقديم فى الكلية الحربية. ولولا لقاء المصادفة - أيضاً - مع الملازم جمال عبدالناصر في «باتانيا» بالقرب من الإسكندرية ما اقترنت حياة الرجلين حتى لقاء المحاكمة فى منزل الرئيس عبدالناصر بمنشية البكرى والذى كان مقدمة التخلص من المشير نهائياً.

ولعل الظلم البيّن فى حياة المشير أن فُرض عليه أن يؤدى أدواراً على مسرح الأحداث غير الشخصية الإنسانية التي فُطر عليها: "فقد كان عبدالحكيم عامر «صاحب شخصية بسيطة، ودودة، مرحة، يقبل على الآخرين وعلى الحياة نفسها، بقلب مفتوح وبعقل مفتوح، فلا حيطة ولا حذر ولا ارتياب فى شخص، وكانت مشكلته الحقيقية مع نفسه أنه يعتقد أن الناس

جميعهم مثله! فلم يكن عبدالحكيم عامر حذراً كعبدالناصر، ولا فواراً كصلاح سالم ولا غامضاً كزكريا محيى الدين، ولا ماكراً كالسادات".

وكان المشير عامر يقول عن نفسه : «أنا لا أفهم فى السياسة.. أنا افهم فقط ان الخط المستقيم هو اقصر مسافة بين نقطتين».

ورغم ذلك فُرض على «الضابط» محمد عبدالحكيم عامر أن يكون سياسياً فى الجيش؛ بمعنى أن يقوم بتأمين الجيش لصالح الثورة أو الرئيس ويمنع انقلاباً آخر يقوم به الجيش ضد المجموعة الحاكمة من ثوار يوليو؛ فلقد أصبح اللواء عبدالحكيم عامر وزيراً لداخلية الجيش يرتدى البذلة العسكرية وعليه تطبيق المبدأ الذى أخذت به الثورة وهو ان الأسبقية لاستراتيجية الأمن ومن أجل الأمن يمكن التضحية بكل شيء.

ولقد كانت المأساة الأكبر فى خاتمة حياة المشير، فلقد قُتل الرجل ثلاث مرات، مرة لأنه أعلى من قيمة الصداقة وأنه آثر علاقته بصديقه «الرئيس» على نفسه وما يحب.. ولقد قُتل مرة ثانية فى عملية «دنيئة» لا يزال يحمل وزرها بعض الأحياء، ولقد كان عظم الجرم فى أنه قد تم محو «الجثة» والادعاء كذباً بأنها قد دفنت فى قرية المشير «أسطال» !

ولقد قُتل المشير مرة ثالثة بأن تم الادعاء عليه بأنه قد انتحر، وتم تشويه سمعته الشخصية وتصويره بأنه الرجل المنفلت غير الملتزم المهزوم والذي جر الهزائم على الرئيس !

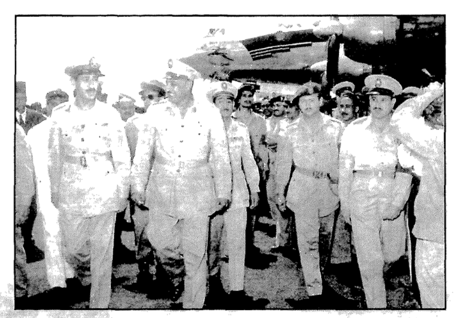
إن من الخجل أن يُلصق بالرجل ما أُلصق به.. ولكنها محنة النظام السياسى الذى ضحى يوماً بمؤسسته العسكرية وسمعتها وجهاز مخابراته وأبرز قادة النظام المدنيين والعسكريين من أجل الحفاظ على منصب رئيس الجمهورية. وتولت المهارة الإعلامية ترويج ذلك بشدة فى حينه، وظل ما صنعته الآلة الإعلامية المشوهة قائما إلى الآن.

ولعل هذا الكتاب يُنصف بعض الذين ظُلموا وأن يعلى من قيمة الحقيقة ولو جاءت على عكس ما ظننا أنه الحقيقة الأكيدة.

بقى أن نشكر أسرة الراحل المشير عبد الحكيم عامر على ما زودت به دار الخيال واختصتها بحقوق النشر من البومات الصور الخاصة بعائلة المشير، ونخص بالشكر الابن صلاح عامر والذى قدره أنه كان أصغر ابناء المشير وقت رحيله .

دار الخيال


محمد عبد الحكيم عامر فى أسوان سنة ١٩٥٠


القائد الأعلى جمال عبد الناصر والقائد العام عبد الحكيم عامر



اللواء محمد نجيب قبل التخلص منه فى أزمة مارس



فى أزمة مارس ١٩٥٤ وساطة عبد الحكيم عامر بين محمد نجيب وعبد الناصر

صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وسط البعثة العسكرية المصرية فى الخرطوم



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. داخل المطرانية



عبد الحكيم عامر وصلاح سالم فى ضيافة بطريرك الأقباط الأرثوذكس الأنبا يوثاب



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. فى دار هيئة التحرير



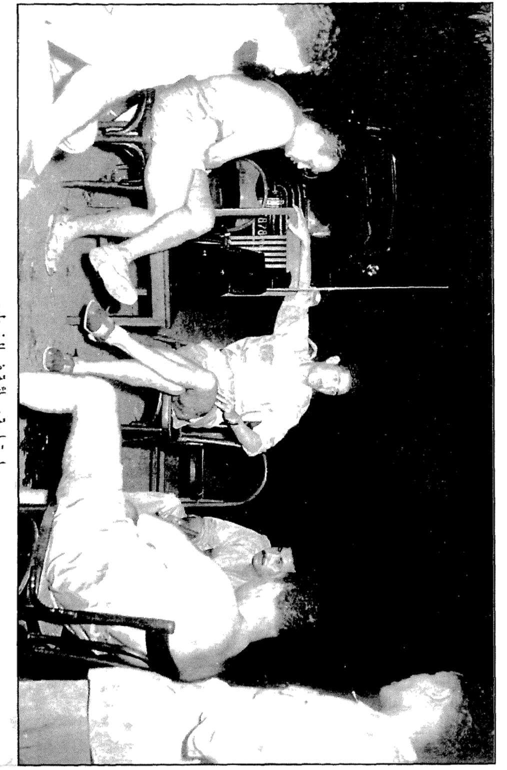
فى زيارة لهيئة التحرير فى محافظة المنيا .. فى أقصى اليمين
الشـيخ أحمد حسـن الباقـورى .. عبد الحكيم عـامـر يخطب



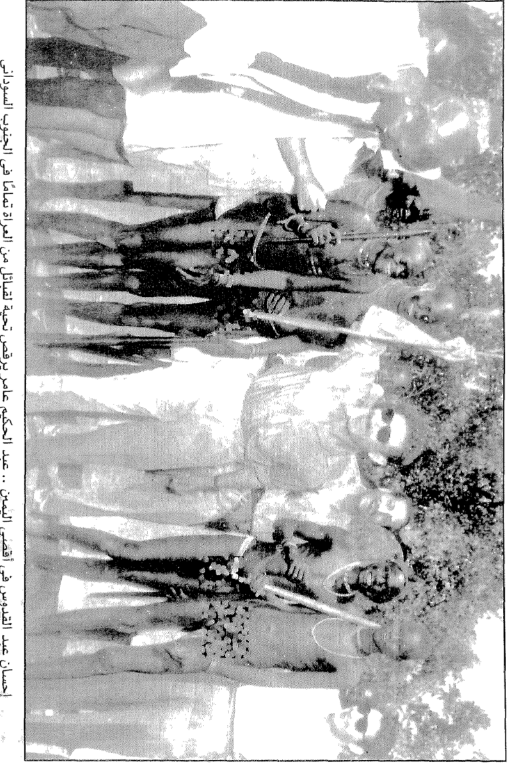
فيّ مكتب القائد العام.. وعلى الشمال مدير المكتب صلاح نصر



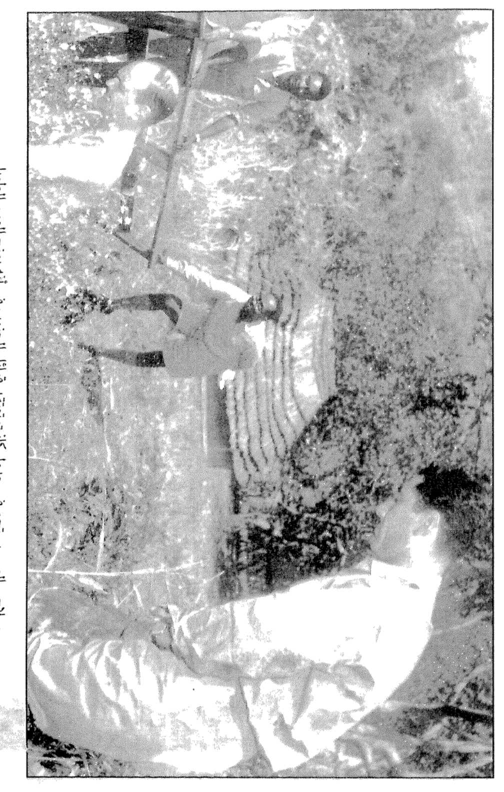
فى احدى القطع البحرية المصرية يتفقد المطبخ



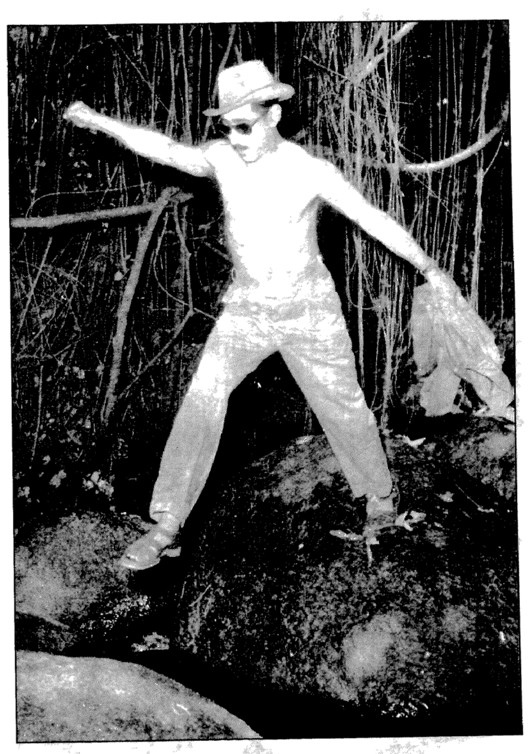
استراحة مسائية فى الخرطوم



إحسان عبد القدوس فى أقصى اليمين .. عبد الحكيم عامر يرقص تحية لقبائل من العراة تماماً فى الجنوب السودانى



صلاح سالم .. يستحم فى جدول كانت تعتقد قبائل الجنوب فى أنه يمنح العمر الطويل



عبد الحكيم عامر فى غابات الجنوب السودانى .. يغامر



لقاءات مع كل الفصائل السودانية من أجل الاحتفاظ بوحدة وادي النيل





.. واحتفظ السودان بحق تقرير المصير





في رحلة حج.. في اقصى اليمين علي شفيق ومحمود فوزي ثم المشير عامر



برغم الأزمات السياسية.. حفاوة سعودية بالمشير عامر



فى قاعدة الدخيلة الجوية سنة ١٩٥٦ .. عبدالناصر يتابع عرض جوى



إلى اليمين الفريق صدقى محمود .. والمشير يحاول أن يرى العرض



قائد البحرية الفريق سليمان عزت .. وقائد القوات الجوية الفريق صدقى محمود مع المشير والرئيس



أحمد بهاء الدين ، إحسان عبد القدوس ، أنور السادات ، عبد الحكيم عامر ، فى زيارة للملكة العربية السعودية



آثار فزع على وجه المشير أثناء هجمة على مرمى فريق الزمالك



السيد كمال الدين حسين والسيد عبد اللطيف البغدادي والمشير عامر أثناء المباراة



المشير عامر في زيارة لفرنسا بعد تحسن العلاقات عقب انتهاء أزمة العدوان الثلاثي



رئيس الوزراء الفرنسي چورج بومبيدو يصافح السفير المصري في فرنسا ثروت عكاشة



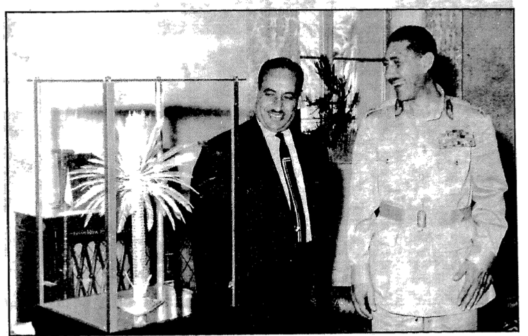
المشير عامر فى زيارة للأماكن المقدسة بالنجف بالعراق



المشير عامر يلتقى بزعماء الأكراد .. وفى أقصى اليسار
قاسم نعمان السعدى كبير المذيعين بالإذاعة العراقية



الرئيس العراقى عبد السلام عارف يستقبل المشير عبد الحكيم عامر ..
فى قصر الرئاسة ببغداد ، وفى أقصى اليسار السفير المصرى أمين هويدى



نخلة عراقية مهداة من الرئيس عبد السلام عارف للمشير عامر



حديث ضاحك بين الرئيس العراقى عبد السـلام عـارف والمشير عبد الحكيم عامر ..
قبل حادث الطائرة الذى راح ضحيته الرئيس العراقى



هدية من الوزير البعثى صالح مهدى عماش للمشير عامر فى وجود الرئيس عبد الرحمن عارف



عارف عبدالرازق الشخصية العراقية البارزة والمشير عامر والفريق صدقي محمود، والمشير عبدالرحمن عارف والفريق محمد فوزي

صداقة لها تاريخ !!

إنها واحدة من أغرب وأعقد وأندر «صداقات العمر»!

صداقة عمر ولدت عام ١٩٣٧ لتموت وتنتهي عام ١٩٦٧!

ثلاثون عاماً كاملة هي عمر هذه الصداقة النادرة بين المشير «عبدالحكيم عامر» والرئيس «جمال عبدالناصر»!

القدر والظروف والملابسات والصدفة التاريخية كانت تدخر كلاً منهما للآخر!!

كلاهما كان على موعد مع الآخر دون قصد أو سبق إصرار!

كلاهما جاء من صعيد مصر!

جمال مواليد يناير ١٩١٨، وحكيم مواليد ديسمبر ١٩٢٠.

جاء الأول من «بني مر» وجاء الثاني من «أسطال» وكلاهما اكتوى بنار الصعيد وورث تقاليده وعاداته وسماته وسلوكه!!

جاء «جمال عبدالناصر» من أسيوط، وجاء «عبدالحكيم عامر» من المنيا، لكن القاهرة هي التي شهدت اللقاء الأول وأيضاً الأخير!!

كان مكان اللقاء الأول «الكلية الحربية» في عام ١٩٣٧، لكن قبل الكلية الحربية كانت الأقدار ترتب وتدبر شيئاً آخر في غاية الغرابة، فقد التحق «جمال عبدالناصر»

بكلية الحقوق وظل بها لمدة ستة شهور ثم تركها ليلتحق بالكلية الحربية فى ١٧ مارس ١٩٣٧.

وبالصدفة أيضاً كان «عبدالحكيم عامر» قد التحق «بكلية الزراعة» ليظل بها ستة شهور ثم يتركها ليلتحق بالكلية الحربية فى أكتوبر ١٩٣٧، وهناك وعلى أرض الكلية الحربية كان كل منهما على موعد مع التاريخ!

وطوال فترة الدراسة فى الكلية الحربية كان «جمال» مسئولاً عن «عبدالحكيم»، وسرعان ما ولدت بينهما صداقة طالت وامتدت وتعمقت وتوثقت أواصرها بمرور الأيام والسنوات!.. وفى أيام الشباب كان «جمال» و«عبدالحكيم» يقتسمان الحلم واللقمة والضحكة والطموح والثورة!.. كانا معاً فى كل مكان، فى السودان، فى حرب فلسطين، فى إنشاء وتكوين الضباط الأحرار، فى القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ببساطة شديدة كان «جمال عبدالناصر» يسكن قلب «عبدالحكيم»، وكان «عبدالحكيم عامر» يسكن قلب عبدالناصر!

ومن العبارات ذات الدلالة المهمة ما كتبه ذات يوم «أحمد لطفى واكد» عضو الضباط الأحرار فقال:

«قبل أن التقى بعبدالحكيم عامر لأول مرة فى أوائل عام ١٩٥١ كان عبدالناصر قد حدثنى عنه بكثير من المحبة والثقة حتى تصورتهما «توأمين»، ولما عرفت عبدالحكيم اكتشفت أن ما بينهما من علاقة يتجاوز الالتقاء الفكرى والوطنى والسياسى إلى حب أخوى صوفى».

وكان «عبدالناصر» يقول: «إذا أردت أن أفكر فى أى موضوع أو أحل أية معضلة فإننى أتكلم بكل حرية مع عبدالحكيم إلى أن تتبلور أفكارى».

وفى غابة السياسة حيث تتشابك المصالح أو تتصادم يستحيل أن تدوم الصداقات.. لكن صداقة الرئيس والمشير تحدت هذه القاعدة!

الصداقة بين «عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» كانت تبدو شذوذاً على القاعدة، فهى قد ثبتت أمام أكثر من عاصفة كانت جديرة بأن تقتلعها من جذورها، وفى قمة الخلاف والصراعات التى نشبت بينهما ظلت الرابطة العاطفية بينهما تغالب الأمواج العاصفة حتى المشهد الأخير! وقد بلغ من عمق هذه الرابطة وثباتها أن البعض اعتبرها لغزاً يستحق التفسير.

كان على رأس هؤلاء الذين اعتبروا ما بين «عبدالناصر» و«عبدالحكيم» لغزاً يستحق التفسير هو الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» الذى يقول:

«فى تقديرى أن فك لغز شخصية جمال عبدالناصر الشديدة التميز والتفرد فى التاريخ المصرى، والعملاق الذى خرج من تراب مصر بعد قرون من الرقاد كفرعون جديد جبار، لا يمكن أن يتم فهمه إلا إذا أمكن فك لغز علاقته بثلاث شخصيات وصداقات كان لها أكبر الأثر فى حياته. علاقته بـ «عبدالحكيم عامر» الذى سلمه الجيش بكامله، وانشق عليه وصار نداً له دون أى ند منذ الستينيات، ومع ذلك ترك له كل هيلمانه وتأثيره فى أهم أحداث حكمه حتى النهاية المرة.

وعلاقته بـ «أنور السادات» الذى كان يبدو أنه يختلف عنه، فى كل شىء، ومع ذلك فقد اختاره لأن يكون خليفة له. ولست من أنصار النظرية أو النظريات التى تعتبر هذا من باب الملابسات غير المقصودة، ولكن أعتقد أنه كان اختياراً مدروساً ومقصوداً، رغم التشهير الذى لا مثيل له الذى قاده السادات بحنكة ومهارة وشراسة ضده بعد وفاته.

وعلاقته بـ «محمد حسنين هيكل» الصحفى الذى لم يكن من أقرب الناس إليه فى أول الثورة ولكنه صار بعد ذلك فى تقديرى أقرب الناس إليه على الإطلاق، فجعله شريكاً فى الحكم على أعلى مستوى».

وفيما بعد يذكر «عبدالمجيد فريد» أمين عام رئاسة الجمهورية: بأن علاقته ـ أى عبدالناصر ـ مع المشير عامر علاقة خاصة وتحتاج إلى دراسة، لأنه هو الوحيد الذى كان تتميز علاقته مع الرئيس بحاجة خاصة، وقال لى مرة الرئيس فى جلسة من الجلسات: «إحنا أصلاً صعايدة سوا، وطلعنا ضباط سوا.. وأخذنا شقة مع بعض فى القاهرة.. وهو اللى علمنى السجاير.. ورحنا سوا مع بعض «منقباد» فى وجه قبلى، وعبدالحكيم أنا الوحيد اللى أدخل بيته، وأدخل أسرته حتى لو ماكنش موجود.. والعكس عندى بييجى ويدخل عندى وعند أسرتى دون إذنى.. الوحيد».. فكانت علاقته مع عبدالحكيم علاقة خاصة جداً».

ويصف السيد «عباس رضوان» طبيعة علاقة الرئيس والمشير منذ بداية تعرفه عليهما فى عام ١٩٤٩ بأنها «صداقة ليس لها مثيل ووصلت إلى حد الوفاء النادر الذى لا يشكك فيه أحد بأى شكل من الأشكال، بل الذى يحاول أن يشكك فيه فهو الخاسر».

ويروى «عباس رضوان» واقعة مهمة يدلل بها على كلماته السابقة فيقول:

«حدث أمام الوزراء وأمام الجماهير فى مؤتمر شعبى عقد فى مدينة الإسماعيلية فى الستينيات، وكان عبدالناصر يجلس على المنصة، ومن حوله بعض الوزراء فيها، وجلس عبدالحكيم عامر فى الطرف الآخر وبينهما المنضدة التى سيخطب عليها عبدالناصر، وفجأة انقطع التيار الكهربى وخيم الظلام الدامس على المكان وقد استغرق ذلك حوالى دقيقتين أو ثلاث دقائق حيث تم التحويل إلى مولد كهربى آخر، ثم أضيئت الأنوار على منظر لا أنساه.. وجدنا «عبدالحكيم عامر» واقفاً بطوله أمام جمال عبدالناصر «الجالس على الكرسى بحيث أنه لو جاءت رصاصة لجمال عبدالناصر تصيبه هو...».

ويكمل «عباس رضوان» قائلاً:

«هذا المشهد أبكى الحاضرين.. الحرس الذى كان خلفه لم يتحرك، وتحرك عبدالحكيم عامر عشرة أمتار، ووقف أمام جمال عبدالناصر يحميه من أية رصاصة قد تأتى إليه فى الظلام.

ولا أستطيع أن أقول بعد هذا المثال أن هناك صداقة أمتن وأقوى وأعمق من ذلك. ولهذا قال لى «جمال عبدالناصر» أكثر من مرة:

«إن الوحيد الذى يمكن يتقبل عنى الرصاص هو عبدالحكيم عامر، الوحيد الذى يمكن أن يفدينى بروحه هو عبدالحكيم عامر».

فالعلاقة بين «عبدالناصر» و«عبدالحكيم» كانت علاقة أكثر من شقيقين، وكان من أصعب المصاعب أن يؤثر عليها أحد مهما كان ومهما حاول.. ولكن بمرور الوقت كانت هناك خلافات فى الرأى.. آراء متباينة.. من الجائز أن يختلف الفكر نفسه. سواء أكان فى تفاصيله أو فى مجمله وإذا وجد من ليس له غرض يستطيع أن يلمّ الشمل ويخفف من هذا الخلاف.. ولكن للأسف أستطيع أن أقول إن هناك أناساً حاولوا بقدر المستطاع أن يزيدوا من سعة هذه الفجوة حتى لو عادت الأمور لوضعها الطبيعى ويترقبوا وينتهزوا فرصة أى خلاف ليزيدوا من اتساعه إلى أن وصلت الأمور إلى ما حدث بين الصديقين».

❑

كانت قد مضت ١٥ سنة بالضبط على كارثة يونيو ١٩٦٧ عندما أدلى الفريق أول

متقاعد «صدقى محمود» قائد سلاح الطيران بحديث مهم لمجلة «الوادى» [أغسطس ١٩٨٢] وسئل عن الصراع بين المشير عامر والرئيس عبدالناصر!

وعلى صفحات «الوادى» قال «صدقى محمود» بالحرف الواحد:

«هذا الصراع لم ألمسه إطلاقاً رغم صلتى الشديدة بهما وبحكم العمل وبحكم الصداقة، ولكن حدث مرة أو مرتين خلاف بين عبدالناصر والمشير، وأراد المشير أن يستقيل ولكننى تدخلت ومنعته من تقديم استقالته.

وحتى آخر يوم لى فى الخدمة كنت أعتبر عبدالناصر والمشير «توأمين».

أذكر أنه فى حفل عقد قران حسين عبدالناصر شقيق الرئيس جمال عبدالناصر على ابنة المشير، كنت أقف مع الرئيس ثم جاء حسين وسلم علينا ثم قلت لعبدالناصر:

لو عندى ٣٠٪ فى القوات الجوية من الضباط الذين فى رتبة حسين فى كفاءته وأخلاقه لكنت سعيداً جداً، وهذا ليس لأنه شقيق سيادتك.

فقال لى عبدالناصر:

فعلا يا صدقى.. حسين هو الهدية الكبيرة التى أقدمها لعبدالحكيم عامر».

ومن هذه القصة ينتقل «صدقى محمود» إلى قصة أخرى لا تقل دلالة وأهمية فى مغزاها عن القصة السابقة فيقول:

«فى زيارة لنا لموسكو كنت أنا والمشير والمرحوم الفريق أول «سليمان عزت» (قائد القوات البحرية) دعانا السفير «مراد غالب» على عشاء خاص جداً فى منزله، وكان حاضراً معنا المرحوم «على شفيق» (مدير مكتب المشير أيامها وزوج الفنانة مها صبرى) ثم تطرق الحديث عن الحب ثم قال المشير:

ما هى أسمى درجات الحب؟

فقال كل منا إجابته، فقال المشير:

لا.. إن أسمى درجات الحب هو حب الصديق للصديق!

فقلت له: تقصد علاقتك بالرئيس جمال عبدالناصر؟

فقال المشير عامر: بالضبط.

واختتم الفريق أول «صدقى محمود» شهادته بقوله:

«لذلك فأنا مندهش لأن يقال إنه كان هناك صراع على القمة بين عبدالناصر والمشير فذلك شيء لم أشعر به مطلقاً».

ويؤكد الفريق «عبدالمحسن مرتجى» فى كلمات محددة قاطعة:

عبدالحكيم عامر «ده ظل» لعبدالناصر!!

واللافت للانتباه فى الحوار الطويل الذى أدلى به «سامى شرف» للكاتب الصحفى عبدالله إمام فى المحاولة التى قام بها لرسم صورة عن قرب للمشير «عبدالحكيم عامر» والعلاقة بينه وبين «جمال عبدالناصر»، وهى سطور ضرورية، وربما ساهمت فى إضاءة جوانب صورة المشير عن قرب! قال «سامى شرف» لـ «عبدالله إمام»:

«رؤيتى لشخصية المشير «عامر» إنه كان دمث الخلق، شهماً، لطيف المعشر، ضاحكاً، حبوباً، لا يرفض طلباً لأحد، تلك هى الصورة التى كونتها عن «عبدالحكيم عامر» خلال ثمانية عشر عاماً كنت إلى جواره ومشاركاً فى جميع مهامه بالخارج كمستشار له، ومتصلاً به كل يوم ربما أكثر من مرة، فقد كانت تعليمات الرئيس أن كل ورقة تعرض عليه ترسل إلى المشير فى نفس اللحظة دون استشارة، والقرارات التى تصدر دون أن يكون شريكاً فيها يكون أول من يعرفها.

كان «عبدالحكيم» هو الوحيد الذى يعرف تحركات الرئيس السرية!!

هذه مقدمة ضرورية حتى أوضح ما أطلق عليه اسم علاقة «التوأمة» التى كانت تربطهما ولم يكن «عبدالحكيم» يقول إن صوته فى جيب «عبدالناصر»، لأن «عبدالناصر» لم يكن يحتاج إلى من يضع صوته فى جيبه».

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك تناقضات ترجع أساساً إلى طبيعة تكوين الرجلين، كان «عبدالناصر» يهتم بالقراءة والاطلاع، لديه قابلية كبيرة للاستماع، وعنده قدرة على المناقشة والإقناع والرغبة فى أن يستزيد من العلم ومعرفة كل جديد.

بالعكس، كان «عبدالحكيم عامر» إنساناً بكل الصفات التى ذكرتها، ولكنه لم يكن لديه ميل للقراءة والاهتمام بتنمية مداركه الثقافية، وكانت طريقة تفكيره «قبلية» فلم يحاول أن يزيد من معرفته السياسية أو العسكرية التى كانت مجاله الأساسى فتوقف عند بداية الثورة فى كل معلوماته خاصة العسكرية.

ويعترف الكاتب الصحفى «محمد حسنين هيكل» بأن المشير «عامر» لبعض الفترات

ونتيجة للظروف كان أحب أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى «جمال عبدالناصر»، بل إنه يعتقد أيضاً ـ أى هيكل ـ أن جزءاً من مأساة ١٩٦٧ كان حبه لعبدالحكيم عامر، ذلك أن هذا الحب حال دون أن يقتنع عبدالناصر بدرجة كافية أن عبدالحكيم عامر لا يصلح لقيادة.

وفى كلمات مركزة، لكنها بالغة الدلالة، يحدد هيكل ملامح الصورة بقوله: «إن عبدالحكيم عامر كان نصف فنان ونصف بوهيمى ولطيفاً جداً، ولكنه عسكرياً توقف عند رتبة الصاغ، أى أنه يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً».

❑

كانت السينما متعة الرئيس «جمال عبدالناصر» وهوايته أيضاً!

وشارك «عبدالناصر» هذه المتعة والهواية صديق عمره المشير «عبدالحكيم عامر»!!

قبل الثورة وبعدها بقليل كان الصديقان «عبدالناصر» و«عامر» يستمتعان بالذهاب إلى دور العرض ـ خاصة فى الصيف ـ ومشاهدة أحدث الأفلام السينمائية.

وبعد شهور قليلة من الثورة ذهب «عبدالناصر» و«عامر» لمشاهدة أحد الأفلام، وبلغ من حماس «عبدالناصر» وإعجابه بهذا الفيلم أن قام بمشاهدته وبرفقته «عبدالحكيم عامر» أكثر من مرة، بل إنه كتب يشيد بهذا الفيلم على صفحات مجلة «آخر ساعة» فى مقال استغرق صفحتين بعنوان «قصة أثرت على حياتى»!

وكان «جمال عبدالناصر» صادقاً كل الصدق عندما قال ـ وكان ذلك بعد اختفاء المشير للأبد ـ إن علاقتى بعامر كانت أكثر من علاقة الأخ، وأن واحداً من إخوتى لم يكن قريباً منى بمثل ما كان عبدالحكيم عامر.

وعندما قرر «جمال عبدالناصر» الزواج من «تحية كاظم» فى ١٩٤٤ كان «عبدالحكيم عامر» أول من يعلم بأمر هذا الزواج، وما لبث «عبدالحكيم» أن تزوج بعدها بعدة شهور!

ثم جاء الأولاد والبنات إلى الحياة، وازدادت الصداقة عمقاً بين أفراد الأسرتين، وتزوج شقيق عبدالناصر من «آمال» ابنة المشير.. كما أطلق عبدالناصر اسم «عبدالحكيم» على أحد أبنائه، وأطلق المشير اسم «جمال» على أكبر أبنائه!!

وفى حوار صحفى نادر قال «جمال عبدالحكيم عامر»:

«حتى عام ١٩٦٧ كانت العلاقة العائلية جيدة جداً، لأن جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر لم يكونا يفترقان أبداً، فمن الطبيعى أن تلتقى أسرتاهما باستمرار وخصوصاً فى إجازة فصل الصيف التى كنا نقضيها فى «المعمورة» حيث كان لكل من أسرتى الرئيس والمشير بيتان متجاوران ومتشابهان أيضاً، وكان الرئيس جمال ووالدى يقضيان معنا إجازات الأسبوع وعندما يذهبان إلى القاهرة فى بقية أيام الأسبوع كنا نحن وأسرة عبدالناصر نقضى هذه الأيام وكأننا أسرة واحدة».

ولسنوات طويلة صمدت هذه الصداقة النادرة أمام أزمات عاصفة وعاتية وعبرتها إلى شاطئ الاطمئنان!

وجاءت هزيمة ٦٧ لتطيح بالأحلام، والآمال المشروعة التى تسكن عقل وقلب كل مواطن مصرى، وعلى صخور هزيمة يونيو تحطمت وانكسرت علاقة وصداقة الرئيس والمشير!!

وتوالت الأحداث.. رحل المشير عامر فى سبتمبر ٦٧، ورحل الرئيس عبدالناصر فى سبتمبر ٧٠!!

وأصبح «أنور السادات» يحكم مصر.. ثم خاضت مصر تحت قيادة السادات حرب أكتوبر ١٩٧٣.. وتغيرت الدنيا.. ومع منتصف السبعينيات ساد المناخ السياسى والصحفى والفكرى درجة هائلة من الحرية والبوح والكلام والكتابة، وصدرت عشرات المذكرات والشهادات لأصحاب الأسماء اللامعة من الذين كانوا فى قلب كواليس الحكم والثورة، وأتاح لهم موقعهم أن يشاهدوا ويسمعوا ما لم نكن نعرفه أو نشاهده ونسمعه عما كان يدور فى الكواليس!

كان الطابع الغالب على هذه المذكرات والشهادات والذكريات التى صدرت - وحتى الآن - هو الدفاع الشديد عن حكم عبدالناصر إزاء الاتهامات التى طالت حكمه وعلى رأسها هزيمة ١٩٦٧، وأغلب الكتابات نسبت الهزيمة بالكامل إلى المشير عبدالحكيم عامر.

وفى زحام مولد هذه المذكرات خرج على استحياء شديد من يحاول الدفاع عن المشير عامر فى سطور قليلة!!

ـا يثير الـدهشة ليـس كثرة الكـتب والدراسات الـتى صدرت عن «جـمال
نهو جدير بـها ويستحقها، لكن المثير للدهشة هو مـؤامرة الصمت والتعتيم
ـ حاصرت اسم ودور ومكانة «عبـدالحكيم عامر» منذ قامـت الثورة وحتى
ـ، فطوال ١٥ سنـة كان الرجل ملء المـسرح السياسـى تولى فيهـا عشرات
ـة والمؤثرة، ثم فجأة يغتاله الصمت والتجاهل!!

❑

ـنوات ظل أمر الصداقـة النادرة بين الرئيس والمشير يسيطر عـلى اهتماماتى
ـة، وقراءاتى خاصة.. وبمرور الوقت ظل موضوع هذه «الصداقة» يلح على
ـى سبتمبر ١٩٩٢ وجدتنى أقـترب وأحوم حول هذه العلاقة، فنشرت على
ـباح الخير» تحقيقـاً صحفياً كان عـنوانه: «أغرب وأعقد صداقـات العمر:
ـلة ناصر.. وعامر»، ومنذ نشر هذا التحقيق فى عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٩٢، لم
ـامى وتفكيـرى بهذا الموضوع. وهكذا وجدتـنى مشدوداً إليه، مهـموماً به،
بحث عن مـادته ووقائـعه وحكـاياته بين الأوراق والمـذكرات والذكـريات
ـلمختلفة!

ـكتملـت المادة والوقائع والحكايات التى تجـاوزت كل أحلامى، ووجدت أن
من الكلمات والوقائع الحية والحكايات المتنوعة، ترسم ملامح هذه العلاقة

ـ البطل عـندى فى مشروع هـذا الكتاب هو الـوقائع وشهـادات الآخرين لا
ـ يحلـق فى فضاء التهويمات، وهنا تحضرنى سطور مهـمة لا تخفى دلالتها
ـاذ الكبيـر «محمد حـسنين هيـكل» فى مقـدمة كتابـه «أكتوبر ٧٣ الـسلاح
ـذ قال بالحرف:

ـحظ قارئ هذا الكتاب أن المعلومات فيه أكثر من الآراء، وأن الوقائع أوسع
ـ. وأتجاسر عـلى القول إن ذلك مـقصود، وموجبـه أننى أنتمى إلـى مدرسة
ـميم حرية الصحافة هو ضمان تدفق المعلومات. فليست هناك قيمة لرأى إلا
ـاعدته من المـعلومات والأخـبار والخلفيـات واسعة وكامـلة وصحيـحة إلى
وفى هذه المدرسة فـإن المعلومات والأخبـار والخلفيات هـى البناء التـحتى
ـن تقوم عليه حرية الرأى من اختلاف الاجتهادات.

وإذا غابت المعلومات والأخبار والخلفيات، فإن الكتابة أو الحوار ـ كائناً من كان الكاتب أو المحاور ـ تصبح فى واقع الحال نوعاً من الإنشاء (جملاً مرصوصة)، أو نوعاً من الإنشاد (مديحاً فى هذا الطرف أو ذاك!)».

وأعترف أن كل هذا الكم من الوقائع والحكايات والشهادات كان دليلى لرواية «بداية ونهاية» قصة «الصداقة القاتلة» بين الرئيس والمشير، التى كانت حديث الناس ومثار دهشتهم وتعليقاتهم لكنها لم تأخذ حقها من الدراسة والتحليل بعيداً عن الصراخ السياسى،والتشنج الفكرى، والآراء الجاهزة!

وهذا ما حاولته بصدق فى هذه الدراسة المتواضعة، لقد تركت الحكايات والقصص والمواقف هى التى تروى بنفسها بداية ونهاية هذه العلاقة.

ولم يكن هدفى إرضاء أو إغضاب أحد خصوم وأعداء عبدالناصر وعبدالحكيم.

كانت الحقيقة أو أقرب مكان منها هى هدفى الأول والأخير.

❏

وقبل أن أطوى صفحات هذه المقدمة التى طالت قليلا، لابد أن أتوجه بامتنان لا حدود له وتقدير، عميق لصديق أعتز بصداقته، وزميل أعتز بزمالته، ومبدع أعتز بإبداعه، وناشر أعتز بجرأته وتميزه فى عالم النشر، زميلى وصديقى «محمد الصباغ».

له المحبة والامتنان والتقدير.

أما قارىء هذا الكتاب فله الشكر فى البداية والنهاية، فهو وحده الذى يمنح أى كاتب شهادة الرواج والانتشار، وقبل ذلك وبعده يمنحه شرعية الوجود فى عالم الكتابة.

«رشاد كامل»

ديسمبر ٢٠٠٠

حياة المشير.. محمد عبدالحكيم عامر

1

«جيمى» و«روبنسون» الصداقة والثورة !

دار الخيّـــال

عاش المشير عبدالحكيم عامر ومات دون أن نعرف إلا القليل جداً عن طفولته وصباه وأيام شبابه!؛ فى الوقت نفسه يندر أن يخلو كتاب واحد صدر عن الرئيس «جمال عبدالناصر» دون أن يتعرض لطفولته وصباه وشبابه وبالتفصيل!!.. وليس معروفاً على وجه الدقة ظروف نشأة الطفل «محمد عبدالحكيم عامر» لكن المؤكد أن والده كان من أثرياء وأغنياء «أسطال» بالمنيا!

وكان لوالد «عبدالحكيم عامر» مكان ومكانة فى كل أنحاء القرية الصغيرة!

ومن الأمور اللافتة للانتباه وتدعو للدهشة وربما التأمل ما رواه لى «جمال القاضى» عضو تنظيم الضباط الأحرار، وكان ذلك عن واقعة حدثت فى الأيام الأولى للثورة.

قال «جمال القاضى»: «كان والد عبدالحكيم عامر من أثرياء المنيا وكان يمتلك حوالى خمسمائة فدان، وبعد أن قامت الثورة فوجئ «جمال عبدالناصر» بوالد «عبدالحكيم» يأتى القاهرة ويعطى لابنه ثلثى إيراد أرضه قائلا له: أنت لازم تظهر بمظهر كويس!

ولم يعترض أشقاء «عبدالحكيم» على اقتراح والدهم بأن يأخذ حكيم «ثلثى» الإيراد ويأخذوا هم الثلث الباقى، وكان من المشاهد الطريفة أن يأتى أول كل شهر الحاج بكرى عم عبدالحكيم عامر حاملاً معه كيس قماش به الفلوس الخاصة بابن أخيه «حكيم»

ويسلمها له، وكان كل أعضاء مجلس قيادة الثورة يستلفون ما يحتاجون إليه من أموال من عبدالحكيم عامر»!

أما الابن الأكبر للمشير «عبدالحكيم عامر» وهو «جمال» فيقول:

كان والدى بطبعه يحب المغامرة، وربما وجد أن التحاقه بالجيش يرضى عنده نزعة المغامرة هذه، وقد اشتهر عن والدى أنه كان على قدر كبير من الجرأة والشهامة، ويقف مع إخوانه فى المواقف الصعبة.

وبصفة عامة فقد كان «عبدالحكيم عامر» مقلاً فى أحاديثه الصحفية، بل لم يكن يميل إلى الصحافة وأضوائها، ومن النادر أن تعثر للمشير طوال حياته وحتى رحيله إلا على عدد قليل من الحوارات الصحفية، والتى كان يغلب عليها الطابع العسكرى، وتكاد تخلو تماماً من الجانب الإنسانى العام.

ومن هنا تزداد أهمية ذلك التحقيق الصحفى الذى نشرته مجلة «آخر ساعة» بتاريخ (١٢ مايو ١٩٥٤) بعنوان مواقف من ليلة ٢٣ يوليو، وتضمن حواراً مهماً مع «عبدالحكيم عامر».

كان عنوان (التحقيق - الحوار) الذى كتبته «إيزيس فهمى» هو «كيف لعب القدر دوره فى حياة القائد العام للقوات المسلحة، فانتقل من كلية الزراعة إلى الكلية الحربية؟!».

وقدمت «إيزيس فهمى» لحوارها بسطور تقول فيها عن «عبدالحكيم عامر»: «كان حديثه فياضاً وأجابنى إجابة كشفت الستار عن ظروف ومواقف كانت خافية ومجهولة، وهى تؤرخ صفحة رائعة فى سجل الثورة وحركة التحرير».

وجاءت سطور التحقيق الصحفى على النحو التالى:

«كان عبدالحكيم عامر فى طفولته شقياً متعباً، وكان لذلك متعرضاً لضرب أبيه له دائماً. ويقول إنه لا يذكر عدد المرات التى ضربه فيها، ولكنه يذكر من بينها حادثاً لا ينساه!

كان فى الحادية عشرة (من عمره) وكان فى المنيا، وفى يوم من أيام شم النسيم، عبر النيل مع أخيه وصديق لهما إلى الشاطئ الآخر، ولم يطلعوا أحداً من أهلهم، وغابوا طوال اليوم، يلعبون ويلهون فى شعاب الجبل، وبحثوا عنهم فى كل مكان، فى المستشفيات وفى أماكن البوليس وعند المعارف والأصدقاء، عبثاً ودون جدوى.

إنه لا ينسى أبداً غضبة والده وعقوبة الضرب التى لقيها منه عندما عاد إلى المنزل مساء ذلك اليوم».

وتمضى الكاتبة الصحفية «إيزيس فهمى» على صفحات مجلة «آخر ساعة»، فتقوم باستعراض ملامح من طفولة عبدالحكيم عامر فتقول:

«وكانت تستهويه فى صباه وتملك لبه القصص والروايات المثيرة عن أعمال البطولة والفروسية فكان يترك استذكار دروسه ويعكف طويلاً على تلاوتها..

وأتم دراسته الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية، ولم يدر بخلده أنه سيصبح ضابطاً فى الجيش فى يوم من الأيام.

وكان له شغف خاص بالكيمياء، وكان لذلك يود الالتحاق بكلية العلوم، ولكنه مرض مرضاً شديداً قبل امتحان الشهادة التوجيهية، فلم يحصل على الدرجات التى تمكنه من دخول كلية العلوم، فاتخذ طريقه إلى كلية الزراعة، وفى دراسته الثانوية سقط فى السنة الأولى.

ولم يكن عبدالحكيم عامر مرتاحاً أو راضياً عن الأحوال السياسية التى كانت سائدة فى مصر فى تلك الأيام، فكان نشاطه ملحوظاً فى المظاهرات وكل الحركات المعبرة عن الثورة والسخط والتمرد.

وعندما كان طالباً بالسنة النهائية بمدرسة المنيا الثانوية عام ١٩٣٥، كان من بين الطلبة الذين حركوا المظاهرات الكبيرة وأثاروا الحوادث التى وقعت وقتئذ لإلغاء دستور سنة ١٩٣٠ الذى وضعه «صدقى» باشا وإعادة دستور ١٩٢٣.

وفى إحدى المظاهرات، هاجمهم البوليس فى المنيا، وقبض على بعض المتظاهرين، ولكنه تمكن من الهرب بعبور الترعة التى تفصل بين منطقة المدارس وباقى المدينة هو وعدد قليل جداً من أولئك المتظاهرين الذين كانوا معه. وفى تلك السنة التحق عبدالحكيم عامر بكلية الزراعة.

إنه لم يكن سعيداً أبداً فى كلية الزراعة، وفى يوم من الأيام عندما كانوا فى معمل الكلية، سأل زميله الذى كان يجلس بجانبه دائماً، وكان اسمه «عبدالقادر خيرى» أين كان مختفياً فى الأيام الأخيرة ؟! وكان عبدالحكيم قد لاحظ أنه يتغيب كثيراً، فأجابه عبدالقادر:

- إننى سأترك الكلية غداً، فقد قدمت طلب التحاقى بالكلية الحربية..

فقال له «عبدالحكيم»: ولماذا لم تطلعنى على ذلك من قبل، حتى كنت أشترك معك فى التقدم إليها؟

فأجابه خيرى: ما زالت الفرصة أمامك.. فغداً آخر موعد لتقديم الطلبات وأمامك الفرصة إن كنت حقاً ترغب فى ذلك!

وهرع عبدالحكيم، وملأ أوراق التحاقه بالكلية الحربية، وقدمها لها فى اليوم نفسه. أى فى اليوم الأخير.. ويقول «عبدالحكيم» إنه نجح فى الكشف بطريق الصدفة البحتة»!!

❑

وفى أكتوبر ١٩٣٨ التحق «صلاح نصر» بالكلية الحربية.. وابتداء من ذلك الوقت كانت قد نمت بينه وبين عبدالحكيم عامر صداقة ستدوم لسنوات طويلة قادمة!

يقول «صلاح نصر» متذكراً ملامح تلك الأيام عندما كان طالباً فى الكلية الحربية: «تقابلت فى أول يوم مع مجموعة من الطلبة، كان «أمباشى» الصف الذى وزعت عليه هو المرحوم «عز الدين ذو الفقار» الذى ترك الجيش بعد تخرجه وعمل مخرجاً فى الحقل السينمائى وكان شخصية محببة، دمث الخلق، يبدو وكأنه شاعر.

أما طالب المتوسط فكان المرحوم «عبدالحكيم عامر» لم تختلف شخصيته كثيراً عن الصورة التى كان عليها وهو نائب رئيس الجمهورية، كان طيب القلب، تبدو عليه أمارات المروءة والشهامة، حازماً فى رفق.. وكان عبدالحكيم عامر مسئولاً عن تعليمنا نحن الطلبة الجدد، كيف نستخدم الأدوات الجديدة التى تسلمناها؟ كيف نلف «القالشين» على سيقاننا؟ كيف نُركّب «البل» الذى نربطه على صدورنا لنحفظ به الذخيرة؟ كيف ننظف بنادقنا ونعتنى بها ؟ وكان عليه أن يرشدنا كيف ننظم فراشنا بعد قيامنا من النوم بنظام أشبه بنظام المستشفيات.. كيف ننظم ملابسنا داخل الصوان بشكل معين؟».

ثم يؤكد صلاح نصر قائلاً: «وقد ربطتنى وشائج صداقة مع عبدالحكيم عامر منذ هذه الأيام واستمرت إلى أن فارق الدنيا».

وفى الكلية الحربية كانت الأقدار والصدفة التاريخية فى انتظار الطالبين «جمال

عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر».. ويروى الكاتب الصحفى السويسرى «جورج فوشيه» فى كتابه المهم «جمال عبدالناصر وصحبه» بداية الصداقة بين الطالبين الجديدين على نحو مثير فيقول:

«دخل جمال الكلية الحربية طالباً لأول مرة فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ مع الدفعة الثانية للضباط المستجدين، ومر بما يسمونه فترة الاختبار وهى فترة لا تتجاوز خمسة أشهر، يلقن فيها الطالب مبادئ الحياة العسكرية ويراقب سلوكه من الناحيتين الأخلاقية والرياضية، وفى نهاية فترة الاختبار هذه أصدر مجلس الكلية قراراً بصلاحية الطالب «جمال» للحياة العسكرية وقيد اسمه بالقسم الإعدادى بالكلية ثم بالقسم المتوسط.

وعلى الرغم من التحاقه بالكلية الحربية بعد مرور ثلاثة أشهر من بدء الدراسة فيها أظهر من الكفاية العسكرية ما أهله لأن ينقل إلى القسم النهائى، ولأن يصبح «رئيس فريق» وأسندت إليه منذ أوائل سنة ١٩٣٨ مهمة تأهيل الطلبة المستجدين.

ومن بين الطلبة الذين استجدوا عندما كان «جمال عبدالناصر» رئيس فريق فى الكلية، الطالب «محمد عبدالحكيم عامر» القائد العام للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة (نفس كلمات المؤلف).

وكان جمال مسئولا عن تأهيله عسكرياً مع المستجدين الذين كان مكلفاً بإرشادهم إلى طريقة ارتداء الزى العسكرى على الوجه الصحيح، وتحية رؤسائهم والقيام بتدريباتهم العسكرية الأولى».

ويذكر المؤلف «جورج فوشيه»:

«وتوثقت عرى صداقة حميمة بينهما، وكان الاثنان شغوفين بالمطالعة، وأطلق على «عبدالحكم عامر» اسم «روبنسون» لشغفه بقصص الأسفار وبالمغامرات الفذة كمغامرات «روبنسون كروزو».

كان «عبدالحكيم عامر» ورئيس فرقته «جمال عبدالناصر» من الطلبة المثاليين فى الجد والمثابرة وفى احترام اللوائح والنظم العسكرية، وكانت الحياة العسكرية تروق لهما تماماً.

واشتهر فى الكلية باسم «الأومباشى جيمى» وكانت صداقته «لروبنسون» معروفة، وكنت إذا رأيت «جيمى» فسرعان ما يظهر «روبنسون» والعكس بالعكس، وكانت مكتبة الكلية المكان المفضل للقائهما».

وفى موضع آخر من الكتاب يضيف «جورج فوشيه» قائلاً:

«ظل الطالب جمال عبدالناصر فى الكلية الحربية بعيداً عن زملاء دفعته، كان فقيراً ووقف أصله المتواضع حجر عثرة فى طريقه، فانكب على مطالعة المؤلفات التى كشفت له عالماً جديداً بالنسبة إليه، عالم العلوم العسكرية، والسياسة الدولية، ولم يجد زميلاً يشاركه أحقاده وحماسته وعاطفته الوطنية إلا عندما أصبح «قائد جماعة» فى الكلية وأصبح مسئولاً عن تأهيل الطالب المستجد «عبدالحكيم عامر» عسكرياً».

ويقول: «أنتونى ناتنج» فى كتابه «ناصر» وهو يستعيد الأيام التى قضاها «عبدالناصر» فى الكلية الحربية ما يلى:

«وسرعان ما أثبت عبدالناصر إلى جانب سعة اطلاعه وعمق بحثه، أن لديه موهبة طبيعية للزعامة، وفى نهاية عامه الأول أصبح مسئولاً عن مجموعة جديدة من المرشحين من بينهم «عبدالحكيم عامر» وهو شاب طويل نحيل، وكان خاله اللواء «محمد حيدر» آخر قائد عام للقوات المسلحة قبل ثورة ١٩٥٢، وعلى الرغم من الفارق الكبير فى خلفيتهما الاجتماعية تطورت الصداقة بين «عبدالحكيم عامر» و«عبدالناصر»، تلك الصداقة التى دامت قرابة ثلاثين عاماً».

ويذكر الكاتب الصحفى الأمريكى «روبرت سان جون» فى كتابه «الرئيس»: «وفى الليلة التى وصل فيها «جمال عبدالناصر» إلى الإسكندرية رحب به ملازم آخر كان نوبتجياً فى تلك الليلة ولديه علم بوصوله، وأعد له شخصياً حجرة له وقدم نفسه لـ «جمال» برشاقة قائلاً:

- الملازم عبدالحكيم عامر يا سيدى!

وابتسم جمال.. كانت معرفتهما ببعض سطحية فى الكلية، ذلك لأن عامر كان فى الفرقة السابقة مباشرة لفرقة جمال. وتذكر أن هذا الرجل الشاب الرقيق المتسرع كان يطلق عليه «روبنسون» نظراً لإعجابه بالقصص التى من نوع قصة «روبنسون كروزو»».

ويمتد أصل «عامر» إلى جذور أعمق من جذور «ناصر» فى تربة الوجه القبلى ذلك لأنه ولد فى قرية فى منتصف الطريق بين القاهرة وبنى مر.. كانا مختلفين فى كثير من النواحى، ومع ذلك أعجبا ببعضهما بشكل غريزى، وفى تلك الليلة بينما كان يتحدثان بدأت صداقة بينهما.

مكث عبدالحكيم عامر ١٨ شهراً فى الكلية الحربية!

ثم أعلنت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩، فتم تخريج الطلبة على عجل، وكان من نصيب عبدالحكيم عامر تعيينه فى «باتانيا» على مقربة من الإسكندرية.

وفى باتانيا كان اللقاء الأول بين عبدالحكيم عامر، وجمال عبدالناصر، الذى قال عنه «أنور السادات»: «هذا اللقاء لم يكن شيئاً، لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك كثيراً فى حياتهما».

لكن «عبدالحكيم عامر» كان لديه الكثير ليقوله عن هذا اللقاء الأول مع «جمال عبدالناصر»، ويروى «عبدالحكيم عامر» على صفحات «آخر ساعة» قائلا: «كنت هناك فى باتانيا وذات ليلة وأنا فى نوبتى الليلية، مر بنا «جمال عبدالناصر» وقضى الليلة معنا. وتحادثنا مع بعضنا، وسرعان ما بدا لنا أن أفكارنا ووجهات نظرنا متشابهة وأصبحنا صديقين..

ومضت شهور، ونقلت إلى السودان فى يناير عام ١٩٤٠، وهناك التقيت بجمال عبدالناصر ثانية، وكنا فى أورطة واحدة، وتوطدت أواصر الصداقة بيننا، وسارت أفكارنا فى طريق واحد. ولم نكن مرتاحين للظروف والأحوال التى نعمل فيها، وكنا نتألم للمعاملة التى يعامل بها كبار الضباط من هم أدنى منهم فى الرتبة من الضباط الآخرين. ولمسنا حاجة الجميع إلى مراعاة القيم الإنسانية المقررة لجميع الآدميين وشعرنا بخيبة أمل مرة لما نحن فيه من أوضاع اجتماعية».

ويمضى عبدالحكيم عامر قائلاً فى ذكرياته:

«ووقع خلاف شديد ذات يوم بينى وبين قائد الفرقة فى الخرطوم، بسبب بعض الترتيبات الخاصة بزيارة للحاكم العام، وكان المسئول عن هذه الإجراءات أربعة من الضباط، لم أكن أحدهم ولكن القائد أشركنى فى المسئولية من غير مبرر لذلك، فقد كان يريد معاقبتى فحسب، ورفضت بعناد قبول ذلك، وحاول إرغامى على الخضوع بكل الوسائل بالنصيحة وبالوعيد، وبكل ما فى وسعه من حيلة!

وقدمت استقالتى من الجيش، وكان «جمال عبدالناصر» يرقب هذا الموقف بهدوئه المعروف، وكان شديد الاهتمام بأمر مستقبلى، ووافق على أن لى الحق فى رفض العقاب، ولكنه أيضاً كان قلقاً لاستقالتى وامتناعى عن العمل.

ومرت هذه العاصفة من تلقاء نفسها بعد أيام قليلة، ولم يوقع على عقاب، ولم يرد القائد على كتاب استقالتى!!

لقد زادت هذه الحكاية من كامن سخطنا وتبرمنا بالأوضاع المحيطة بنا وكانت بداية لتمرد أكبر وطلبت أن أنقل من الخرطوم، وفى عام ١٩٤١ نقلت إلى مركز التعليم فى منقباد وبقيت هناك لمدة سنة ونصف السنة».

❑

وينتقل بنا «روبرت سان جون» إلى السودان فيقول:

«وفى الخرطوم كان ضابطان برتبة ملازم مشغولين بأغلب واجبات الجيش الروتينية فى مدينة من الصعب أن تكون مدينة، تبعد عن أى شىء مألوف بمئات الأميال. ومن الخرطوم انتقلا - أى ناصر وعامر - إلى جبل الأولياء على النيل الأزرق فى اتجاه الجنوب بمسافة خمسة وأربعين كيلو متراً حيث أقامت مصر سداً كانت تحرسه بقواتها.

كان «عامر» و«ناصر» الضابطين الوحيدين هناك، فكانت لهما حجرتان متجاورتان وكانا يأكلان معاً، ويصيدان الطيور البرية معاً وتشاركا فى كتبهما وصحفهما. ونمت الصداقة بين «عامر» المتسرع الذى لم يكن من الممكن التنبؤ بشىء عنه وناصر الذى كان يتسم بالبرود بصورة أقوى».

ثم يؤكد «روبرت سان جون» أن ناصر وعامر قد «خصا كثيراً من وقتهما فى التحدث عن مستقبل مصر، واقترح عامر بضرورة محاولتهما فى التأثير على هذا المستقبل بالعمل بطريقة ما داخل نطاق الجيش.

وحذر عامر ناصر بقوله: «ولكن فلنتذكر إننا لسنا سياسيين»!

فرد عليه وقال: «وأنا لست متأكداً من أننا نريد ذلك».

وقال عامر: ولكن إذا استطعنا أن نجعل عددا كافياً من ضباط الجيش الشبان يفكرون كما نفكر، فقد نخرج من ذلك بشىء».

وفى كتابه «عبدالناصر.. قصة البحث عن الكرامة» يقول الكاتب الصحفى الإنجليزى «ويلتون وين» ولعل أهم حادثة وقعت له (لجمال عبدالناصر) خلال السنتين اللتين قضاهما فى السودان كانت اجتماعه بملازم شاب آخر ذى عقلية سياسية يدعى

«عبدالحكيم عامر» الذى أصبح اليوم مشيراً وقائداً عاماً للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، لقد شكلت صداقة عبدالناصر لعبدالحكيم عامر «حجر الزاوية فى حركة نُظمت ببراعة داخل الجيش المصرى عرفت بلجنة «الضباط الأحرار».

وبعد ذلك بسنوات شغلت قصة لقاء عبدالناصر بعامر على أرض السودان صفحات وصفحات من كتاب «أسرار الثورة المصرية» الذى كتبه أنور السادات وكان ينشر مسلسلاً فى جريدة «الجمهورية»، ولم يكن ينشر حرف واحد مما يكتبه السادات دون أن يقرأه جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر!!

وعندما صدرت مقالات «السادات» فى كتاب «صفحات مجهولة» تلفت الأنتباه تلك المقدمة التى تصدرت الكتاب وكتبها «جمال عبدالناصر» وجاء فيها «إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب، خليقة بالإطراء، فعبقريته العسكرية الممتازة وشجاعته ورباطة جأشه وإخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا، إلى جانب قوة إرادته وتنزهه عن الغرض، ورقة عواطفه وميله الغريزى للعدالة والإنصاف، كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور مهم فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والسير بها قدماً فى سبيل النجاح».

ثم يضيف جمال عبدالناصر إلى ما سبق قوله «لقد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والأحداث تحليلاً دقيقاً، مما جعل الكتاب مرجعاً قيماً يعتد به».

هكذا كان رأى «جمال عبدالناصر» فى صفحات كتاب السادات وبلا تعليق من جانبى!!

وتحت عنوان «اللقاء الأول بين عبدالناصر وعامر» كتب أنور السادات يقول: «فى خلال الأعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى، ونختفى لنظهر.. كانت عينا «جمال» الفاحصتين تبحثان عن الرجال والأعوان، ولعل انتصاره الأول فى هذا الميدان «كان لقاؤه بعبدالحكيم، وبقصة هذا اللقاء.. يبدأ هذا الطور من أطوار التمهيد للثورة».

وفى ذلك الوقت كانت الكتيبة الثالثة ستتحرك إلى السودان، وفى تلك الأيام كانت السودان هى منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش. وكان الملازم جمال عبدالناصر ضابطاً صغيراً مغضوباً عليه.. وكسب جمال كراهية كل رؤسائه وحقدهم ولم ينتظر أن ترسل به كتيبته إلى المنفى، وإنما سارع بنفسه ليقدم اسمه ليكون بين الراحلين إلى

السودان. وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل لا تزال فى «المكس» بالإسكندرية، وكان على «جمال» أن يمضى إلى الإسكندرية ليلتحق بها ثم يرحل معها إلى أرض الجنوب.

وباقى ما جرى يرويه أنور السادات على النحو التالى:

«فى ليلة السفر إلى الإسكندرية، التقى به الصاغ «عثمان نصار» من ضباط كتيبته، وكان من أصدقائه المخلصين وسأله:

ـ أترحل غداً؟

ـ بإذن الله.

ـ هل تعرف أحداً من الضباط هناك؟

ـ أبداً.

ـ لتسأل إذن عن الملازم «عبدالحكيم عامر» وتعرف به!

ويضيف السادات فى روايته مؤكداً:

«ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار إليه عن عبدالحكيم.. فلم يكن «جمال» ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس السطحية البسيطة.. ولم يتوقع أبداً أن يكون عبدالحكيم ـ هذا ـ صديق عمره ورفيق جهاده الكبير.

ولا يذكر «جمال» عن يوم لقائه الأول بعبدالحكيم شيئاً، ولكن عبدالحكيم هو الذى يذكر أن نبأ وصول جمال إلى الإسكندرية كان قد سبقه إلى هناك، ويذكر أنه قدم إليه نفسه ثم قدم إليه كل التسهيلات المستطاعة.

ويذكر أيضاً ـ عبدالحكيم ـ أن جمال كان «قرفاناً» وأنه قابل صنيعه شاكراً ولم يبد عليه أثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ «نصار».

وقبل أن يمضى السادات فى سرد وتوضيح العوامل التى أسهمت فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين ناصر وعامر يقول:

«قد تسجل الأيام أن لقاء عبدالحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم بالإسكندرية ولكن هذا اللقاء لم يكن شيئاً، لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم

يفترقا بعد ذلك كثيراً فى حياتهما.. واللذين ارتبطا معاً بأقوى مما يرتبط به صديقان.. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك.

أما اللقاء الحقيقى.. والتعارف الكامل.. فقد بدأ فى الخرطوم.. هناك عاشا معاً.. وعرف كل منهما صاحبه.. ولكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف فى يوم أو اثنين ولا فى أسبوع أو أسبوعين.. فقد كانا نقيضين فى كل شىء..

كان جمال شديد التحفظ..

وكان عبدالحكيم شديد الاندفاع..

وكان جمال هادئ الأعصاب دائماً.. مهما حدث ومهما رأى.. وما أكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الأبية.

وكان عبدالحكيم سريع الانفعال، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء!

والذين يعرفون عبدالحكيم اليوم (وقت كتابة السادات لهذه السطور ديسمبر ١٩٥٢) فى هدوئه وصمته واتزانه البالغ، قد لا يصدقون هذا الكلام، وقد ينكرون هذه الصورة ولكن الأيام التى مرت بعبدالحكيم فى اثنى عشر عاماً والأحداث التى هزته هزاً قد استطاعت أن تغير فيه كل شىء.. وأن تبدله إنساناً آخر لا يعرفه اليوم من عرفه بالأمس القريب».

وطبقاً لما يقوله أنور السادات فإن عوامل كثيرة عملت على تعميق الصلة والصداقة بينهما ، وكان أول هذه العوامل قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان الذى كان يحب أن يتحكم فى ضباطه الصغار تحكماً من نوع جديد لم نعرف له فى الجيش مثيلاً.

عن هذا القومندان كتب السادات يقول:

«كان الرجل ولوعاً بالشراب.. ما يكاد المساء يقبل حتى يعد عدته لسكرة تذهب بعقله، ولم يكن يحب الشراب وحده، ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الإنجليز فكان الحل الطبيعى عنده أن يأتى بضباطه بالأمر وأن يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء، لقد كان الضباط جميعاً - حتى الذين يشربون الخمر منهم - يضيقون بهذا التكليف الثقيل».

ولكن «جمال» لم يكن يضيق فقط ، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم ويفسد على

القائد مجلس الشراب، وماذا يستطيع أن يصنع، وقد امتنع عن المشاركة فى الشراب فصدر إليه الأمر بالمشاركة فى جلسة الشراب.. وكانت ليلة لا ينساها جمال ولا عبدالحكيم، حينما حاولا أن يتركا مجلس القائد، فرفض وزمجر وقام إلى أبوابه فأغلقها.

وتلفت جمال حوله.. وانتظر حتى شرب القائد كأسين أو ثلاثة، وبدأ يصول فى المكان ويزأر ثم أشار إلى عبدالحكيم وقفز من النافذة، وقفز عبدالحكيم خلفه وتبعهما الضباط جميعاً.. وعاد القائد إلى مجلس الشراب ليجده خالياً خاوياً من السمار، ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئاً، فبعد دقائق كان الضباط جميعاً قد استقروا فى إحدى دور السينما يشاهدون فيلماً ضاحكاً.. ويضحكون».

ومنذ الصباح التالى بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبدالحكيم.. فقد فهم أنهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره.

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه فى هذه الحرب الباردة، حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئاً ما، لأن عبدالحكيم «قد هبط إلى القاهرة ليلتحق» بفرقة دراسية من فرق الجيش.. وأدرك القائد أنه لم يعد أمامه سوى «جمال»، وأن «جمال» وقد أصبح وحده الآن لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم ولكنه لم يلبث أن نكب فى فطنته، فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال وزادت فنونها، وفى يوم من الأيام أصدر القومندان أمره بنقل جمال إلى «جبل الأولياء» ليستريح منه، واستراح فعلاً.. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم».

بعد ذلك يقول أنور السادات:

«أتم عبدالحكيم فرقته وعاد إلى الخرطوم فلم يجد «جمال» ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر: ماذا بينك وبين القومندان؟

ويجيب عبدالحكيم فى حذر أيضاً: لماذا؟

وعرف عبدالحكيم الحكاية وأن القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال، وكان عبدالحكيم يعرف نفسية القومندان جيداً ويعرف أن هذا النقل ليس إلا انتقاماً، وكان يريد أن يذهب إلى «جبل الأولياء»، بدلا من «كسلا» بأى ثمن!!».

ويروى السادات كيف أن عبدالحكيم عامر ابتسم فى وجه أركان الحرب قائلاً له:

ـ إن «عفشى.. لا يزال مربوطاً.. وأنا أحب أن أذهب إلى كسلا»!

ثم ذهب عبدالحكيم بنفسه إلى القومندان وبعد التحية سأله فى تلهف:

ـ متى أذهب إلى كسلا؟

ودهش القومندان وتصور أن لعبدالحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح هناك ثم زمجر القومندان وقال:

ـ من قال لك إنك ستذهب إلى كسلا.. إنى لن أبعث بك إليها.. وستذهب غداً إلى «جبل الأولياء»!

ويشير السادات فيما كتبه تعليقاً على هذه الواقعة قائلاً: «ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبدالحكيم الماكرة الماهرة.. وكان صباحاً مشرقاً عندما ذهب عبدالحكيم إلى جبل الأولياء إلى صديقه جمال!».

ويضيف السادات قائلاً:

«وفى جبل الأولياء زادت الصداقة عمقاً بين الزميلين، واكتمل التفاهم بينهما فى كل شىء.. كانا يقضيان معاً سهراتهما يلعبان الشطرنج، وكانا يقضيان معاً أيامهما فى رحلات الصيد.

وعندما يذكر أحدهما تلك الأيام وتلك الليالى، لا يكاد يذكر الشطرنج، ولا الصيد بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما.. فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات، ولم يكن فى جبل الأولياء من الضباط سواهما.. فكان جمال هو القومندان، وكان عبدالحكيم ضابطه الوحيد! ولم يكن بد إذا تشاجرا صباحاً أن يصطلحا فى المساء.. وإذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح، ولكن هذه الفترة قد انتهت بالتفاهم التام بينهما وبالتفكير المتصل الموحد فى حالة الجيش، فقد اقتنعا تماماً أن المشكلة ليس مشكلة الكتيبة ولا القومندان ولا الرؤساء الإنجليز ولكنها مشكلة الجيش كله.. والبلد كله..».

باختصار شديد يقول أنور السادات: «إنها الجذوة التى يقودها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره، إنها القرار والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه، إنها الفكرة وفكرة الحياة، التى انبعثت هناك فى تبات الشريف قد كسبت رجلاً جديداً.. عبدالحكيم عامر..».

بعد سنوات من رحيل «جمال عبدالناصر» وموت عبدالحكيم عامر، روى السفير «عبدالعزيز جميل» ذكرياته عن عبدالناصر عندما تعرف إليه للمرة الأولى عام ١٩٤٠ على أرض السودان.

كان «عبدالعزيز جميل» دفعة يونيو ١٩٤٠ وكان من نصيب الكتيبة الثالثة مشاة بنادق (التى ينتمى إليها) أن سافرت إلى الخرطوم، فماذا جرى؟!

يقول «عبدالعزيز جميل» (فى مجلة صباح الخير ٢٨ مايو ١٩٨٣) ما يلى:

«ووصلنا فى النهاية إلى الخرطوم ووجدنا فى استقبالنا ثلاثة ضباط مرحين ضاحكين قدموا أنفسهم: زكريا محيى الدين، عبدالحكيم عامر، جمال عبدالناصر.. وقالوا لنا إننا وصلنا فى لحظة مناسبة لأنهم يحتفلون اليوم بحدث سعيد هو ترقية الملازم ثانى «جمال عبدالناصر» إلى رتبة الملازم الأول».

ويروى «عبدالعزيز جميل» عشرات الذكريات والنوادر لكنى سأتوقف بالتأمل قليلاً إزاء واقعة تدخل فى القلب والعمق من سياق علاقة عبدالحكيم وعبدالناصر، والتى يرويها قائلاً: «أصبح عبدالناصر هو المرجع والحكم والميزان فى القضايا العامة والخاصة، الصغيرة والكبيرة.. ولا يحسم فى شىء إلا بعد استشارته ومعرفة رأيه.. وكان دائماً الرأى الصائب».

كان «عبدالناصر» أكثرنا علماً وثقافة.. وكانت هوايته التى تطغى على كل الهوايات الأخرى هى الكتب والقراءة.. ولم يكن ممكنا أن نقضى ليالى الخرطوم الطويلة فى شىء أمتع من الجلوس إليه، والاستماع لتلخيصه لآخر كتاب قرأه.. وكان يستغرق فى الاطلاع.. وننتظر نحن كما كان يقول «عبدالحكيم عامر» أن يعطينا الكتاب فى برشامة.

ولهذا كان توفير الكتب لجمال عبدالناصر وتنظيم مكتبة عبدالناصر مهمة نتسابق جميعاً إليها خصوصاً «عبدالحكيم عامر» الذى كان «مريداً» متفانياً وكان إيمانه بعبدالناصر وحبه له بلا حدود.. وفى الصيف كنا ننزل ـ عبدالناصر وأنا ـ بملابس خفيفة.. بالقميص والبنطلون.. أما عبدالحكيم عامر فكان يصر بوصفه «ابن عمدة» على أن لا يسير حتى فى الصيف إلا بطقم كامل.. بدلة وطربوش ورابطة عنق!.. وذات يوم وخلال جولتنا التقليدية فى العصر.. دخلنا مكتبة فوجدنا كتاباً كان جمال يبحث عنه من زمن.. وفرح به فرحاً كبيراً وسأل عن ثمنه، فقال صاحب المكتبة ١٢٠ قرشاً، وكان

قد بقى معه خمسون قرشاً، وطلب ما معى من نقود.. ولم تكن تتعدى عشرين قرشاً، ولم يكن مع «عبدالحكيم» أكثر من هذا وفى ذلك الوقت كانت هذه المبالغ مناسبة مع ضباط صغار.. وأخفى عبدالناصر أسفه وألمه وضحك وأعاد الكتاب وقال:

نأتى لشرائه غداً..

وظللنا نقلب فى بعض الكتب الأخرى، ونتغلب على خجلنا ثم استدرنا لننصرف ولم نجد عبدالحكيم وسألنى:

ـ أين عبدالحكيم؟

ـ لا أدرى.

وأخذنا نتلفت هنا وهناك حتى رأيناه مقبلاً وهو يلهث وقال:

ـ أين الكتاب؟!

ـ لماذا؟

ـ سنشتريه..!

ـ كيف؟

وأخرج «عبدالحكيم» جنيهاً من جيبه وطلب إلى صاحب المكتبة أن يلف الكتاب..».

يضيف «عبدالعزيز جميل» قائلاً:

«ولم نعرف كيف حصل «عبدالحكيم» على الجنيه إلا حينما أشار إلى رأسه ولم نجد عليها «الطربوش» (النسر) وكان أشهر ماركات الطرابيش.. لقد خرج وباع طربوشه وعاد بالجنيه حتى لا يحرم «جمال عبدالناصر» من كتاب يريده.

وقال له «لعبدالناصر»:

ده أنا شفت الدموع حتفر من عينك عليه!!».

دلالة ذلك كله يؤكده ويلخصه السفير السابق «عبدالعزيز جميل» فى كلمات قليلة موجزة.. تقول:

«وأنا أعتقد أن كل من عرف عبدالناصر فى ذلك الوقت أو فى أى وقت كان على استعداد لأن يفعل أى شىء من أجله».

وفيما بعد كتب «دزموند ستيورات» الكاتب الصحفى الإنجليزى يقول:

«كان الضابط الطويل النحيل عبدالحكيم عامر أقرب صديق إلى «ناصر» وهو من مصر العليا، وإذا قورن بناصر فهو متهور متقلب، أما «أنور السادات» المتحمس بين الجماعة ومؤرخها فقد كان مقامراً عاطفياً ظريفاً ومتعصباً للحرية المصرية».

وفى حديث «عبدالناصر» مع «مورجان» مندوب «الصنداى تيمس» الإنجليزية الذى التقاه فى يونيو ١٩٦٢، يكشف «عبدالناصر» عن جوانب مثيرة فى علاقته بعبدالحكيم عامر.. يقول:

«.. وفى عام ١٩٣٩ نقلت إلى الإسكندرية وهناك التقيت بعبدالحكيم عامر وكان يشاركنى ذلك الاعتقاد الراسخ فى الأعماق بضرورة الثورة والتغيير.

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز نقلت إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين، وكان ذلك بقصد التدريب لمدة شهر، وكانت هذه أول مرة أحتك فيها احتكاكاً حقيقياً بالبريطانيين كجنود وكأشخاص فتركوا فى نفسى أثراً طيباً.

ولم يكن هناك أى تعارض بين استطاعتى أن أشعر بشعور ودى نحو عدد منهم على المستوى الشخصى، وأن أحترمهم أيضاً كجنود وبين شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية، ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن، فالأول كان شعوراً شخصياً والآخر كان مسألة مبدأ وليس هناك علاقة بين الشعورين. وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخاً تاماً، أما السبيل إلى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة إلى دراسة وكنت يومئذ لا أزال أتحسس طريقى إلى ذلك، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه إلى تجميع عدد من الضباط الشبان الذين أشعر أنهم يؤمنون فى قراراتهم بصالح الوطن، فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة.

كنا بحاجة إلى شىء يجعلنا جميعاً ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية، فأعطانا الإنجليز ما نحتاج إليه، ففى عام ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط وكانت فى الصحراء الغربية الحرب تمر فى مرحلة حيوية، وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر حكومة تؤازرهم مؤازرة إيجابية، وذهب السفير

البريطانى ـ السير مايلز لامبسون ـ ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية وسلم الملك إنذاراً يخيره بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع ـ وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط.

كان ذلك فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ـ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان أبداً وكنت يومئذ فى العلمين حين جاءنى هذا النبأ ـ ومازلت أذكر انفعالى الشديد: إن حوادث ٤ فبراير قد ألحقت العار بمصر، لكنها رغم ذلك ألهمتنا بروح جديدة، فقد أيقظت هذه الحوادث أناساً كثيرين من سباتهم وعلمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الإنسان بأى ثمن.

وبالنسبة لى، كان عام ١٩٤٥ أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب، فقد شهد العام بداية حركة الضباط الأحرار، تلك الحركة التى أشعلت فيما بعد شعلة الحرية فى مصر، ومع ذلك فقد كان ينتظرنا حادث آخر ليتحول استياؤنا وسخطنا المتزايد إلى خطة ملموسة للثورة.

وقد ركزت حتى سنة ١٩٤٨ على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور فى مصر مبلغ استيائى، والذين توافرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للإقدام على التغيير اللازم، وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة .

فى مايو ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وأحسسنا جميعاً بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكاً صارخاً لا للعدالة الدولية وحدها، ولكن للكرامة الإنسانية كذلك». .

وكانت تلك الأحداث والتطورات السياسية هى كل ما يشغل بال جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر.

وعلى أرض فلسطين التقى الضباط والجنود، واقتسموا اللقمة والبسمة والدمعة والآهة، وتشاركوا فى لحظات الفرح النادرة وكذلك فى أيام الغضب والسخط.

لقد روى «جمال عبدالناصر» تفاصيل ما جرى على أرض فلسطين فى كتابه «يوميات عبدالناصر عن حرب فلسطين» والذى نشر مسلسلاً على صفحات مجلة

«آخر ساعة» شتاء ١٩٥٥ وقام بإعداد اليوميات وكتابتها الأستاذ «محمد حسنين هيكل» رئيس تحرير «آخر ساعة» وقتها.

إن قراءة يوميات «عبدالناصر» بهدوء وبعين فاحصة ذكية لابد أن تلفت الانتباه إلى عمق ومتانة العلاقة التى ربطت بينه وبين «عبدالحكيم عامر» فى هذه الحرب، والآن إلى قراءة هذه اليوميات، وفى البداية يقول «عبدالناصر»:

«.. وذات صباح وجدت نفسى فى محطة القاهرة مع عبدالحكيم عامر، وزكريا محيى الدين، نودع صديقنا وزميلنا فى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، كمال الدين حسين، وكان فى طريقه إلى فلسطين مع غيره من الأصدقاء والزملاء. كنا نهنئهم على الفرصة المتاحة لهم، وكنا نواعدهم على اللقاء بعد يوم غير بعيد فى الأرض المقدسة التى سبقونا إليها. وكنا نؤكد لهم فى حماسة ملتهبة أننا سنحاول من القاهرة أن نبذل جهدنا لإنجاح معركتهم. وكان آخر ما قلته لكمال الدين حسين قبل أن يتحرك القطار، إذا احتجت شيئاً فابعث إلىّ. سوف ألاحق أى طلبات لكم فى الجيش، ولن نترك الروتين العادى والتواكل والتهاون يعوق طريقكم. وتحرك القطار وقلوبنا تهتز من فرط الانفعال.

وبدأت أيام شهر مايو ونحن لا نزال فى القاهرة، وأعصابنا تحيا فى فلسطين. كنا نعيش فى دوامة من الأفكار والمشاعر.. وذات يوم قيل لنا أن دفعتنا من كلية أركان الحرب سوف تتخرج قبل الوقت المحدد، فإن احتمالات فلسطين قد تقضى بهذا.. وكان احتفال التخرج بسيطاً، هرعنا بعده لنعرف إلى أين ينتهى بنا المطاف، وصدرت إلىّ الأوامر بأن ألتحق بالكتيبة السادسة.

وصدرت إلى عبدالحكيم عامر لكى يلتحق بالكتيبة التاسعة.

وصدرت إلى زكريا محيى الدين لكى يلتحق بالكتيبة الأولى.

وكانت الكتائب الثلاث يومها على الحدود. ولم يكن هناك من يعرف على وجه اليقين ما الذى ستأتى به الأيام المقبلة.. وكنا نحن الثلاثة ـ على أية حال ـ نتعجل الزمان لكى نستطيع أن نلحق بكتائبنا على الحدود، وكانت الأوامر الصادرة لنا أن نغادر القاهرة يوم ١٦ مايو.

ولكن حماستنا لم تكن تطيق الانتظار، فقد كانت الصحف تطالعنا كل صباح

بفيض من الأنباء عما يجرى فى فلسطين، وفى الوقت نفسه كانت هناك تخمينات كثيرة وظنون متضاربة عن الموقف الرسمى الذى قد تتخذه الحكومة المصرية فى ذلك الوقت.

ولم يبد من سياق ما كنا نقرأه فى الصحف شيء واضح على وجه التحديد، ولكن احتمال دخول حرب فى فلسطين، كان قد بدأ يظهر. وكان الشعور فى كل مكان حولنا فياضاً دافقاً.. وغادرت بيتى صباح ١٦ مايو أحمل حقيبة الميدان بعد أن تركت على إحدى الموائد صحيفة الصباح، وكانت صفحتها الأولى مليئة بالبلاغ الرسمى الأول الذى صدر عن وزارة الدفاع فى ذلك الوقت. يروى للناس بداية العمليات الحربية فى فلسطين.

وتملكنى شعور غريب وأنا أقفز درجات السلم.

«وإذن فأنا فى الطريق إلى ميدان القتال».

واتجهت بى السيارة إلى بيت عبدالحكيم عامر، فقد كان مقرراً أن أمر عليه وعلى زكريا محيى الدين لكى نسافر معاً. وتركت فكرة ميدان القتال تستولى على أفكارى كلها، فقد كنت أريد أن أتجه إلى الذى ينتظرنى. وأنسى تماماً كل ما تركته وراء ظهرى، وأنسى بينه عاصفة من الدموع رأيتها تتجمع قبل أن أخرج من بيتى وتنتظر أن أبدأ هبوط السلم لكى يبدأ تساقطها.

وكان القطار الذى غادر القاهرة متجهاً إلى الحدود، حيث جبهة القتال ـ نموذجاً رائعاً لأمثاله أيام الحروب.

وكانت الحماسة تطبع كل حركة وكل كلمة وكل نظرة عين.. وكانت هناك أحاديث عن المجهول الذى ينتظرنا والذى كنا نريد أن نقذف أرواحنا وأجسادنا فى أقداره المخبوءة.. وكانت هناك، فى بعض الأحيان، أحاديث عن الزملاء الذين سبقونا إلى الميدان والذين تركناهم وراءنا فى العاصمة.. ولم يكد القطار يتحرك فى اتجاه ميدان القتال حتى أصبح الركن الذى جلسنا فيه ـ عبدالحكيم وزكريا وأنا ـ أشبه ما يكون بغرفة عمليات حربية.

وفتحنا خريطة كبيرة بيننا، وبدأنا نناقش الموقف.

وبدت أمامنا للوهلة الأولى فجوات كان يمكن أن يتسرب منها إلى خطوطنا خطر.

كان الجيش المصرى يومها مكوناً من تسع كـتائب، ولكن ثلاثاً منها فقط كانت قرب الحدود حينما صدر الأمر بدخول فلسطين، وكانت هناك رابعة فى الطريق.

وكنا نتساءل والقطار يندفع بنا إلى ميدان القتال.

- «لماذا لم يحشد عدد كبير من الكتائب ما دمنا نريد دخول حرب فلسطين»

«ولماذا لم يستدع الاحتياطى لكى تكون منه كتائب جديدة ترسل إلى الميدان على عجل؟».

«ثم لماذا يصف البلاغ الرسمى الأول عمليات فلسطين بأنها مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية؟».

وذهبنا إلى رئاسة المنطقة ونحن نتصورها خلية نحل تئز بالحركة الدائبة. ولكن رئاسة المنطقة لم يكن بها أحد كأنما هى بيت مهجور فى بقعة من الأرض، لا يسكنها بشر.

وحين عثرنا على أركان حرب المنطقة، كان الشاب يبحث عن عشاء لنفسه. واستضفناه على ما كان معنا من بقايا طعام، وكانت أصوات ضحكاتنا وأحاديثنا تجلجل فى البيت المهجور، وكانت لأصدائها فى نفسى مشاعر غريبة.

وجاءتنا الأخبار بعد العشاء بمواقع كتائبنا على وجه التخمين. كانت الكتيبة التاسعة فى غزة، وكذلك الكتيبة الأولى.

أما الكتيبة السادسة التى كنت سأعمل أركان حرب لها فقد كانت لا تزال فى رفح، وإن كانت قد تحركت منها إلى عملية ضد مستعمرة الدنجور ثم عادت إليها مرة أخرى.. وافترقنا.. ركب عبدالحكيم وزكريا سيارة جيب إلى غزة.. وركبت أنا سيارة أخرى إلى مواقع كتيبتى فى رفح».

ثم يصف «عبدالناصر» حال الفوضى والتسيب التى وجدها عند وصوله ولم يكن هناك من يعرف ما الذى يجب عمله على وجه التحديد.. ثم يقول «عبدالناصر»:

«ركبنا القطار إلى غزة وفى قلبى هموم، وعلى أية حال فقد كان يخفف من همومى إنى كنت أعلم أنى سوف ألتقى بعبدالحكيم عامر فى غزة. وأنى سأتسلم منه مواقعها، فقد كان عليه كأركان حرب للكتيبة التاسعة التى يتولى العمل فيها أن يسلمنى كأركان حرب للكتيبة السادسة المواقع التى سنحل فيها مكانهم.

وكان بينى وبين عبدالحكيم عامر حديث طويل فى غزة ونحن نطوف بالمواقع التى كان عليه أن يسلمها لى.

كانت مواقع الكتائب الأربع فى فلسطين يومها كما يلى:

الكتيبة السادسة متحركة من رفح إلى غزة.

الكتيبة التاسعة تستعد لمغادرة غزة بعد وصول كتيبتنا إليها.

الكتيبتان الأولى والثانية متحركتان إلى الأمام فى اتجاه المجدل على الطريق الساحلى.

وأذكر أننى صارحت عبدالحكيم عامر بهواجسى، فقد كنت أحس أن هناك عملية بعثرة لقواتنا، فنحن نتقدم على السهل الساحلى ونترك المستعمرات المحصنة وراء ظهرنا تهدد جناحنا الشرقى وخطوط مواصلاتنا.. وتركنى عبدالحكيم عامر مع كتيبته المتقدمة إلى الأمام، والتى كان عليها واجب فى معركة دير سنيد، بعد أن سلمنى ألف جنيه كانت فى عهدته، وكان عليَّ أن أشترى بهذه الألف كل ما أستطيع شراءه من جبن وزيتون.

وبدأت وأنا فى مكانى فى غزة ألاحق تطورات معركة دير سنيد التى كانت قد بدأت.. ألاحقها دقيقة بدقيقة.. وكانت ليلة ٢٠ مايو من أتعس ليالى حياتى، قضيتها فى مستشفى غزة العسكرى، والأسِرَّة حولى كلها مليئة بجرحى معركة دير سنيد التى لا تزال مستمرة.

كل هذا وراديو القاهرة يذيع بلاغاً أصدرته القيادة العامة تقول فيه: «إن قواتنا احتلت مستعمرة دير سنيد واقتحمتها اقتحاماً رائعاً بالمشاة». وكانت هذه كذبة مؤلمة، فإن المستعمرة لم تكن قد احتلت بعد. لقد انتهت معركة دير سنيد بعد تضحيات غالية بالنصر برغم كل المصاعب التى كانت تحيط بقواتنا.

وبعد المعركة صدرت الأوامر إلى الكتيبة الأولى بالتقدم إلى المجدل.

وتقدمت الكتيبة التاسعة إلى أسدود، ثم صدرت أوامر جديدة إلى الكتيبة الأولى بالاتجاه شرقاً واحتلال عراق سويدان.. والفالوجا.. وبيت جبرين.. ووصلت كتيبة جديدة إلى الميدان.. وهى الكتيبة السابعة.. وصدرت إليّ الأوامر بأن أسلمها قطاع غزة. لأن كتيبتنا كان عليها أن تتقدم إلى الأمام وتحتل مراكز أسدود. وكنت أشد الناس سعادة بهذه الأوامر. كنا - أخيراً - سنلتقى بالعدو، ونخوض معركة ضده، وكنت مرة

أخرى سألتقى بعبدالحكيم عامر، فقد كان هو أركان حرب الكتيبة التاسعة المحاربة فى أسدود. وكنت كأركان حرب للكتيبة السادسة سأتسلم منه ـ مرة أخرى ـ المواقع التى تحتلها كتيبته.

وقبل أن نتحرك من غزة جاءتنا أوامر غبية. جاءتنا إشارة استعداد بأن نجهز أنفسنا لنجدة الجيش الأردنى الذى كان مشتبكا فى معركة باب الواد.

ولم تكن لدينا أية معلومات عن معركة باب الواد.. وكان مدهشاً فى رأيى أن تكون لنا أربع كتائب فى فلسطين، ثم نتخلى عن واحدة منها ـ ربع الجيش المحارب تماماً ـ ونبعث بها إلى حيث لا ندرى فى باب الواد. ولكن الأوامر من حسن الحظ ألغيت، وكنا على استعداد للتحرك، ومضينا إلى حيث كان علينا أن نمضى أولاً.. إلى أسدود.. إلى حيث سنلتقى أخيراً بالعدو وجهاً لوجه.

والتقيت بعبدالحكيم فى أسدود. كان كما تركته لآخر مرة. ابتسامته التى تبعث على الثقة. وروحه الطليقة، وقضينا معاً ليلة لا أنساها. كان فراشه فى حفرة فى حديقة برتقال، ووضعت فراشى فى الحفرة نفسها على الناحية الأخرى من شجرة البرتقال.

ولم ننم طوال الليل. كان الجو غريباً مثيراً، كنا فى أقصى المواقع الأمامية قرب العدو، وكان جهاز اللاسلكى بجوار عبدالحكيم ينقل إليه التطورات دقيقة بدقيقة.

وعلمت من عبدالحكيم لأول مرة أن هجوماً سيقع فى الغد على مستعمرة نيتساليم، وأبديت لعبدالحكيم قلقى من أن يتكرر أمام نيتساليم ما حدث من قبل فى دير سنيد.

وبدأ عبدالحكيم يهدئ قلقى، قال لى: إنه تعلم دروساً من دير سنيد. وقال لى إن روح الضباط الشبان عالية لدرجة أنه أجرى قرعة بين السرايا لكى يحدد أيها يقع عليها مهمة قيادة الهجوم، ولكن قائد إحدى السرايا تطوع ورفض إجراء القرعة، وكان هو اليوزباشى محمود خليف، وكان أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار.

وتركنى عبدالحكيم عند الفجر ومضى إلى المعركة، وقضيت يوماً مشحوناً.

كان علىّ أن أرتب مواقع كتيبتنا فى مواقعها الجديدة، وكنت مشغولاً فى الوقت نفسه بالذى يجرى أمامنا إلى الغرب على الساحل فى نيتساليم، وكنت أتسقط أخبار المعركة.

وعند العصر جاءتنا الأخبار، بأن الكتيبة التاسعة نجحت فى عملها، وأنها استولت

على مستعمرة نيتساليم.. وعلمت أن خليف قائد السرية المتقدمة قد استشهد، وعلمت أن عبدالحكيم عامر لم يطاوعه قلبه، فمضى مع السرية المتقدمة، وأن شظية أصابته، ولكنه سليم وبخير.

وكانت تلك هى المعركة التى رقى فيها عبدالحكيم ترقية استثنائية فى الميدان».

ومضت الأيام والأسابيع، وجاءت الهدنة الأولى والثانية ثم خرق العدو الإسرائيلى هذه الهدنة وهاجم القوات المصرية، فى أكثر من موقع ومنها «تقاطع الطرق» عند عراق سويدان، وسرعان ما سقط موقع تقاطع الطرق الذى استقبل «جمال عبدالناصر» نبأ سقوطه بذهول شديد والذى كتب يقول فى يومياته:

«.. ولقد تلقيت سقوط موقع تقاطع الطرق عند عراق سويدان بدهشة. كنت أدرك أن الموقع بالغ الأهمية بالنسبة لنا، فإن سقوطه معناه عزل قواتنا على القطاع الممتد من عراق سويدان إلى الخليل عن مجموعة الجيش الرئيسية العاملة على الخط الساحلى بين غزة وأسدود، كان هذا الموقع فى حماية الكتيبة التاسعة، ولكن قائد الكتيبة كان فى إجازة، وقتل قائدها الثانى فى ضربة مباشرة لقنبلة هاون، وركب قائدها الثالث سيارة وانطلق بها ولم يتوقف إلا فى الإسماعيلية، أما القائد الرابع فقد ترك الكتيبة وذهب إلى القيادة العامة فى المجدل.

ومن سوء الحظ أن عبدالحكيم عامر الذى كان أركان حرب لهذه الكتيبة كان قد نقل منها ليعمل أركان حرب للكتيبة الثانية. وأقول - وأنا واثق أن الصداقة وحدها ليست هى المنبع الذى يصدر عنه قولى - إنه لو كان عبدالحكيم عامر مازال أركان حرب لهذه الكتيبة لتغير مجرى المعركة. ولما استطاع العدو ببساطة أن ينجح فى هجومه الليلى على الموقع ويدخله مفاجأة وغدراً».

❑

وانتهت حرب فلسطين بالهزيمة!

واتضح لجمال عبدالناصر ورفاقه من الضباط الأحرار أن المعركة الحقيقية هى فى مصر، وأن الثورة هى الحل!!

ويصف جمال عبدالناصر أحوال مصر وقتها فيقول:

«وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية سنة ١٩٥٢ كانت هناك فكرة ترى

أن الحل الوحيد هو اغتيال أقطاب النظام القديم وبدأنا باللواء سرى عامر، وهو أحد قادة الجيش الذين تورطوا تورطا خطيراً فى خدمة مصالح القصر، ومع أن ميولى الطبيعية كلها كانت معارضة لهذه السياسة، فقد أخذت على عاتقى مسئولية أول محاولة.

وكانت ليلة لاتنسى، فقد اختبأت أنا وزملائى الذين اخترتهم ليقوموا بالمحاولة معى تحت أسوار الشجيرات المحيطة بفيللا اللواء، وحين خرج من سيارته أطلق النار عليه اثنان من زملائنا كانا على استعداد بالمدافع الرشاشة، ولما جرينا لنلتمس الهرب لاحقنى عويل سيدة يمزق القلب وصرخات مذعورة.

ولم أذق للنوم طعما فى تلك الليلة، فقد كنت أفكر فيما فعلته وأنى لأذكر أنى صليت راجيا ألا يموت، وغمرتنى روح الارتياح عندما قرأت فى صحف الصباح أنه لم يصب حتى برصاصة واحدة، وكانت هذه هى محاولة الاغتيال الأولى والأخيرة التى قمت بها، وقد وافقنى الجميع على العدول عن هذا الاتجاه وصرف الجهود إلى تغيير ثورى إيجابى.

واشتد التوتر درجة درجة، حتى بلغ قمته ـ وهنا بدأت معركة التعبئة الثورية ـ وبدأنا نوالى إصدار منشورات«الضباط الأحرار» وكنا نطبعها ونوزعها سرا».

وكانت الأحداث تتطور بسرعة لا نملك السيطرة عليها. كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات، وبدأت الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علنا، وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ حدثت مأساة حريق القاهرة، وقبل أيام قليلة من اندلاع حريق القاهرة جرى اجتماع مهم فى منزل«كمال الدين حسين» وتم انتخاب«جمال عبدالناصر» رئيساً للجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار، ومما يلفت الانتباه أن الجميع أعطوا أصواتهم لجمال عبدالناصر، أما عبدالناصر نفسه فقد أعطى صوته لحسن إبراهيم.

وبعد أسبوع جرى اجتماع آخر فى بيت«حسن إبراهيم»!

وحسبما روى السادات فيما بعد«وفى نفس الاجتماع كلف المجلس«عبدالحكيم عامر» بعمل«تقريرموقف» للحالة من جميع نواحيها الشعبية والسياسية والعسكرية، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس فى أسرع وقت.. فقد كان الشعب يغلى.. والجيش يغلى، وكان لابد من عمل!».

«ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين لكى ندرس التقرير الذى أعده «عبدالحكيم عامر» وفى هذا الاجتماع استطعنا أن نطمئن تماما.. وانتهينا إلى أننا قادرون على القيام بالحركة فى أول فرصة ممكنة وأن إمكاناتنا تضمن لنا النجاح!».

ويؤكد السادات قائلا: «لم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من «عبدالحكيم»، فقد كان مسبوقاً بجولة قام بها«جمال»و«عبدالحكيم» داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لأول مرة، ومعرفة القوة التى نستطيع الاعتماد عليها».

ويظل دور«عبدالحكيم عامر» فى تكوين تنظيم الضباط الأحرار يحتاج إلى تسليط الأضواء عليه، ولايكفى أن يقول الابن الأكبر للمشير عامر«إن والدى جند أكبر عدد من الضباط، وهو اللى جاب محمد نجيب ورشحه» فمن الضرورة العودة إلى شهادات الآخرين وقراءتها بهدوء، وفى مذكرات «صلاح نصر» ـ الجزء الأول بعنوان «الصعود» والصادر عن دار الخيَّال ـ يقول:

«كنت أرتبط بعلاقة صداقه متينة مع«عبدالحكيم عامر» منذ عام ١٩٣٨ أثناء دراستنا فى الكلية الحربية، إذ كان مسئول الصف الذى ضممت إليه عند الالتحاق بالكلية الحربية، وكان صلاح سالم زميلا لى فى الصف والدفعة، وكانت تربطنى به وشائج صداقة ولكن ظروف التنقلات كانت تقطع اتصالاتنا.

وفى لقاء من لقاءاتى المتعددة مع«عبدالحكيم عامر» فاتحنى فى الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار فوافقت بحماس، وفى إحدى المرات حضر عبدالحكيم عامر«برفقة»«صلاح سالم» وطلب استعارة سيارتى الخاصة!!

وقبل أن أؤدى الامتحان الأول لكلية أركان حرب، كان سلاح المشاة يعقد لضباطه فرقة تأهيل، وكان جمال عبدالناصر يدرس لنا مادة الشئون الإدارية.

لم تكن قد توطدت علاقتى بعبدالناصر بعد، وكنت أعرفه كزميل فى القوات المسلحة نقطن بالقرب من بعض عدة سنين.. وكنت قد قمت عام ١٩٤٩ بتأليف أول كتاب لى بالاشتراك مع الزميل كمال الحناوى عن مادة الشرق الأوسط التى كان يمتحن فيها الطلبة المتقدمون للامتحان النهائى لكلية أركان حرب، ونشرنا الكتاب بعنوان«الشرق الأوسط فى مهب الرياح».. وقد أقرته إدارة التدريب فى الجيش كى يكون مرجعا من مراجع مادة الشرق الأوسط التى تدرس لطلبة كلية أركان حرب..

وفى أحد الأيام، وبعد أن انتهى جمال عبدالناصر من إلقاء محاضرة فى مادة الشئون الإدارية للطلبة المتقدمين لكلية أركان حرب، وجدته يسأل عنى،ثم انفرد بى وقال: ممكن نشرب قهوة عندك فى البيت؟ قلت له: بكل سرور متى تحب؟ قال«الآن إذا لم يكن لديك مانع» واستقل معى عربتى الفيات، وتوجهنا إلى حدائق القبة حيث انتقلت إلى منزل جديد فى شارع الدويدار، أحد الشوارع المتفرعة من شارع مصر والسودان عند اقترابه من سراى القبة.

كان عبدالحكيم عامر قد حدثنى كثيرا عن جمال عبدالناصر، وكان يبدو من حديثه أنه يكن له حبا كبيرا وتقديرا عظيما، ولما طلبت منه بعد ضمى إلى التنظيم أن أقابله أجاب عبدالحكيم بأنه سيرتب ذلك،ولكنه أوصانى أن أسلك سبيل الكتمان فى أى حديث يدور حول التنظيم.

وكانت تعليمات التنظيم تنص على ألا يتحدث أى عضو مع أى أحد من الضباط حتى لو كان صديقا له.. ولذلك حينما قامت الثورة ظهر أن لى أصدقاء قريبين كانوا منضمين للتنظيم مثل عباس رضوان وكمال الحناوى.. وكانت مفاجأة لنا جميعا أن نرى أنفسنا فى تنظيم الأحرار، وقد أخفى كل منا السر عن أقرب أصدقائه.. وكان هذا الكتمان عاملا حيويا لعدم تسرب أية أخبار عن التنظيم.

أخذ عبدالناصر يجاذبنى أطراف الحديث وهو يرشف قهوته، وبدأ الحديث عن كتاب«الشرق الأوسط فى مهب الرياح» وأخذ يشيد به وبالجهد الذى بذل فيه.. ثم ناقشنا بعض الموضوعات التى جاءت به مثل المسألة الشرقية،والفصل الخاص ببترول الشرق الأوسط وغير ذلك من الموضوعات.

وبالطبع لم يكن جمال عبدالناصر يهدف إلى مناقشة الكتاب سالف الذكر، ولكنه كان يريد أن يتعرف علىّ، فما أن انتهينا من موضوع الكتاب حتى ذكر لى بصراحة، أنه سعيد لانضمامى للضباط الأحرار، وأنه يعرف كل مادار بينى وبين عبدالحكيم عامر وصلاح سالم. واستمرت علاقتى بعبدالناصر وعبدالحكيم عامر وصلاح سالم».

ويذكر صلاح نصر: «وللتاريخ فقد كان عبدالناصر هو العقل المدبر للتنظيم بينما كان عبدالحكيم عامر هو الدينامو أو المحرك لنشاطه، وبلاشك كان له الفضل فى تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار».

وحسبما يقول«محمد أحمد البلتاجى»: «فى عام ١٩٥٠ جندنى عبدالحكيم عامر للضباط الأحرار مع«عبدالمحسن أبو النور» و«عباس رضوان» و«إسماعيل فريد» وكنا نعقد اجتماعات دورية كل يوم ثلاثاء».

ويضيف عباس رضوان:«عبدالحكيم عامر كان بيراقب علىَّ فى الامتحان.. وبعد ما أخذ الورق بتاع الامتحان قال لى افرض إنى أنا احتجت لك.. قلت له خلاص اعتبر الموضوع منتهى.. وفى خلال أسبوعين يمكن من هذا الكلام وجدت شبه اتفاق على أن نتقابل أنا وهو وجمال عبدالناصر وإسماعيل فريد الأخ اللى كان فى محافظة الدقهلية.. والأخ محمد أحمد البلتاجى اللى كان فى محافظة الجيزة.. اجتمعنا احنا الخمسة فى منزل إسماعيل فريد.. اتكلم عبدالحكيم عامر واتكلم جمال عبدالناصر عن وجود تنظيم الضباط الأحرار.. فرحبت وابتدت تكون لنا جلسات كل عشرة أيام وكل أسبوعين - فى سرية طبعا».

ويكمل ملامح الصورة «محمود الجيار» فيقول:

«حدث بعد حرب فلسطين أن بدأت، عملية تشتيت للضباط كان نصيبى منها النقل إلى السودان مع كتيبة أخرى لا أتبعها، فذهبت أشكو إلى«عبدالحكيم عامر» كمسئول عن شئون الضباط فى سلاح المشاة، ومن هذا الموقع كسب حب الكثيرين لرجولته وحسن تصرفه.

وإذا بعبدالحكيم عامر الذى كنت أراه يومها لأول مرة يقول لى:

ماذا يضايقك؟! ستمتع بسياحة إلى السودان، وهناك سيرفضون بقاءك لأنك لست تابعاً لهم فتعود بعد أيام ويعاقب الرجل الذى أرسلك!!

ثم ابتسم وقال: أنت تتفسح.. وهو يعاقب.. وحشه دى!!

ففرحت بالفكرة بعد أن بدأت أنظر إلى عملية نقلى على هذا الضوء الجديد!!

كان هذا أسلوب «عبدالحكيم عامر» ومثل هذا الأسلوب عند رجل يتولى شئون الضباط يمكنه بالطبع كسب شعبية خاصة بينهم، ومن هذا استطاع أن يضم إلى تنظيم الضباط الأحرار عددا من الضباط أكثر من الذين ضمهم معظم الأعضاء الآخرين، وكان التنظيم فى الواقع من صنعه هو«وجمال عبدالناصر» أولا، مع مساهمات محدودة من الآخرين».

أثناء حرب فلسطين بدأت معرفة «أحمد لطفى واكد» بجمال عبدالناصر، ففى ١٥ مايو ١٩٤٨ تم تعيين أحمد لطفى واكد حاكما إداريا للفالوجا وبيت جبرين، وبعد ذلك بدأت صلته بالضباط الأحرار عن طريق جمال عبدالناصر.

كتب أحمد لطفى واكد يقول:

«قبل أن ألتقى بعبدالحكيم عامر لأول مرة فى أوائل عام ١٩٥١ كان «عبدالناصر» قد حدثنى عنه بكثير من المحبة والثقة حتى تصورتهما«توأمين» ولما عرفت«عبدالحكيم» اكتشفت أن ما بينهما من علاقة يتجاوز الالتقاء الفكرى والوطنى والسياسى إلى حب أخوى صوفى.

وكان عبدالناصر يقول: «إذا أردت أن أفكر فى أى موضوع أو أحل أية معضلة فإننى أتكلم بكل حرية مع عبدالحكيم إلى أن تتبلور أفكارى».

ويقول د. ثروت عكاشة فى مذكراته:

«فى عام ١٩٤٥ التقيت بجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر أثناء دراستنا فى كلية أركان حرب وتوطدت بيننا أواصر الصداقة يدعمها الشعور الوطنى المشترك، كما كانت تربطنى خارج الكلية نفس الصلات بخالد محيى الدين زميلى بسلاح الفرسان، وخلال سعينا الوطنى الحائر كشباب يبحثون عن حل لإنقاذ الوطن مما تردى فيه آنذاك، استقر بنا الرأى على الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين التى كانت تضم آخرين غيرنا من الضباط الشبان فى خلاياها المختلفة، واستمرت صلاتنا بتلك الجماعة حتى نشبت حرب فلسطين التى اشتركنا فيها وانقطعت صلتنا بها منذ ذلك الحين، وقد حدث قبل إعلان الحرب رسميا على الصهيونية أن طلب منا جمال عبدالناصر التطوع فى صفوف الفدائيين بصفته المشرف على تنظيمنا، غير أن الحكومة مالبثت أن أعلنت الحرب.

بعد عودتنا من حرب فلسطين عينت برئاسة هيئة أركان حرب الجيش، وعين جمال عبدالناصر مدرسا بكلية أركان الحرب، وعبدالحكيم عامر برئاسة سلاح المشاة، وبدأ كلاهما يدعو إلى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار، وانضممت إليهما بصورة تلقائية نظرا للصلات القوية بيننا والتى سبق أن أشرت إليها، فضلا عن القدوة الحسنة التى كان يضربها جمال عبدالناصر للجميع مما جعلنا نؤمن بقيادته».

ويقول«كمال رفعت»: كنت أستلم المنشورات ـ من المرحوم المشير عبدالحكيم عامر، وكان وقتئذ أركان حرب سلاح المشاة ـ بالقاهرة حينما أكون بإجازة الميدان، وكانت ثلاثة أيام كل شهر، ونقوم بتوزيعها فى منطقة العريش ونسلم جزءا منها إلى المرحوم صلاح سالم فى منطقة رفح لتوزيعها بمعرفته.. وكنا قد لجأنا إلى هذه الوسيلة حيث كانت المنشورات المرسلة بالبريد للانباط تصادر فى القاهرة.. هذا علاوة على بعض المنشورات التى كنا نطبعها بمعرفتنا فى منطقة العريش.

وقد فوجئت بنقلى إلى الكلية الحربية فى أوائل عام ١٩٥١، على الرغم من أننى لم أسع إلى ذلك.. وقد علمت أن المرحوم عبدالحكيم عامر قد أجرى هذا النقل وغيره بهدف تجمع أكبر عدد من الضباط الأحرار فى القاهرة.. ومنذ ذلك الوقت استمرت صلتى بالرئيس الراحل جمال عبدالناصر حيث إن المرحوم عبدالحكيم عامر كان قد نقل إلى رفح».

ويضيف« مجدى حسنين»: «تعرفت معرفة شخصية بجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر. وبدأت الاتصال بالإخوان المسلمين مع نهاية الحرب العالمية الثانية عن طريق محمود لبيب وكان معنا جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وعبداللطيف البغدادى وخالد محيى الدين وإبراهيم الطحاوى وكمال حسين وعبدالمنعم عبدالرءوف ومعروف الحضرى.

وأذكر يوم وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩٤٦ حين شاركت فى الهجوم على حارة اليهود وحرقنا مكتبا فى شارع فاروق (الجيش الآن).

كنا نعقد جلسات لتحضير الأرواح شبه منتظمة يحضرها جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ولواء طبيب حسين رياض وعزت خيرى الأستاذ فى كلية العلوم وشقيق طلعت خيرى ضابط المدفعية. وقد امتدت هذه الجلسات إلى ما بعد حركة الجيش وأذكر أن إسماعيل الأزهرى قد حضر واحدة منها».

❑

وكما نجح«عبدالحكيم عامر» فى تجنيد هذا العدد الكبير من الضباط لتنظيم الضباط الأحرار، فقد نجح فى تجنيد اللواء«محمد نجيب» نفسه، وكانت البداية على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ أثناء الحرب .

وكتب «محمد نجيب» يقول:

«ولم أترك يوما واحدا يمضى دون الاتصال بمن أثق فى رجولتهم من الضباط.. أحرضهم على إجادة القتال، وأحرضهم فى الوقت نفسه على الاهتمام بما يدور فى العاصمة. وكان الصاغ أ.ح. عبدالحكيم عامر قد عين أركان حرب للوائى، وقد وجدت فيه ضابطاً ذكياً دقيقاً.. وعندما سمعني أردد هذه الآراء ذهب إلى صديقه البكباشى أ.ح. جمال عبدالناصر وقال له ـ كما أخبرنى فيما بعد ـ «لقد عثرت فى اللواء محمد نجيب على كنز عظيم».

وقابلت فى هذه الفترة النشطة عددا كبيرا من الضباط..ولم يكن حديثنا يخرج عن إطار ضرورة تغيير الأوضاع فى مصر.. وخلال حلقات الحديث تعرفت بالبكباشى أ.ح. جمال عبدالناصر والصاغ أ.ح. كمال حسين والبكباشى أنور السادات والصاغ أ.ح. صلاح سالم الذين ضمهم مجلس الثورة فيما بعد .. وتعرفت إلى عدد كبير من الضباط كانوا يتحدثون بنفس اللغة.

ورغم أنى محسوبا من ناحية السن والرتبة على كبار الضباط، إلا أنى كنت منجذبا دائما إلى صغار الضباط، أجد فيهم الوهج الذى كان يخبو فى صدور أبناء جيلنا.

وكان عبدالحكيم عامر هو أقرب هؤلاء إلى قلبى وإلى مكان عملى.. إذ كان أركان حرب لى.. بينما كنت أحمل فى قلبى بعض الشكوك التى تبين أنها غير صحيحة تجاه المرحوم صلاح سالم لصلته الوثيقة بالفريق محمد حيدر».

وحسب ما جاء فى مذكرات«صلاح نصر» فقد كان اللواء «محمد نجيب» يحب «عبدالحكيم عامر» حبا كبيرا، وكان يتباهى به فى كل مكان، وكان يقول: لو فتحوا قلبى لوجدوا فيه صورة عبدالحكيم منقوشة عليه».

ويضيف« محمود الجيار» قائلا: «كان «عبدالناصر» قد أقنع زملاءه بضرورة اختيار شخصية عسكرية كبيرة تعلن الثورة باسمها حتى تكون أكثر إقناعا للجماهير، وعندما بدأ اقتراح الأسماء كان«محمد نجيب» مرشحا من عبدالحكيم عامر بينما رشح الباقون اللواء «فؤاد صادق»وكانت مؤهلات فؤاد صادق هى شهرته فى حرب فلسطين أيام تولى القيادة بعد اللواء المواوى.

ولكن مؤهلات نجيب كانت أرجح فهو مثل«فؤاد صادق» أبلى بلاء حسنا فى حرب

فلسطين، ولكن زاد عليه أنه كسب شعبيته فى الجيش عندما تحدى مرشح الملك فى انتخابات نادى الضباط عام ١٩٥١..و..و.

كانت الاعتبارات التى رجحت كفة نجيب موضوعية جدا وتنطوى على كثير من الحكمة ،ولكن الفريق الآخر اعتبر اختياره نصرا شخصيا لعبدالحكيم عامر وهزيمة لهم، وتصوروا أن عبدالناصر قد مال إلى هذا الاختيار مجاملة لصديقه.. ثم لم يلبث هذا الإحساس أن تفاقم بعد الثورة».

❑

واقتربت ساعة الصفر!!

وأصبح الضباط الأحرار فى سباق رهيب مع الزمن، وكان«جمال عبدالناصر» وعبدالحكيم عامر لا يهدآن فى تلك الساعات الخطيرة التى سبقت قيام الثورة! ويروى اللواء «محمد نجيب» تفاصيل ماجرى فيقول:

«فى يوم ١٨ يوليو حضر إلىَّ بعد الغروب بقليل رجل أعرفه وطلب منى الذهاب لمقابلة محمد هاشم (باشا) وزير الداخلية، وزوج بنت حسين سرى والرجل القوى فى وزارته.

ولما كنت أعرف هذا الرجل منذ كان يعمل مع محمود فهمى القيسى (باشا) وزير الداخلية وقريب زوجتى فقد خرجت معه مطمئنا دون أن أحمل سلاحا ولم نجد الوزير فى الشقة التى أخذنى لها فى الزمالك فاتصل به الرجل تليفونيا، فأجاب بأنه سيعود فور انتهاء اجتماع مجلس الوزراء.

ومرت الدقائق والساعات بطيئة وثقيلة، وتجاوز الوقت منتصف الليل ولم يحضر الوزير... وبدأت الشكوك تلعب فى نفسى بأننى ربما قد وقعت فى كمين.. ودرت بنظرى فى غرفة الصالون الفاخرة التى أجلس بها.. ونقلت مكانى إلى مقعد بجوار زهرية من النحاس الثقيل لأستخدمها فى الدفاع عن نفسى إذا هوجمت.

وفى الساعة الواحدة والقلق يستبد بى وصل وزير الداخلية. وبعد تحية طيبة أخذ يسألنى عن أسباب تذمر رجال الجيش وعن مطالبهم. وأطنبت فى شرح أسباب التذمر. وأرجعتها إلى أننا نُحكم حكما ديكتاتوريا وليس حكما ديمقراطيا معبرا عن إرادة الشعب.

وأدار هاشم (باشا) الحديث فجأة، ليسألنى عما إذا كان تعيين وزير حربية نرضى عنه، يعتبر كافيا لإزالة أسباب التذمر، وخلق حالة من الرضا بين الضباط... واستطرد متسائلا عما إذا كنت أنا شخصيا أقبل هذا المنصب، وكان الاقتراح مفاجئا، ولكنى أجبت بالرفض مباشرة متعللا بأن وكالة وزارة الحربية عرضت علىّ ورفضتها، وأنى لا أفضل عن مكانى فى الجيش شيئا... ثم قلت له مداعبا بأنكم إذا عينتمونى وزيرا للحربية فإن وزارتكم ستقال فى اليوم التالى. وخلال هذا الحديث الذى امتد حتى الثانية بعد منتصف الليل، أبلغنى هاشم (باشا) بطريقة عابرة أن هناك لجنة من ١٢ شخصا عرفت الجهات المسئولة أسماء ثمانية منهم ... ثم لم يشأ أن يصرح بشىء!

وأثناء عودتى إلى منزلى فى الزيتون، وكان ليل القاهرة هادئا صافيا استرجعت مادار من حديث. وأدركت أن الموقف خطير... خطير.

نمت نوما متقطعا وأنا أرنو إلى نور الصباح... وقبل أن أخرج من المنزل حضر الصاغ جلال ندا الضابط السابق الذى كان يعمل محررا عسكريا بدار أخبار اليوم، ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة (وقتئذ) لسؤالى عما تم فى مقابلتى مع محمد هاشم (باشا) وزير الداخلية... واستبدت بى الدهشة عن سر معرفة المقابلة.

وكنت أعرف محمد حسنين، فقد كان مراسلا حربيا أثناء معركة فلسطين وحضر لتغطية الموقف عقب معركة أسدود. كما أنى عرفته بالمحامى عبدالحميد صادق الذى كان يصرف من جيبه الخاص على كتائب الفدائيين فى معركة الكفاح المسلح ضد الإنجليز بالقناة ١٩٥١ وذلك ليعمل تحقيقا صحفيا عن الفدائيين.

وأثناء جلستنا فوجئت بحضور البكباشى جمال عبدالناصر والصاغ عبدالحكيم عامر على غير موعد.. ولما وضح من حركتهما أنهما يريدان أن يسراً إلىّ بشىء ما. أخذتهما من الصالون إلى غرفة الطعام المجاورة... ولكن بعد أن طلب هيكل أن أقدمه لهما... وكان لقاءه الأول لهما.وفى هذه الجلسة تحدد موعد الثورة.

كان جمال وعبدالحكيم يريدان أن تكون الحركة ـ الثورة ـ يوم ٤ أغسطس لسببين:

أولهما: اكتمال وصول الكتيبة ١٤ مشاة إلى القاهرة فى حركة التنقلات العادية.

وثانيهما: هو أن يكون الضباط قد حصلوا على مرتباتهم فى أول الشهر.

ورفضت السببين، فإن القوات التى كانت معنا تعتبر كافية لإنجاز مهمتنا وليس هناك

مبرر للتأجيل من أجل استلام المرتبات.. وحسمت الأمر بتوضيح الخطر الذى يهددنا جميعا والذى لمح له وزير الداخلية فى جلستى معه الليلة الماضية.. واتفقنا على أن تحركنا يجب أن يتم خلال أيام محدودة حتى نحقق عنصر المفاجأة.. وتحققت المفاجأة بدرجة لاتخطر على بال أحد سواء الملك أو الأحزاب أو الإنجليز!!!».

❑

فى ليلة الثورة وقع حادث على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية، فقد تم عقد اجتماع لأركان حرب الجيش فى قيادة الأركان بكوبرى القبة، ولم يدع له اللواء «محمد نجيب» الذى عرف بأمر هذا الاجتماع المفاجئ من شقيقه اللواء«على نجيب» الذى حضر الاجتماع وعرف مادار فيه كاملا!!

ويقول«خالد محيى الدين»: «وبالفعل نجح محمد نجيب فى الاتصال بعبدالحكيم عامر ليبلغه بما حصل عليه من معلومات. أسرع «عبدالحكيم عامر» إلى جمال وخرجا معا بملابسهما المدنية فى سيارة«جمال» الصغيرة بأمل أن يلتقطا أى خيط من قواتنا ليدفعاه إلى الإسراع نحو كوبرى القبة واعتقال الضباط الكبار(فكرة محمد نجيب لعامر) قبل إفسادهم لخطتنا!».

ويمضى خالد محيى الدين ليروى ما جرى بعد ذلك فيقول:

«كان الموكب يسرع نحو هدفه.. فى هذه الأثناء اقترب شخصان يرتديان ملابس مدنية ويركبان سيارة صغيرة من هذا الطابور الغريب والمريب، وتقدم«عبدالحكيم عامر» بصورة لافتة للنظر محاولا أن يتعرف أية قوات هذه وإلى أين تتجه؟! وتحت قيادة من ؟ ولحساب من تتحرك؟ وارتاب الجنود فى هذين الشخصين وقاما بالقبض عليهما، وثارت ضوضاء وتوقفت السيارة الجيب وخرج يوسف صديق ليسأل عما جرى.. فوجد أمامه«جمال عبدالناصر» مقبوضًا عليه هو وعبدالحكيم عامر فأمر على الفور بإطلاق سراحهما.

وأسرع«جمال وعبدالحكيم» إلى منزليهما ليلبسا ملابسهما العسكرية، وأسرع يوسف صديق ليوزع قواته لتصبح فى وضع الاقتحام».

❑

وفيما بعد روى«عبدالحكيم عامر» قصة الأيام الحاسمة الفاصلة التى سبقت قيام

الثورة وأزاح فيها الستار عن معلومات لم تكن معروفة أو متداولة، واللافت للانتباه أن ما رواه عبدالحكيم عامر جاء ضمن سياق كتاب صدر بمناسبة العيد الثالث لثورة ٢٣ يوليو. كان اسم الكتاب «جمال عبدالناصر والثورة» ويقع فى ١٢٨ صفحة، أما مؤلف الكتاب فهو الكاتب«أنور الجندى».

قال «عبدالحكيم عامر»:

«نحن فى أوائل يوليو ١٩٥٢ والوزارة وزارة السيد«حسين سرى» وموجات السخط تجتاح النفوس، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة، وجاءنى جمال عبدالناصر وحسبتها زيارة عادية لكن كان لها ما بعدها، فلا شئ وراء جمال عبدالناصر إلا الحسم. سألنى: هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادى الضباط؟!

وأجبت: نعم..

وصمت جمال قليلا إلا أنه كان بادى التفكير، كمن اتخذ بينه وبين نفسه قرارا معينا. ثم عاد وسألنى: إيه رأيك.. إن حل مجلس إدارة نادى الضباط معناه أن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم.. وأتبع كلامه بقوله: «وحسين سرى عامر» إذا أصر الملك على تعيينه وزيرا للحربية فمعنى ذلك أن أى ضابط«فيه رمق حيتبهدل».

وتكلمت وأنا أعتقد أن كلامى سيطابق القرار الذى اتخذه بينه وبين نفسه..

وقلت: مفيش حل إلا أن الحركة ـ الثورة ـ تتعمل.

فقال : أنا فعلا وصلت إلى هذا القرار..

وتصافحنا.. وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار لا خارجه كما كنا منذ دقائق، ووجدنا أنفسنا فى المعمعة نجد ونكد ونسهر وننام(إن نمنا) بعين واحدة، والأخرى تراقب الاحتمالات والمفاجآت التى تحملها لنا الليالى.

واتفقنا على اتخاذ إجراءات واسعة للاتصال بالضباط الموجودين خارج القاهرة والموجودين بها، وكثير منهم كانوا بالإجازات، وأخذ البكباشى«جمال» على عاتقه أن يتصل بالضباط الموجودين بالقاهرة أساسا».

ويضيف «عبدالحكيم عامر» ماجرى بعد ذلك فيقول:

«كان لابد أن أتصرف فى حكاية الإجازة التى انتهت حتى أستطيع البقاء فى القاهرة فذهبت إلى المستشفى العسكرى وقلت «عيان» فقالوا لا «مش عيان» ولازم ترجع وحدتك.. ياللا على رفح..!!

ولكنى قلت للأطباء: وهو العيان يتقال له كده، مش تكشفوا عليه الأول!!

فسابونى وماسألوش فىَّ، وغبت عن المستشفى أسبوعا كاملا بلا إجازة، قمت فيه بمهمتى من حيث الإعداد والتنظيم والاتصال.. ودخلنا فى اللحظات الحرجة ووضعت أكثر من خطة على أساس تقديرين لا ثالث لهما:

إما أن نقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة.

وإما أن يقسم الضباط أنفسهم إلى (٣٠ تيم) بأسلحة كاملة من الجيش، وفى ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملائهم وتنظف البلد تنظيفا شاملا.

ثم اقتربت الساعة الحاسمة، وكنا قد انتهينا من إحصاء قوتنا والتعرف على إمكاناتنا فرأينا أن الأساس الأول: وهو القيام بحركة كاملة هو الأساس الأمثل، واتخذنا هذا القرار، ذلك لأن التدبير الثانى فيه ضرر، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين فإن أذنابهم لاتنتهى.

وهنا رأينا أيضا أن تقدير الموقف الذى حسبناه بعد عودتنا من فلسطين، قد طابق الواقع تماما، أنه خلال أدنى مدة ـ وهى ٣ سنوات ـ استطعنا تجهيز قوتنا تماما، ولقد ساعدتنا الظروف السياسية القلقة، وتذمر الضباط الشديد من تصرف الخونة فى مصير الجيش وأنظمته وكرامته؛ على أن ننفذ خطتنا فى سنة ١٩٥٢».

وعن تلك الساعات الخطيرة قبل قيام الثورة يقول «جمال عبدالناصر»:

«ومن مشاكلى أن كثيرين من الضباط الأحرار كانوا فى أماكن نائية لا تمكنهم من مساعدتنا، ولم يكن فى القاهرة إلا ثلاثمائة ضابط يمكن أن يناصرونا بصورة محققة، ولقد قررت ألا أشرك الكثيرين من هؤلاء إشراكا إيجابيا، فقد كان الاحتياط أمرا جوهريا لنجاحنا، ومن ناحية أخرى فلقد تصورت أنه ربما كان خيرا لو تركنا قوة أخرى من زملائنا تغلى قلوبها بالثورة لتواصل العمل إذا أخفقت محاولتنا.

ورسمت الخطة الأساسية بعد اجتماعات عقدناها فى بيوت عدد منا وسلمتها لعبدالحكيم عامر ليضع تفاصيلها، وكنا نريد أن نبدأ فى التنفيذ بعد ٢٤ ساعة أى فى ليلة ٢١ يوليو، لكن كان من المحال استكمال خطتنا، على هذا الأساس وبناء عليه أجلت ساعة الصفر إلى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يوليو».

وفى التحقيق الصحفى الذى نشرته «آخر ساعة» (١٢ مايو١٩٥٤) تحت عنوان «مواقف من ليلة ٢٣ يوليو» وكتبته «إيزيس فهمى» تجىء مزيد من الأضواء عن دور عبدالحكيم عامر ليلة الثورة وبالتفصيل، تقول سطور التحقيق:

«فى الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة كان «عبدالحكيم عامر» مع جمال عبدالناصر وذهبا سويا فى سيارته الصغيرة الأوستن، للقيام بجولة استكشافية فى منطقة المعسكرات ومقر قيادة الجيش لاستطلاع الأمور والتأكد من الموقف!

وبينما هما فى طريقهما إلى العباسية وعلى مقربة من مقر قيادة الجيش فى القبة شاهد عبدالحكيم عامر الأنوار مضيئة تسطع فى مبنى القيادة، ففهم على الفور أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش وضباطه يعملون فى مكاتبهم.. ولاحظ أن عدد البوليس الحربى قد ضوعف عند الأبواب الخارجية.

هذا فى نفس الوقت الذى كان الضباط الأحرار يعدون العدة الأخيرة لتنفيذ حركة الانقلاب! وقال عبدالحكيم لجمال عبدالناصر:

هل تحسبهم أنهم اكتشفوا شيئا عما ندبر وهل شعروا بخطتنا؟! إنه ليس من عادتهم أن يكونوا فى مكاتبهم فى مثل هذه الساعة المتأخرة، حقا إن هذا شىء غير عادى ويدعو إلى التوجس والشك.

وذهبا فى الطريق إلى ألماظة، وقبل أن يصلا إلى الميدان شاهد عبدالحكيم دورية كبيرة من السيارات الحربية آتية ولم يخطر بباله أنها تابعة لهم، فالموعد المحدد لتحرك قوات الضباط الأحرار من معسكراتها لم يأزف بعد!! والمدة الباقية ساعة فأوقف السيارة فى الحال وبدأ الاثنان يتبادلان الرأى فى هذا الموقف العجيب، وبعد دقائق ظهرت الحقيقة وتنفس عامر وجمال الصعداء.

تأكد عبدالحكيم وجمال أن الحركة قد اكتشف أمرها.. ذلك أنه كان للأميرالاى «محمود صالح» شقيق أصغر برتبة ملازم فى سلاح المدفعية، وكان ضمن الضباط

الأحرار، وكان فرحا مبتهجا للحركة لدرجة جعلته ينسى نفسه ويقول لوالدته عند مغادرته المنزل:

إننا سنهاجم سراى عابدين الليلة!!

وذعرت أمه وراعها ذلك الخبر، وهرعت إلى التليفون، وقصت النبأ على ابنها الكبير الأميرالاى «محمود صالح» الذى اتصل بدوره. بالسراى وأبلغها، وهذا هو سبب وجود الفريق«حسين فريد» فى مقر قيادة الجيش فى تلك الساعة.

وسبب آخر، هو أن ضابطا صغير السن برتبة«يوزباشى» كان«نوبتجيا» فى مطار ألماظة الحربى، وصدرت إليه تعليمات بأن يسلح جميع الجنود الذين معه، ويذهب بهم فى الحال إلى مقر قيادة الجيش، وبينما هم فى طريقهم التقوا بهذه الدورية التى بقيادة الضباط الأحرار، وحاولوا إقناع هذا الضابط بالرجوع من حيث أتى ولكنه لم يوافق فتركوه يذهب فى طريقه.

وكان الطريق مسدودا بالدبابات، ورأى الضابط« اليوزباشى» استحالة مروره هو وجنوده، لأن تقدمه فى طريقه معناه إطلاق الرصاص عليه.

ولذلك كان من حسن الحظ أن الضباط الأحرار تحركوا لتنفيذ الحركة قبل موعدها المحدد، لأن سرها كان قد عرف وانكشف!».

وتمضى سطور التحقيق الصحفى فى «آخر ساعة» فتقول:

«ولنعد ثانية إلى الموقف عبر الطريق عندما أشار جمال وعبدالحكيم إلى فوج السيارات القادم بالوقوف دون أن يدريا أهى معهما أم ضدهما، ومن ثمة تقبض عليهما، ووقع نظرهما فى السيارتين الأولى والثانية على اللواء «مكى» والأميرالاى «عبدالرءوف عابدين» ولم يكونا من الضباط الأحرار، ولكن كانت الدورية قد قبضت عليهما عندما صادفوهما فى الطريق، وتنفسوا الصعداء عندما سمعوا صوت الضباط الأحرار فى السيارة الثالثة قائلين:

اطمئنوا فنحن هنا !!

وهكذا توجهوا جميعا لبدء العمل، وذهب جمال عبدالناصر إلى سلاح الفرسان ليشرف على الموقف هناك، وذهب عبدالحكيم ومعه باقى القوة إلى مقر قيادة الجيش، وكانت أكثر بنادق جنود الحرس من حسن حظهم مرصوصة فى خشبة السلاح فمد

عبدالحكيم يده من بين قضبان السور الحديدى وأسقطها على الحشيش، وبعد معركة تبادلوا فيها إطلاق النيران مع حرس القيادة العامة سلمت القوة كلها، بعد وفاة جندى واحد فى هذه المعركة».

ويروى اللواء عبدالحكيم عامر بقية القصة بلسانه فيقول:

«لقد دخلنا مقر قيادة الجيش، وألقينا القبض على الفريق «حسين فريد» واثنين من اللواءات كانا معه، وكان هؤلاء الثلاثة فقط هم الذين وجدناهم فى القيادة، لأن بقية الضباط الآخرين، إما أنهم كانوا فى طريقهم إلى القيادة، أو كانوا لايزالون فى بيوتهم، لأن الفريق« حسين فريد» كان قد اتصل بهم وطلب منهم الحضور فورا إلى مقر قيادة الجيش، ولكنا لم نترك لهم الفرصة لذلك».

ومضى اللواء «عبدالحكيم عامر» يقول:

واقتدت الفريق «حسين فريد» واللواءين الآخرين إلى سيارة نقلتهم إلى السجن، وبقيت أنا فى مقر القيادة.. ولست أنسى نادرة طريفة وقعت أثناء هذه الظروف العصيبة الحرجة، لقد كان أحد الضباط معى عندما قبضنا على الفريق «حسين فريد» فسمعته يقول له:

«إننى أحاول منذ عام مقابلتك، فلم تأذن لى، وها هى الفرصة أتيحت لى، وأذنت أنا لنفسى بمقابلتك».

وصمت حسين فريد ولم ينبس بكلمة!».

يعترف «عبدالحكيم عامر» على صفحات مجلة «آخر ساعة» أنه عند اقتحام مقر قيادة الجيش حدث تبادل إطلاق النيران مع حرس القيادة وقتل جندى واحد، ولم يزد «عبدالحكيم عامر» حرفاً واحداً على ذلك.

ولكن بعد ٢٨ سنة كاملة تأتى التفاصيل من مذكرات «صلاح نصر» رئيس المخابرات العامة السابق وأقرب المقربين للمشير «عامر» نفسه فيقول فى الجزء الأول «الصعود»:

«أمر عبدالحكيم عامر جندى الحراسة أن يفتح البوابة الحديدية للمبنى، ولكنه رفض، فأخرج عبدالحكيم عامر طبنجته وهدد الجندى بقتله، إذا لم يستجب للأمر، ولكن الجندى أصر على الرفض، وكاد يصرخ مستنجداً بالقوة المرابطة داخل المبنى، وأصبح

الموقف حرجاً، فأطلق عبدالحكيم النار على الجندى وأرداه قتيلاً، واقتحمت القوات المبنى ولم تلق أية مقاومة».

❑

ومن أغرب وأعجب مواقف تلك الليلة المثيرة ما جرى لأنور السادات!

كان السادات قد وصل إلى القاهرة قادماً من العريش، واتجه مع زوجته السيدة جيهان «إلى سينما «منيل الروضة»، وفى تلك الأثناء، ذهب جمال عبدالناصر إلى منزل السادات ولم يجده فترك له بطاقة مع البواب كتب فيها «المشروع ينفذ الليلة، المقابلة فى بيت عبدالحكيم الساعة (...)».

باقى ما جرى بكل ما فيه من إثارة وطرافة يرويه السادات على النحو التالى:

«ما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما، حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم إلى شقتى، تاركاً أولادى مذهولين مع البواب..!

وخلعت القميص والبنطلون، وارتديت ثيابى العسكرية، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها.. إننى لم أجد أحداً فى بيت عبدالحكيم عامر.. فأين أذهب.. كنت حائراً!

لم أر بداً من التوجه إلى مبنى رئاسة الجيش، لا بد أن قواتنا قد اتجهت إليها مادامت العملية قد بدأت، وكنت منطلقاً فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة، وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى.. ولما رأى رتبتى خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم، بالرغم من أنه كان يوزباشياً لكنه كان من الضباط الأحرار.. قال لى أن لا أذهب إلى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة!

وعلمت أن تلك كانت صيغة الأمر الذى يبلغه الضباط الأحرار إلى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق!

وتابعت مسيرتى فوصلت إلى قشلاق السوارى، وكان الطريق هناك مقفلاً، وتأكدت أن العملية بدأت فعلاً، وأردت أن أمر من «الكردون» الذى صنعته قواتنا.. ولكن الضابط منعنى. وكان صارماً جداً معى.. لأنى لا أعرف كلمة السر.!

كان موقفى رهيباً.. فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من «الكردون» إلا على جثته!.. فكيف أتصرف إذن؟!

كيف أقنعه أنى من الأحرار.. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا..

لقد كنت أرى أشباحاً عديدة من بعيد.. إنها قواتنا تقلب نظام الحكم.. وأنا واقف خلف «الكردون» والضابط الصغير يمنعنى بل ويبدأ يتحرش بى.. وامتلأ رأسى بمئات الخواطر.. ترى هل أصيب أحد من الزملاء؟ ترى ماذا يصنع جمال الآن؟ وأين عبدالحكيم؟ أين الجميع وماذا صنعوا؟

وعدت بسيارتى ثم اضطررت إلى اللف من فوق كوبرى القبة، لآمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش.

وهناك وجدت الطريق مغلقاً أيضاً، ولكن ضابط «الكردون» كان يعرفنى.. لمحت وجهه من بعيد فعرفته، إنه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح، وهو يعرفنى شخصياً، قضينا معاً وقتاً طويلاً فى مكان واحد!.. واقتربت من «الكردون»، وقد استراحت أعصابى قليلاً.. أضاء الأمل فى صدرى.. سوف أمر إذن وأشترك فى العملية!

وما كدت أقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب.. ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى.. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير، فبالرغم من أنه عرفنى إلا أنه كان لا يعلم أنى من الضباط الأحرار فألقى القبض علىَّ فى الحال.. وهنا شعرت بصدرى يمتلئ بالضيق وبرأسى يكاد ينفجر، حاولت إفهامه دون جدوى، إن الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت.. فلم يصدقنى لأنى لا أعرف كلمة السر ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها.

وفجأة أضاء الأمل مرة ثانية صدرى. وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض علىَّ فوق الكوبرى، فسمعت صوتاً من بعيد يشبه صوت عبدالحكيم عامر.. واجتاحنى شعور بالخلاص، كان الصوت القريب إلى نفسى يصدر تعليمات إلى قوات كثيرة، ويحدد لها أماكنها، وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من أمامى، إنها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم!

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى:

يا عبدالحكيم.. يا عبدالحكيم.. أنا أنور..!

ورأيت شبح عبدالحكيم يقترب منا.. وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط!

ومضيت مع عبدالحكيم، لم يكن معى سلاح، وناولنى عبدالحكيم طبنجة.. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الأسلحة الصغيرة.

وبدأت أسأل عبدالحكيم فى لهفة عن الموقف.. وكان صوت الطلقات لايزال يدوى كالرعد من حولنا، وقال عبدالحكيم:

ـ رئاسة الجيش سقطت.

وصمت ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب..

قال لى: «الطلقات اللى أنت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة»!

ولم يقل لى عبدالحكيم فى تلك اللحظة أنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش، وأنه هو الذى احتلها بجنوده!».

ويختتم السادات شهادته عن «عبدالحكيم عامر» قائلاً:

«هو ـ عامر ـ الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته.. تماماً مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين، عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتساليم.. وكان تصرفه، ذلك أشبه بالأساطير التى ترويها لنا جداتنا.. ولولا أنه رُقى إلى رتبة صاغ استثنائياً لما عرف أحد ماذا صنع يوم نيتساليم.. إنه صامت على الدوام، لا يتكلم أبداً عن نفسه وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد..!

لقد كان «عبدالحكيم عامر» دائماً باسلاً حاسماً يخوض معاركه بإيمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ!!».

وهنا بالضبط تبدأ أول فصول القصة !

2

ثائر اسمه عبد الحكيم عامر !

دار الخيّال

صدرت صحيفة «الأهـرام» صباح الأثنين ١٨ يونيو ١٩٥٣ وعلى صـفحتها الأولى تصريح خطير لـ «جمال عبدالناصر» يقول فيه:

«الجمهورية آتية ولكن موعد إعلانها لم يتقرر بعد!».

وقال البكباشى «جمال عبدالناصر» فى حواره مع مندوب «الأهرام» الأستاذ «ممدوح طه» أيضا:

«إنى أومن بالديمقراطية الصحيحة إيمانى بحق الشعب فى اختيار كل مايمس كيانه أو مستقبله، لذلك أرى أن تترك للشعب حرية اختيار النظام الذى يريده لحكم نفسه».

وسأل «ممدوح طه» البكباشى «جمال عبدالـناصر» عن صحة ما تردد من أنباء عن أن الرأى استقر على إعلان الجمهورية فى مصـر وتعيين اللواء أركان حرب «محمد نجيب» رئيسا للجمهورية يوم ٢٣ يوليو القادم.

فقال «جمال عبدالناصر» بالحرف الواحد:

«لم يتقرر شىء بعد وإن الجمهورية آتية لاريب فيها، فهذا ما أجمع عليه الشعب وما قررته لجنة الدستور التى تمثل مختلف هيئات الشعب وطوائفه».

وعلى الصفـحة السادسة من «الأهرام» أيضـا نشرت إجابة «عبدالنـاصر» عن سؤال يتردد حول التعديل الوزارى فقال: «لاتوجد أخبار عنه».

أما فى المساء من نفس اليوم فقد حبست مصر أنفاسها وهى تستمع لنبأ سقوط أسرة «محمد على» وإعلان الجمهورية، واختيار «محمد نجيب» رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزراء، و«جمال عبدالناصر» نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية(!!)

وعقب انتهاء مجلس قيادة الثورة فى اجتماعه مساء الخميس ١٨ يونيو عقد وزير الإرشاد «صلاح سالم» اجتماعا مع مندوبى الصحف ووكالات الأنباء وأدلى إليهم ببيان وصفته «الأهرام» بأنه «خطير»، وجاء فيه:

«اقتضت الضرورة الاعتراف بالوضع الواقع، وعليه صار وضع نظام كامل فى مرحلة الانتقال لكى تستقر الأمور وسيعلن اليوم إلغاء النظام الملكى وخلع الملك «أحمد فؤاد» نجل الملك السابق «فاروق» وإنهاء حكم أسرة محمد على وإعلان الجمهورية وتولية الرئيس اللواء «محمد نجيب» رياسة الجمهورية على أن يحتفظ بكافة سلطاته الحالية خلال مرحلة الانتقال وستستمر هذه السلطات طوال مرحلة الانتقال».

وستكون للرئيس «محمد نجيب» السلطات التى له الآن بحكم الأمر الواقع للثورة، وقد استلزمت سلامة الوضع دخول بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة كوزراء فى مجلس الوزراء، وتوليتهم بعض السلطات التنفيذية.

وقد قرر مجلس الثورة تعيين البكباشى «جمال عبدالناصر» نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية، وتعيين قائد الجناح «عبداللطيف البغدادى» وزيرا للحربية، والصاغ «صلاح سالم» وزيرا للإرشاد ووزيرا للدولة لشئون السودان.

كما تقرر تعيين الصاغ «عبدالحكيم عامر» قائدا عاما للقوات المسلحة.

وفى الوقت نفسه أذاع الرئيس اللواء أركان حرب «محمد نجيب» رئيس الجمهورية بيانا إلى الشعب جاء فيه:

«لما كانت الثورة عند قيامها تستهدف القضاء على الاستعمار وأعوانه، فقد بادرت فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ إلى مطالبة الملك السابق فاروق بالتنازل عن العرش، لأنه كان يمثل حجر الزاوية الذى يستند إليه الاستعمار.

ولكن منذ هذا التاريخ ومنذ إلغاء الأحزاب وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها ووجودها مستمدة من النظام الملكى الذى أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه قضاء لارجعة فيه، وأن تاريخ أسرة «محمد على» فى مصر كان سلسلة من

الخيانات التى ارتكبت فى حق هذا الشعب، وكان من أولى هذه الخيانات إغراق إسماعيل فى ملذاته وإغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب، حتى كان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادى الأمين.

ثم جاء «توفيق» فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحمى الغريب الجالس على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها، وبذا أصبح المستعمر والعرش فى شركة تتبادل النفع، فهذا يعطى القوة لذاك فى نظير هذه المنفعة المتبادلة، فاستذل كل منهما باسم الآخر هذا الشعب، وأصبح العرش هو الستار الذى يعمل من ورائه المستعمر ليستنفد أقوات الشعب ومقدراته ويقضى على كيانه ومعنوياته وحرياته. وقد فاق «فاروق» كل من سبقوه من هذه الشجرة، فأثرى وفجر، وطغى وتجبر وكفر فخط بنفسه نهايته ومصيره فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة لهذه الأوضاع.

أولا: فنعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة.

ثانيا: إعلان الجمهورية بتولى الرئيس اللواء أركان حرب «محمد نجيب» قائد الثورة رياسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية فى ظل الدستور المؤقت.

ثالثا: يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

فيجب علينا أن نثق فى الله وفى أنفسنا وأن نحيا بالعزة التى اختص الله بها عباده المؤمنين، والله المستعان والله ولى التوفيق».

٧ شوال ١٣٧٢هـ - ١٨ يونيو ١٩٥٣م

رئيس مجلس قيادة الثورة: لواء أركان حرب محمد نجيب

بكباشى أركان حرب: «جمال عبدالناصر»، قائد جناح: «جمال سالم»، قائد جناح: «عبداللطيف البغدادى»، بكباشى أركان حرب: «زكريا محيى الدين»، بكباشى: «أنور السادات»، بكباشى: «حسين الشافعى»، صاغ أركان حرب: «عبدالحكيم عامر»، صاغ

أركان حرب: «صلاح سالم»، صاغ أركان حرب: «كمال الدين حسين»، قائد أسراب: «حسن إبراهيم»، صاغ: «خالد محيى الدين».

وصباح ١٩ يونيو ١٩٥٣ ذهب اللواء أركان حرب«عبد الحكيم عامر» القائد العام للقوات المسلحة إلى مكتبه فى مقر القيادة بكوبرى القبة، وحسب قول جريدة «المصرى» ـ وكان فى استقباله على إثر وصوله كثير من كبار قواد مختلف الأسلحة وضباط الجيش الذين قدموا لتهنئة قائدهم العام بمنصبه الجديد.

كما قدم رئيس هيئة أركان حرب الجيش لتهنئته على هذا المنصب!

وأضافت جريدة «المصرى» تقول:

والمعروف أن اللواء عبدالحكيم عامر كان عضو مجلس قيادة الثورة المختص بشئون الجيش، وهو يمثل فى الوقت نفسه مركزا ممتازا فى قلوب إخوانه من مختلف ضباط الجيش.. هذا ولما كان الأمر بترقيته قد صدر فى ساعة متأخرة من الليل، فقد أهدى الرئيس اللواء أركان حرب «محمد نجيب» رئيس الجمهورية إلى عبدالحكيم عامر قبعته«الكاب» المحلاة بالقصب المذهب والشريط الأحمر، والتى يلبسها لواءات الجيش، فضلا عن علامة رتبة اللواء التى توضع على الكتف، ليستطيع عبدالحكيم عامر لبسها عند حضوره أمس.

وقد قابل الشعب الذى كان مصطفا على طول طريق موكب الرئيس ظهر أمس اللواء عبدالحكيم عامر بالتصفيق المتواصل والهتاف باسمه.

❑

وبعد عشرة أيام بالضبط كان الصاغ«صلاح سالم» وزير الإرشاد قد وصل إلى المحلة الكبرى.. وخرجت صحيفة «الأهرام» بمانشيت يقول: «المحلة الكبرى تخرج لاستقبال صلاح سالم».

ثم مانشيت آخر يقول فى نفس الصفحة: «خطاب خطير لوزير الإرشاد فى المحلة يشرح فيه أسباب إعلان الجمهورية واشتراك رجال الثورة فى الوزارة..

(..و..) اللواء عبدالحكيم عامر كان القائد الحقيقى للجيش منذ سنة.

وكشف «صلاح سالم» فى خطابه سر ترقية عبدالحكيم عامر على النحو التالى:

قالوا: لماذا رُقى عبدالحكيم عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء ؟ وقالوا إن هذه محسوبية، لهم الحق فى الكلام.. إلا أننا نقفل كل طريق أمامهم ونوحد أركان هذه الثورة وسنقويها، ونسير قدما إلى نهايتها بإذن الله .

نعم رُقى عبدالحكيم من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء، فمن يوم أن قامت الثورة وعبدالحكيم عامر من بين حفنة الرجال الذين قادوا هذا البلد من الظلام إلى النور وقبضوا على كل قوة فى الدولة، وتركزت فى أيديهم، وآلوا على أنفسهم أن يصلوا بالبلاد إلى أهدافها.

ومضى صلاح سالم يقول فى نفس خطابه أمام الجماهير:

فليس الموضوع موضوع رتبة أو ترقية من صاغ إلى «لواء» فهؤلاء لا تشرفهم الرتبة، وكم كان هناك من لواءات كثيرين خربت ذممهم وانحدروا إلى الحضيض ووصلوا إلى الدرك الأسفل، فهذه الرتبة لا تشرف من يحملها ولكن الموضوع أبعد من هذه بكثير، هو أن تستمر الثورة قوية.

وأخذ «صلاح سالم» يشرح للجماهير حكاية ترقية «عبدالحكيم عامر» كاملة فقال لهم :

«لقد كان «محمد نجيب» منذ اليوم الأول قائدا عاما، وكل منكم يشعر أنه يقود هذه الأمة ويشرف على مجلس الوزراء، ومجلس الثورة، ويزوركم فى كل منطقة، فلم يكن محمد نجيب يستطيع أن يتفرغ لقيادة الجيش وهو القوة التى تسند هذا العهد، وقد فطنا إلى هذا الوضع منذ اليوم الأول واتفقنا أن يشرف أحدنا فعلا على قيادة هذا الجيش، فكان«عبدالحكيم عامر» يذهب إلى مكتب القائد من اليوم الأول يصدر الأوامر للوحدات، ويشرف على نهضة الجيش وتدريبه وتسليحه. لأن الجيش لا يمكن أن يسير بدون قيادة يوما واحدا، ولايمكن «لمحمد نجيب» الذى يعمل ١٧ ساعة يوميا أن ينتقل من مكان إلى مكان يؤدى واجبه الشعبى والرسمى، ثم يقود الجيش أيضا ويسخر كل وقته لهذا الجيش، وكلنا نشعر أن الجيش يجب أن ينهض لأن الأمة لاتساوى شيئا بدونه.

يجب أن يكون هناك قائد، وكلنا يعرف أن«محمد نجيب» لم يستطع أن يترك البلاد ويدير الجيش فكان«عبدالحكيم عامر» من أول يوم يدير دفة هذا الجيش!!

ثم يتساءل صلاح سالم أمام الجماهير قائلا: ومن هو عبدالحكيم عامر؟!

ويقول صلاح سالم فى إجابته على هذا السؤال:

إنه الشاب الذى لايطمع فى مائة جنيه مرتب اللواء، وتحت يده الآلاف والملايين لو أنه خرب الذمة لاستطاع أن يستولى عليها ويأخذها كما كان يفعل اللواءات الذين تعرفون عنهم الكثير..

لقد كان «عامر» يصدر الأوامر للجيش ويشترك فى نهضته فقررنا وضع كل شخص فى مكانه حتى نظهر أمام الشعب بالوضع النهائى والطبيعى فقلنا أن«محمد نجيب» رئيس هذه الدولة فهو رئيس للجمهورية، كما أننا مفروض فينا أن نتحمل التبعات.. وإذا كان عبدالحكيم عامر يقود الجيش فعلا طوال هذه الفترة، فلا يكون الوضع طبيعيا إذا ما أعلن برتبة «الصاغ» قائدا للجيش، ويشرف على رتب قائمقام وأميرالاى ولواء، ولوأنه كان يتولى ذلك طوال السنة، إذن يجب أن يأخذ «عبدالحكيم عامر» الوضع الطبيعى والشكل الرسمى ويحمل هذه الرتبة التى لا تشرفه وإنما يشرفه العمل على رفعة شأن الجيش إلى الوضع الذى ستفخرون به.

«عبدالحكيم عامر» هو الذى كافح ١٥ سنة كضابط مكافح فى الجيش والذى قدم رأسه أكثر من مرة ووهب جسمه وروحه من أجلكم ومن أجل البلاد واستمر عشر سنوات يترك منزله وأولاده ويجتمع ليلا ونهارا فى الجمعيات السرية. وكان يعرض نفسه للموت والهلاك فى عهود الظلام ليضع الخطط ويجمع الأفراد ليشترك فى رفع الكابوس عن صدور ٢٢ مليونا، وكان يمكن أن يقتل أو يسجن أو يشنق دون محاكمة كما تعلمون!

هذا هو «عبدالحكيم عامر» الذى حارب فى فلسطين وكلكم سمعتم عنه أنه تقدم الصفوف وكان يحارب كجندى، ونجح وكان ثانى نجاح نالته القوات المصرية على يد«عبدالحكيم عامر» فى فلسطين وهو الذى جرح فى يده ونسى أنه مجروح واستمر إلى نهاية المعركة، وهو الذى أخلى من المعركة إذ كانت الأوامر تقضى بألا يرجع إلى الميدان فرجع إليه خلسة معرضا نفسه للموت ومقدما عنقه».

واختتم «صلاح سالم» وزير الإرشاد خطابه بقوله:

«هذه قصة عبدالحكيم عامر، وقصة الجمهورية، وقصة دخول العسكريين إلى الوزارة».

لم يكن قد مضى سوى أسبوعين على تعيين عبدالحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة، حين خرجت مجلة «التحرير» لسان حال الثورة بمقال شغل صفحة كاملة تحت عنوان «القائد العام أو قصة بطل» وعلى الصفحة المقابلة للمقال صورة كبيرة للرئيس محمد نجيب وعبدالحكيم عامر وكانت الكلمات المصاحبة لهذه الصورة أبلغ من أى تعليق يقال:

كان التعليق يقول: «ابتسامتان من قلبين يتبادلهما رئيس الجمهورية والقائد العام.. ثقة وإيمانا بالمستقبل الذى تمضى إليه حركة الجيش فى سبيل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار».

فى بداية المقال نوهت مجلة «التحرير» إلى ماكانت قد كتبته عن «عبدالحكيم عامر» فى عددها الصادر فى ٢٠ مايو ١٩٥٣ وهى تنشر حوارا أجرته معه كان عنوانه: «نحن لا نحتكر السياسة، قد نخطئ وقد نصيب ولكننا نعمل فى سبيل بلادنا».

وقدمت «التحرير» اللواء «عبدالحكيم عامر» قائلة:

«عرف الناس عبدالحكيم عامر كواحد من الثوار الذين تتردد أسماؤهم على ألسنة الناس فى كل صباح، وبالرغم من هذا فالتحرير يهمها أن يعرف الناس فى مصر أشياء أكثر عن عبدالحكيم عامر، وهو نفسه لايريد أن يعرف الناس هذه الأشياء لأنه يثق فى مبادئه وأهدافه المنبعثة من إيمانه بالشعب وهو يحاول أن يمضى فى ثورته بلا ضجيج».

لقد أعادت «التحرير» فى عددها بتاريخ أول يوليو ١٩٥٣ هذه السطور وأضافت قائلة:

«فماذا ترانا نقول عن اللواء أركان حرب عبدالحكيم عامر؟!

إن «التحرير» لم تحاول على الإطلاق منذ صدرت أن تقرع الطبل لأحد.. ولكن عندما تشعر «التحرير» أن هناك ثائرا من أبناء الشعب يقف كالجبل الراسخ فى مكانه مصراً على إيمانه بالشعب أولا وأخيرا .. لايرقص على الحبل ولايحاول أن يتخلى عن هذا الشعب ولايرغب على الإطلاق فى أن يكسب شيئا على حساب قضيته وآماله ومستقبله مثل عبدالحكيم عامر فى هذه الحالة فقط لاتجد «التحرير» حرجا من الحديث عنه، لأنه فى الواقع حديث عن الشعب وثورته».

وبعد هذه السطور مضى المقال الذى نشرته «التحرير» بغير توقيع على النحو التالى:

«كانت الأضواء كـلها مسلطة عـلى وجهه النحيل الـباسم، فقد أصبح قـائدا لجيش الشعب.. وجد نفسـه فجأة مضطرا رغما عنه إلى أن يقـف فى مواجهة الأضواء ووقف من حوله زملاؤه يرمقونه في إشفاق.. لا من المسئولـية التى حملها فهم يعرفون أنه تعود أن يحمل المسئوليات دون أن يفقد ابتسامته وإيمانه.. ولكن أشفقوا عليه من الأضواء.

ومر القائد الشاب بالتجربة الأولى وكانت بالـنسبة إليه أكثر إرهاقا من كل التجارب الهائلة التى اجتازهـا.. وليلتها، ليلة أن أصبح قائدا، كان الضبـاط فى وحداتهم ينظرون إلى بعضـهم البعض فى ثـقة وفى أمل.. كلهـم كانوا يعرفونـه أكثر مما عرفوا قـائدا من قبل..(!!)

وروى زملاؤه الذين عاشوا معـه قصصا عن حياته.. حياته وهو طـالب ثانوى حيث كان دائما يتقدم الصفوف ويكسب فى كـل يوم صديقا جديدا.. وحياته وهو طالب فى الكلية الحربية حيث كان يقود جماعته بأسـلوب لاعهد لطلبة الكلية به.. أسلوب الزميل الباسم الذى يجلس معهم لا كقائد، بل كصديق!

ويذكر زملاؤه كيف كان «الأمباشى» عبدالحكيم عامر يعطى الأوامر..وجهه كان لا يتجهم أبـدا وصوته لايرتفع.. والابتسامـة لاتفارق وجهه المشحون بـالإيمان .. وظلت جماعتـه فى الكلية الحربـية تستمتع دون غـيرها بقيادة غيـر معقدة لا يشوبهـا الروتين.. وكان الطلبة يفاخرون زملاءهم بَالأمباشى «عامر» الذى لايرفع صوته ولا تنتفخ أوداجه عندما يـعطى أمرا.. ثم تخرج عبـدالحكيم عامر فى الكـلية وبدأ يشق طريقـه فى الجيش بنفس الأسـلوب الذى اشتهر بـه وهو« أمباشى» فى الكـلية.. البساطـة والإيمان وحب العمل.. وأطلق عليه زملاؤه اسم «جان جاك روسو» لأنهم لمسوا تمسكـه الشديد بالمثل العليا والمبادئ فكانوا ينادونه مداعبين بهذا الاسم حتى أصبح عَلَماً عليه».

ورُقّىَ إلى رتبة الملازم أول فتـزوج ثم لـم تقف به الحياة كما تقف بـبعض الناس عند حد تكمـلة نصف الدين ثـم الاستسلام بعد هذا لـلمستقبـل يصنع الحياة كـيف يشاء.. وتقـدم إلى كلـية أركان حـرب.. ولم يكـن من السـهل أبدا قـبول ملازم أول فـى هذه الكليـة.. فهناك قيود والتزامـات وشروط.. كانت الدراسة فى الـكلية باللغة الإنجـليزية، وكان امتحان القبول أيضـا باللغة الإنجلـيزية، واجتاز «عبـدالحكيم عامر» كـل الحـواجز والحدود فهـو يريد أن يصنع بنفسه حياتـه ولا يريد أبدا أن يـدعها هكـذا للمقـادير..

وتخرج فى الكلية جنبا إلى جنب مع الضباط الذين يحملون رتبا أعلى من رتبته.. وكان قد بدأ يحس أن الحياة فى الجيش وفى الشارع وفى كل مكان يضع قدمه فيه يجب أن تتغير.. إن أحاسيسه كانت دائما تتجاوب مع الأحداث وبدأ يثور..!!».

وتمضى باقى سطور مقال مجلة «التحرير» فتقول بعد ذلك مايلى:

«ويروى الذين عرفوه خلال تلك الفترة من حياته كيف كان يتحدث مع كل من يقابله عن الأوضاع.. الأوضاع فى الجيش وفى الشارع وفى الحقل وفى المصنع.. وكانت نبرات صوته وهو يتكلم تبدو كأن فيها سحرا.. ولم يكن يطلب من أحد أن يثور معه. كان فقط يشرح الوضع بأسلوبه الساحر الذى شحن بالصدق. ثم يمضى بعد أن يكون الشخص الذى استمع إلى حديثه قد تحول إلى «عبدالحكيم عامر» آخر..هو من ناحية و«جمال عبدالناصر» من ناحية أخرى..

كانا دائما لايفترقان فى العمل. وفى الثورة كانا ملتصقين تماما كأنهما جسد واحد. ووجد «جمال عبدالناصر» فى صديقه «عبدالحكيم» قوة هائلة عاونته على المضى فى طريقه.. طريق الثورة على التاج والخونة.. وحملته الأحداث إلى فلسطين، حملته مع مئات وآلاف من المواطنين بعيدا عن مشاكل الجيش والشارع والحقل والمصنع.. وفى فلسطين كان دائما يتقدم كل الصفوف ويعبئ كل القوى ولم ينس أبدا والقنابل تزلزل الأرض، والبارود يحجب الأفق.. لم ينس بلاده.. لم ينس الظلم فى بلاده والخيانة فى بلاده ومرة أخرى عادت به الأحداث إلى مصر.. وكان قد أصبح يعرف الطريق جيدا.. طريق الثورة.

وكان فى «رفح» عندما بدأ الشعب يضرب الإنجليز بالرصاص وبالقنابل ويحيل أرض القنال إلى جحيم يحرقهم، ويذكر زملاؤه كيف تسلل ذات ليلة بسيارة جيب ومعه لغم ضخم ثقيل.. وغاب ليلتها ساعات عديدة ثم عاد والابتسامة تملأ وجهه كله.. وعرفوا أين كان .. وأين وضع اللغم الشديد الانفجار..!! وكان كثيرا مايغيب سرا ثم يعود إلى وحدته.. وفى كل مرة كانوا يعرفون أنه زار القنال!!

ثم حدثت الثورة.. وطار التاج وتكلم الكثيرون ومضت الصحف تكتب وتكتب وتنشر صورا وتذيع أخبارا وتسبق بالأسرار.. وواحد كان يقف فى صف الذين آثروا الصمت لم تبهره الأضواء ولم تعطله آلات التصوير.. ولم يكن يرغب على الإطلاق أن يسمع مديحا أو هتافا !!

ولم يكن أحد يعرف أن عضو مجلس قيادة الثورة الصاغ «عبدالحكيم عامر» يدبر شئون القوات المسلحة ويشرف على أمور الجيش.. لأن أحدا لم يكن يعرف أن قائد الثورة «محمد نجيب» تشغل وقته المشاكل السياسية والاجتماعية وغيرها ولايمكن أن يجد وقتا يتفرغ فيه لشئون الجيش.. ثم أعلنت الجمهورية.. وكان لابد أن يعين واحد من مجلس قيادة الثورة قائدا للقوات المسلحة. لأن دساتير العالم كلها لا تعطى لرئيس الدولة حق قيادة الجيش فى نفس الوقت الذى يقود فيه الشعب.

واتجهت الأنظار فورا إلى «عبدالحكيم عامر» الشاب الذى ظل يدير شئون الجيش كلها منذ حدثت الثورة.. كان الجميع يعرفون أن عبدالحكيم عامر له فى قلوب ضباط الجيش منزلة الصديق المحبوب.. وكان الجميع يعرفون أن الثقة فى «عبدالحكيم عامر» تملأ نفوس كل الذين عرفوه وعملوا معه.

وعين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً، وأقنعه المسئولون بأن كونه سيعين قائداً عاماً للقوات المسلحة فإن المنطق يقضى بأن يحمل رتبتها. عند هذا الحد اقتنع «عبدالحكيم عامر» وقبل أن يرقى استثنائياً إلى رتبة اللواء، كانت الظروف كلها تحتم عليه أن يقبل الرتبة ما دام سيتولى شئون الجيش بصفة رسمية، وليس كما كان يتولاها قبل إعلان الجمهورية.

ومنصب القائد العام للقوات المسلحة فوق كونه من أخطر مناصب الدولة ليس منصباً عسكرياً فقط، وفى كل دولة يأخذ القائد العام للجيش صفة سياسية إلى جانب صفته العسكرية. وعبدالحكيم عامر عضو مجلس قيادة الثورة ملم بالوضع السياسى الراهن، بل ويسهم فى توجيهه، وتكييفه أيضاً. لهذا رأى الجميع أن تعيينه قائداً عاماً كان أمراً بديهياً لا يحتاج إلى تفسير».

وختمت مجلة «التحرير» ما كتبته عن «عبدالحكيم عامر» قائلة:

«وعرف ضباط الجيش كلهم هذه الحقائق ولكنهم كانوا يعرفون حقيقة أخرى غابت عن أذهان الجميع، كانوا يعرفون أن السبب فى اختيار «عبدالحكيم عامر» لتولى منصب القائد العام ليس لأنه عضو فى مجلس قيادة الثورة، وليس لأنه كان يدير شئون الجيش منذ قيام الثورة، وليس لأنه خبير وله ماض فى الحرب والسلم والثورات! لم يقع عليه الاختيار لكل هذه الأسباب، بل لسبب آخر أيضاً هو أنه «عبدالحكيم عامر».

انتهى المقال الذى نشرته مجلة «التحرير»!!

وعلى ما يبدو فقد استشعرت المجلة وقتها حجم الترقية الاستثنائية التى حظى بها «عبدالحكيم عامر» وهى ثلاث رتب مرة واحدة، فقد نشرت المجلة وداخل الموضوع نفسه بروازاً عنوانه «ترقية للأبطال» جاء فيه ما يلى بالحرف الواحد:

«عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية كان «أيزنهاور» يحمل رتبة «البكباشى» ولم تمض ثلاث سنوات حتى تولى قيادة أضخم «أرمادا» ضمن قوات الحلفاء التى غزت شمال أفريقيا. وبعد ثلاث سنوات أخرى منح أضخم رتبة فى الوجود، رتبة لم ينلها أحد من قبله فى التاريخ وهى رتبة «جنرال أوف ذى آرى»، وهى أعلى من «فيلد مارشال»، وتخطى بهذا كله زملاءه بسرعة ليس لها نظير!

وكان «جورنج» يحمل رتبة يوزباشى احتياط بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وما كاد هتلر يستولى على السلطة حتى عينه قائداً عاماً لقوات الطيران برتبة «فيلد مارشال»!

وخلال الحرب العالمية الأخيرة رقى الطيار الألمانى «جلندت» من رتبة صاغ إلى رتبة جنرال «لكفاءته الممتازة فى ظرف سنتين»!

ورُقىّ «الفيلد مارشال فون وايخناو» و«الجنرال هاينز جودريان» خبير المفرقعات الألمانى المعروف و«الفيلد مارشال أدوين روميل». كل هؤلاء رقوا استثنائياً وتخطوا زملاءهم للظروف التى كانت تمر بها بلادهم».

واختتمت «التحرير» البرواز الذى نشرته بكلمات قليلة لكن لا يخفى مغزاها، ومدلولها، وكانت الكلمات تقول:

«إن تاريخ جيوش العالم ملئ بمثل هذه الترقيات التى حتمتها الظروف، الظروف التى هى دائماً سيدة الموقف».

وفيما بعد وبالتحديد فى ٢٩ ديسمبر ١٩٥٤ احتفلت دفعة الكلية الحربية (سنة ١٩٣٩) بتكريم زميلهم «عبدالحكيم عامر».

وتقول جريدة «المصرى» فى تفاصيل الخبر الذى نشرته: «ما أن وصل زميلهم اللواء عبدالحكيم عامر حتى صافحهم جميعاً ثم قضى معهم وقتاً كبيراً تبادلوا فيه كثيراً من ذكريات عهد الدراسة ثم لبى دعوتهم إلى تناول العشاء».

بعد ذلك وقف الصاغ «صلاح مصطفى» باعتباره أول الدفعة فرحب بالزميل «عبدالحكيم عامر» باسم جميع ضباط الدفعة وقال إنهم يعتبرونه ضيف الشرف فى هذا الحفل المتواضع، ثم قال:

«لن أشيد هنا بأخلاقك ولا برجولتك ولا بعسكريتك فالكل يعرفها ولكننى أشيد بإنسانيتك».

ثم تحدث الصاغ «سيد فرج» فأشاد بصفات عبدالحكيم القائد الحازم القوى الجرئ الرقيق، وهى صفات شابه فيها الرئيس وأخاه «جمال».

ثم قال: ونحن ننهج على منوالك وأن نكون عند حسن ظنك وستجدنا نحن أبناء دفعتك نشق طريقنا فى الصخر والشوك ونخوض معك بحر الدم..

ثم تكلم بعد ذلك قائد الأسراب «حسن عزت» فناشد أمته وزملاءه أن يبايعوا زميلهم «عبدالحكيم عامر» بيعة الرجال الأقوياء الصادقين».

كما تحدث الصاغ «عبدالمنعم فراج» عن معانى وفاء عبدالحكيم عامر.

وأخيراً وقف القائد العام «عبدالحكيم عامر» وألقى كلمته وجاءت على النحو التالى:

«أشكر لكم هذا الشعور الفياض الذى عقد لسانى عن أن يفصح عن شكركم تجاه هذا الشعور وإن الرابطة التى جمعتنى بكم لن تنفصم مهما طالت السنون لأنها رابطة أخوة وزمالة، ولذا فإننى أعتز بها كل الاعتزاز. وإنى لأحمد الله أن مكننى من أن أقوم بدور صغير فى مهمة كبيرة وجليلة».

ثم تحدث «عبدالحكيم عامر» عن توليه منصب القائد العام فقال:

«يوم أن اجتمع مجلس الثورة وقرر إسناد منصب القائد العام إلىَّ تلقيت كثيراً من التهانى ظناً من الكثيرين أنى سعدت بهذا المنصب فى الوقت الذى كان يخالجنى فيه شعور آخر هو التفكير الطويل فى هذه المسئولية الضخمة التى ألقيت على عاتقى فى هذا اليوم وأن من تعود الحرية طوال حياته كثير عليه أن تكبله أغلال هذا المنصب ولكن يعزينى فى ذلك أن الجيش بخير، وأن فيه من يقدّرون المسئولية الجسيمة التى قامت من أجلها الثورة».

وبعد سنوات طويلة، كانت الدنيا غير الدنيا، رحل من رحل، وغاب من غاب وعرفنا وقرأنا الكثير عما كان يدور فى كواليس ودهاليز تلك الأيام.. إنها المعرفة بأثر رجعى، والتفسير بأثر رجعى، و.. يقول «اللواء محمد نجيب» فى مذكراته «كلمتى للتاريخ»:

«ثرت فى المجلس ثورة عنيفة معارضاً ترقية «عبدالحكيم عامر» من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء دفعة واحدة، وتعيينه قائداً عاماً لكل القوات المسلحة، مبيناً أن ذلك سوف يخلق نقمة عامة فى الجيش قد تكون صامتة ومطوية فى الصدر، ولكنها ستكون قابلة للانفجار فى أية لحظة.

قلت لهم ـ أى لأعضاء مجلس قيادة الثورة ـ إنى اعترضت على تعيين الفريق «محمد حيدر» رغم أقدميته لأنه كان بعيداً عن صفوف الجيش، وأنا اليوم أعترض على ترقية «عبدالحكيم عامر» وتعيينه قائداً عاماً للجيش لأنه ليس مهيأ لذلك، ولم ييأس المجلس من الوصول إلى غرضه ، تكرر عرض الموضوع أكثر من مرة، وفى كل مرة كنت أرفض وأثور وحدى بلا نصير يقف معى، وهددت بالاستقالة فتأجل الموضوع ثلاثة أسابيع».

ويضيف «محمد نجيب» قائلاً:

«لم أعترض فقط على ترقية «عبدالحكيم عامر» أربع رتب مرة واحدة مما ليست له سابقة فى الجيش المصرى، ولكنى اعترضت أيضاً على إعلان النظام الجمهورى، لم أعترض لأنى ضد النظام الجمهورى ومؤيداً للنظام الملكى، ولكنى اعترضت لإيمانى بأن تحويل نظام البلد السياسى يجب أن ينص عليه فى الدستور، وأن يكون ذلك موضع استفتاء شعبى عام.

لم يغرنى ما عرضوه من تعيينى رئيساً للجمهورية، وعبدالحكيم عامر «قائداً عاماً للقوات المسلحة»، فقد كنت أوثر أن يظل «عامر» فى موقعه مديراً لمكتبى لشئون القوات المسلحة.

ولاحظت أن العلاقة مع أعضاء المجلس فى هذه الفترة بدأت تأخذ طابع المجاملة والاحترام الشديد لى. وأذكر قبل ذلك بأسابيع أننا كنا فى زيارة لقرية «جمال عبدالناصر» (بنى مر) وأنه وقف يخطب قائلاً كلمات أسجلها هنا للتاريخ وهو يوجهها لى:

«باسم أبناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبي وأعلن باسم جميع الفلاحين أننا آمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحاً لمصر ونذيراً لأعدائها».

«سيدي القائد.. باسم الفلاحين أقول سر ونحن معك جنودك، فقد حفظنا أول درس لقنتنا إياه وهو أن تحرير مصر وخروج قوات الاحتلال عن بلادنا أمر واجب وأصبحت أملاً فى أن نحقق لمصر حريتها على يديك، إن مصر كلها تناصرك للقضاء على قوات الاحتلال».

.. ويضيف «اللواء محمد نجيب» قائلاً:

«رنت هذه الكلمات فى أذنى وأنا أجد نفسى محاصراً ومطالباً بإعلان النظام الجمهورى وتعيين عبدالحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة، وأشهد أنى قبلت تحت ضغط وإلحاح استمر ثلاثة أسابيع بعد أن فكرت كثيراً فى الاستقالة، وأعترف الآن أن هذا كان خطئى الكبير الذى وقعت فيه، فقد شعرت بعد قليل أننى أصبحت فى مركز أقل قوة بعد أن تركت قيادة الجيش..».

وحتى ذلك الوقت - يونيو ١٩٥٣ - كان الكاتب الصحفى الكبير «أحمد أبو الفتح» رئيس تحرير صحيفة «المصرى» قريباً من قلب وعقل «جمال عبدالناصر»، وفى معظم الأحيان كانت سهرة «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» المفضلة هى فى حديقة المصرى عند أحمد أبو الفتح وباقى نجوم صحيفة «المصرى» وقتها.

وعن قرب شاهد «أحمد أبو الفتح» ما كان يجرى فى كواليس الثورة، ونعود معه إلى تلك الأيام ونسترجع شهادته التى ربما نجحت فى أن تضىء جوانب أخرى مجهولة لقرار تعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة وإعلان الجمهورية.

كتب «أحمد أبو الفتح» يقول:

«كان عبدالناصر قد رتب كل الأمور فقرر إعلان الجمهورية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيين نجيب رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزارة وتعيين نفسه وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزارة وتعيين «صلاح سالم» وزيراً للإرشاد، و«جمال سالم» وزيراً للمواصلات، و«البغدادى» وزيراً للحربية وتغيير بعض المناصب الوزارية، وقال لزملائه إن هذه خطوة أولى ستتبعها قريباً جداً خطوة ثانية بإشراكهم جميعاً فى الوزارة، وكان أن استاء البعض دون أن يظهروا استياءهم لأن البحث كان قائماً على أساس تغيير هيئة

الوزارة من مدنية إلى عسكرية ولكنهم قبلوا رأى عبدالناصر لأنهم كانوا يعلمون أن أى واحد منهم يعارض «جمال عبدالناصر» سيكون مصيره مصير «رشاد مهنا».

كما اقترح «عبدالناصر» أن يتولى «عبدالحكيم عامر» منصب القائد العام للقوات المسلحة، وقد أثار هذا الاقتراح ضجة داخل مجلس القيادة، إذ إن عبدالحكيم كانت رتبته فى الجيش (صاغ)، فكيف يصبح قائداً ورئيساً على كل الرتب الأعلى منه. عندئذ اقترح «عبدالناصر» أن تصبح رتبة عبدالحكيم (لواء) وبذلك يستطيع أن يرأس القوات المسلحة.

ولكن هذه كانت خطة عبدالناصر. إذ يصبح هو نائب رئيس الوزراء، وعن طريق هذا المنصب يسلب من «محمد نجيب» تدريجياً سلطاته ويصبح «عبدالحكيم عامر» صديقه الصدوق فى ذلك الوقت القائد العام للقوات المسلحة وبهذا يضمن السيطرة على الجيش وبتعيينه «صلاح سالم» و«جمال سالم» و«عبداللطيف البغدادى» وزراء يكون قد أرضى المناكفين الذين يثيرون نقاشاً داخل مجلس القيادة.

ويضيف «أحمد أبو الفتح» أنه عندما قامت معارضة داخل المجلس حول تعيين عبدالحكيم عامر قائداً عاماً برتبة لواء قال عبدالناصر:

«إننا لا نستطيع أن نترك الجيش دون رقابتنا وإن الخطر سيهددنا جميعاً إذا لم نشرف إشرافاً فعالاً على الجيش، وإنكم تلاحظون أن تذمراً وراء تذمر قد بدأ يظهر، وأنه لابد من إحكام الرقابة على الوحدات وأنا لا أستبعد أن يقوم فريق من الجيش ذات ليلة فيلقى علينا القبض ونصبح نحن جميعاً فى السجون، والجيش كله يحب «عبدالحكيم» ولذلك أصُر على تعيينه قائداً عاماً للجيش».

وقال «عبدالحكيم عامر» إنه على استعداد للتفرغ لشئون الجيش وأنه سيعمل على توطيد علاقته بجميع الوحدات ومراقبتها دون حاجة إلى تولى هذا المنصب، ولكن جمال أصر وعاد يهدد بالتخلى عن العمل وتكاثر الضباط على «عبدالحكيم»، إذ كانوا قد اقتنعوا بما قاله جمال من ضرورة الإشراف على الجيش ومراقبة حركاته مراقبة دقيقة.

وجاء يوم ١٨ من يونيو وأعلنت هذه القرارات وصارت أمراً واقعاً، ومما هو جدير بالذكر أن أحداً من أعضاء مجلس القيادة لم يكن يقف إلى جوار «نجيب» سوى الصاغ «خالد محيى الدين» الذى كان يسعى إلى إعادة الحياة النيابية.

وعند إعلان ترقية «عبدالحكيم عامر» من رتبة صاغ إلى لواء وتوليه رئاسة القوات المسلحة قدم قائد سلاح الطيران اللواء «حسن محمود» استقالته ورفض كل المساعى لسحبها، وتم تعيين اللواء «محمد صدقى محمود» مكانه.

وكما كان الصحفى الكبير «أحمد أبو الفتح» واحداً من أقرب الصحفيين إلى «جمال عبدالناصر» فإن الكاتب الصحفى «حلمى سلام» ينطبق عليه نفس الكلام، وكما يقول الأستاذ «محمد حسنين هيكل»: «لم أكن أقرب الناس إليه، كان هناك غيرى أقرب، كان هناك «أحمد أبو الفتح» وكان هناك «إحسان عبدالقدوس» وكان هناك «حلمى سلام»!

ولا يزال الكثيرون حتى الآن يعتبرون أن «حلمى سلام» كان رجل المشير عامر فى عالم الصحافة كما كان «هيكل» رجل «عبدالناصر».

شهادة «حلمى سلام» بخصوص تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاما جاءت على النحو التالى:

«عندما رقى «عبدالحكيم عامر» فى يونيو ١٩٥٣ من رتبة (الرائد) إلى رتبة (اللواء) وعين قائداً عاماً للقوات المسلحة، تملك كثيرين الظن بأن هذا التعيين لم يتم إلا لأن (عبدالحكيم)، هو أقوى زملائه أعضاء مجلس الثورة بعد عبدالناصر، وأن هذه الترقية إلى هذا المنصب الخطير جداً، والحساس جداً، لم تجئه إلا كإقرار من هؤلاء الزملاء بقوته، وليس هذا الظن الذى تملك الكثيرين صحيحاً، فلم يكن «عبدالحكيم عامر» هو أقوى الرفاق بعد عبدالناصر، وإنما المؤكد أنه ـ من وجهة نظر عبدالناصر الخاصة، وأيضاً بمقاييسه الخاصة ـ كان أصلحهم لتولى هذا المنصب الخطير، إذ كان «عامر» بلا أدنى شك هو أشد الرفاق وفاء لشخص عبدالناصر، وأكثرهم بعثاً للطمأنينة فى نفسه بأن (خطراً ما) من ناحية القوات المسلحة مستحيل أن يأتيه، مادام بقى على رأسها هذا الصديق الذى عرفه يسرى الوفاء بين أضلعه، مسرى الدماء فى العروق».

ويضيف حلمى سلام أيضاً قوله: «المسألة إذن وبكل تأكيد كانت مسألة ثقة من جانب عبدالناصر فى شخص عامر، ولم تكن مسألة قوة تميز بها عامر على بقية رفاقه، لكن اقتراح «عبدالناصر» بتعيين (صديق عمره) قائداً عاماً للقوات المسلحة لم يمر فى مجلس الثورة بغير اعتراض، فلقد اعترض عليه «عبداللطيف البغدادى» الذى شعر بأن

عبدالناصر إنما يهدف من وراء تعيين «عامر» فى هذا المنصب الخطير إلى إحكام قبضته الشخصية من خلال صديق عمره على القوات المسلحة، فتصبح من بعد ذلك طوع أمره ورهن إشارته كأداة فى (لعبة السياسة) التى كان من رأى البغدادى أنه يتحتم استبقاء القوات المسلحة بعيداً عنها تماماً، ولم يتردد الرجل يومها فى أن يقولها لزملائه صريحة:

«إننا إذا سمحنا بأن يتدخل الجيش فى السياسة فسوف يفسد الجيش وتفسد السياسة».

لكن عبدالناصر بقى متمسكاً باقتراحه، وبرر هذا التمسك بقوله: «مستحيل أن أسلم أمر الجيش لشخص يكون غريباً عنا، لأن هذا معناه أننا نسلم رقابنا لهذا الغريب».

وانتصرت وجهة نظر عبدالناصر، وأصبح رفيق العمر قائداً عاماً للقوات المسلحة، وبذلك اطمأن قلب عبدالناصر إلى أن (رياح الخطر) لن تهب عليه فى يوم من الأيام.

«إن وجود عامر على رأس هذه القوات سوف يشدد من قبضة عبدالناصر الشخصية عليها ويجعلها رهن إشارته وطوع يمينه».

لكن أخطر ما كان يدور فى كواليس الثورة فى تلك الأيام بالذات يكشف عنه «خالد محيى الدين» فى مذكراته «والآن أتكلم».. إن شهادة «خالد محيى الدين» تضئ جوانب أخرى لخلفيات اختيار «عبدالحكيم عامر» قائداً للجيش فى نفس التوقيت الذى تم فيه إعلان الجمهورية واختيار اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية!!

فى البداية يذكر «خالد محيى الدين»:

«الحقيقة التى أود أن أتوقف عندها وأسجلها للتاريخ هى أن «نجيب» قد قاوم بشدة مسألة إعلان الجمهورية، فهو رئيس مجلس الثورة المالك لسلطة السيادة، ورئيس الوزراء الممسك بزمام السلطة التنفيذية، وهو أيضاً القائد العام للقوات المسلحة صاحبة الثقل الأساسى فى السلطة، وكان المشروع الذى قدمه «جمال عبدالناصر» ـ الذى كان متحمساً للإسراع بإعلان الجمهورية ـ يقضى بأن يعين شخص آخر قائداً عاماً للقوات المسلحة، وقاوم نجيب بشدة».

وحسبما قال «خالد محيى الدين» فإن «نجيب» كان من أنصار مد فترة الانتقال لأمد أطول بكثير من الثلاث سنوات، ولم يتحدث عن الديمقراطية إلا فيما بعد، أى عندما بدأ يفقد سلطته، وكان نجيب منذ البداية قد أعد نفسه ليستمر حاكماً، ولم يكن نجيب

وحده صاحب الطموح غير المحدود، كان هناك أيضاً «جمال عبدالناصر» لكن «جمال» كان أكثر ذكاء، فكان يربط طموحاته بطموحات الحركة، وطموحات الثورة، بل وطموحات مجلس الثورة.

وإذ كان نجيب يعلم علماً يقينياً أن «جمال عبدالناصر» لن يسمح له بالاحتفاظ بكل السلطة في يديه، فقد حاول أن يبحث عن مصدر للقوة يتحصن بـه ضد سلطة مجلس الثورة، ولجأ محمد نجيب إلى الجماهير، فأكثر من جولاته الجماهيرية وتحدث إليها بلهجة خالية من الترفع، وتبدى أمام الناس حاكماً بسيطاً يمتلك مشاعر أبويه، وحاول أن يكون نسخة معدلة ومحسنة من «مصطفى النحاس»، وقد أكسبه ذلك جماهيرية واسعة كانت تثير القلق لدى جمال عبدالناصر، وبعض الزملاء في مجلس القيادة».

ثم يضيف «خالد محيى الدين» إلى ما سبق سبباً آخر في غاية الأهمية وهو:

«كان نجيب يمتلك نفوذاً وسط السودانيين في فترة كانت مصر تتطلع فيها لقبول السودان لمبدأ الوحدة معها، وكان نجيب يلح ـ صراحة أو تلميحاً ـ ويحاول أن يرتب أن يكون الوحيد الظاهر أمام الجماهير وأن يتوارى كل أعضاء مجلس الثورة منكرين لذواتهم، ولم يكن هذا سهلاً ولا مقبولاً.

لكن كل هذه الأوراق التي امتلكها «محمد نجيب» كانت أضعف بكثير من أوراق مجلس الثورة، ومن نفوذنا داخل القوات المسلحة، ومن الأغلبية في المجلس التي كانت دائماً إلى جانب «جمال عبدالناصر».

وأخيراً ـ يقول «خالد محيى الدين» ـ «رضخ نجيب وقبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، وأن يتخلى عن موقعه كقائد للقوات المسلحة، وفي هذه الحالة ، «محمد إبراهيم» رئيس الأركان قائدنا جميعاً.

وتم اختيار «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للجيش!!».

❑

والآن نقترب أكثر من كواليس مجلس قيادة الثورة، ونتعرف على خبايا وأسرار هذا الاختيار لعبدالحكيم عامر، كما عرفها «خالد محيى الدين» في وقتها.. كتب مفسراً ومحللاً هذا الاختيار بقوله:

«كان اختيار عبدالحكيم عامر قائداً للجيش مثاراً لمعركة صامتة بين الزملاء في

مجلس الثورة، «فبغدادى» اعتبرهـا مناورة من عبدالناصـر لتعزيز نفوذه الشـخصى فى مواجهتنا جميعاً، فعـامر صديقه الحميم، ولابـد أنهما معاً سوف يـستقويان ببعـضهما البعض ضد الجميع، وربما كان هذا هو ما حدث فعلاً فيما بعد!!

أما أنا فـقد كانت عـلاقتى حسنـة بعبدالـناصر، ولـم أكن أشـعر إزاءه بأية رغـبة فى تقليص نفوذه (!!!) ومن هنا لم تشغلنى هـذه القضية بل كان ما يشغلنى فى واقع الأمر القضـية الأكثر عمومـية، وهى أسلوب عـملنا كحـكام وموقفنا مـن الديمقراطـية ومن القضية الوطنية».

كذلك أحدث تعييـن «عامر» حالة من عدم الرضاء بين قادة القوات المسلحة فكيف لضابط أن يقفز من رتبة «الصاغ» إلى رتبة «اللواء» دفعة واحدة ليقودهـم جميعاً؟!!

وبدأ الإعراب عـن عدم الرضا هـذا باستقالـة «حسن محمـود» قائد سلاح الـطيران الذى أكد لنا جميعاً أنه يحترم «عبدالحكيم عامـر» لكنه يستقيل لأنه يعتبر أن رتبة اللواء رتبة محـترمة وأنه لا يجوز الـتلاعب بالرتب العـسكرية، والقفـز عبرها بهـذه الـسهولة. وحدثت استقالات مماثـلة، وأدى ذلك إلى قلق مضاعف لدى «محمـد نجيب» فقد كان يعتمـد فى علاقاته بالجيـش على هذه القيادات الـتقليدية، وخـاصة أن غيابها سيـتيح لـ «جمال» و«عامر» أن يحلا رجالهما محل المستقيلين!!».

ثم يقول خالد محيى الدين بعد ذلك:

«كان عامر يمتلك العديد من المميزات، وجـمال لـم يختره فقط لأنه صديقه الحميم، ولا لأن ثقته به غالية فـقط، فقد كان عامر أحد الضباط الذين حاربـوا بكفاءة، وشجاعة فى حرب فلسطـين، وكان أحد (خمسة) ضباط تمت ترقـيتهم ترقية استثنـائية، فقد رقى من رتبة «يوزباشى» إلى رتبة «صاغ».

والترقية الاستثنائية من رتبة يوزباشى قفـزة كبيرة، فرتبة اليوزباشى كانت الرتبة التى يبقى فيها الضابط أطول مدة، وإذ يترقى بـعدها إلى رتبة صاغ يصبح واحداً من الضباط العظام ويسرع فى الترقى إلى الرتب الأعلى، وأنا مثلاً بقيت فى رتبة اليوزباشى من سنة ١٩٤٢ وحتـى بدايـات الثورة فـى ١٩٥٢، ولـم أرق إلـى رتبـة الصاغ إلا ضـمن دفـعة الترقيـات الواسعة فى ينـاير ١٩٥٢، بمناسبة ميـلاد ولى العهد «أحمـد فؤاد» وكان هذا حال الضباط الآخرين جميعاً، وكانت حجة قطع الطريق على «محمد إبراهيم» هى التى تقدم للضباط العاديين الذين أبدوا دهشتهم من هذه القفزة.

أما الأسباب الحقيقية فهى ان عامر كان صديقاً لجمال وكان فى الوقت نفسه صديقاً لنجيب ومقبولاً منه، ومن ثم كان يمثل نقطة توازن مقبولة من الطرفين.

وبعد الاتفاق على اختيار عبدالحكيم عامر، بدأنا فى ترتيب بقية الأوضاع».

وقرب ختام مذكرات «خالد محيى الدين» (.. والآن أتكلم) يرسم صورة بالغة الدلالة لشخصية «عبدالحكيم عامر» فيقول عنه:

«صديق قديم وعزيز أيضاً، ولعل الخطأ الأول فى حق عامر هو أنه عُين قائداً للجيش، لقد فعلها عبدالناصر لأنهما كان صديقين حميمين، فأراد أن يضمن به (أى بعامر) ولاء القوات المسلحة، لكن عامر لم يكن رجلاً من هذا النوع، فهو «عمدة» طيب القلب يحب أن يقيم علاقات حسنة مع الناس، وأن يتباسط معهم، وهو لا يهتم كثيراً بالضبط والربط، فحياته ذاتها لم تكن منظمة؛ فقد كان يسهر كثيراً ويصحو متأخراً.

لقد ظلموه عندما عينوه قائداً للجيش، فهو شخص «جماهيرى» ولو أنه كان قد عُين نائباً لرئيس الجمهورية وتفرغ مثلا «لهيئة التحرير» لكان قد حقق نجاحات مبهرة فهو شخص مرح وطيب وقادر على إقامة علاقات شخصية حميمية، وآخر ما كان يصلح له هو أن يتولى مسئولية الضبط والربط، وأن يتابع عمليات قيادة القوات المسلحة البالغة التعقيد والحساسية، وأن يتابع معها التسليح وتطور الأسلحة والتدريب وما إلى ذلك.

ولعله لم يهتم بهذا كثيراً، بل غلبت عليه روحه الطيبة وشخصية العمدة، فكان سخياً على الضباط، وكسب حبهم إلى درجة كبيرة، ولكن النتائج النهائية لم تكن مفيدة لأحد، لا لمصر، ولا للجيش، ولا له هو شخصياً».

وفى نفس الصدد قال أيضاً «كمال الدين حسين» عضو مجلس قيادة الثورة:

«عرض علينا عبدالناصر فى سنة ١٩٥٣ أن يكون هناك قائد عام للقوات المسلحة، يكون مسئولاً أمام مجلس الثورة عن جميع الأسلحة، ويتفرغ كل منا إلى ناحية أخرى من شئون البلاد، ووافقنا على الاقتراح، وقدم لنا اقتراحه الثانى أن يتولى «عبدالحكيم عامر» هذه المسئولية ورغم أنه لم يكن هو المناسب لهذا المنصب إلا أننا وافقنا بالإجماع، فقد كان «عبدالحكيم» أقربنا إلى قلب «عبدالناصر» ومن أجل ذلك اختاره لثقته فيه، ومعارضتنا قد يفسرها تفسيرات شتى نحن فى غنى عنها، منها مثلاً أن من سيعارض

سيقال، إنه يريد المنصب لنفسه. وكنا جميعاً نعمل دون النظر إلى منصب معين، فوافقنا بالإجماع.

❑

وفيما بعد فقد كان تعليق «عبداللطيف البغدادى» (وزير الحربية وقت صدور القرار السابق) على فكرة تعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة مع منحه رتبة اللواء، وكما جاء فى مذكراته المنشورة عام ١٩٧٧ هو ما يلى بالضبط:

«كنت معتقداً أن «جمال عبدالناصر» لم يرشح عبدالحكيم لتولى قيادة الجيش إلا لغرض سياسى، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقى المجلس، وذلك عن طريق مساندة الجيش له، وأن الذى يضمن له ذلك هو تعيين عبدالحكيم عامر قائداً عاماً له معتمداً على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما، كما كنت أخشى أيضاً من تولى عبدالحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش فى المستقبل أداة تدخل فى السياسة العامة ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد».

ويضيف البغدادى: «لذا رأيت أن أعترض على اقتراح «جمال» مبيناً أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة، ذاكراً أن الجيش إذا تدخل فى السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضاً، وأن هذه محصلة تجارب على مدى التاريخ، ولكن جمال عبدالناصر تمسك باقتراحه مبيناً أنه من المستحيل أن يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم فى رقابنا على حد تعبيره، وموقفى هذا من تعيين عبدالحكيم خلق حساسية منه نحوى لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم.

وعندما أعلن قرار تعيين عبدالحكيم قائداً عاماً للجيش تقدم قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود باستقالته من القوات الجوية ورفض أن يستمر فى منصبه احتراماً لرتبة اللواء التى كان يحملها على حد قوله. ولأن عبدالحكيم عامر الذى كان «صاغاً» ثم رقى إلى رتبة اللواء دفعة واحدة سيرأسه وهو لا يرضى لنفسه بهذا الوضع. وظل متمسكاً بموقفه رغم محاولتى مع حسن إبراهيم إقناعه بالاستمرار وكان ذلك بتكليف من المجلس لنا، ولكنه أصر على موقفه احتراماً للأقدمية العسكرية، وفرق بين منصب القائد العام كمنصب عسكرى ومنصب وزير الحربية كمنصب سياسى، وأنه لا يضيره

من يشغله، وتبعاً لهذا الإصرار منه قبلت استقالته وعين بدلاً منه الطيار «محمد صدقى محمود».

وكان من نتائج تعيين عبدالحكيم قائداً عاماً للجيش أن أبعد باقى أعضاء المجلس عن وحداتهم العسكرية تدريجياً بحجة أن نترك حرية العمل لعبدالحكيم عامر حتى لا نتسبب فى سوء تفاهم بيننا لو استمرت علاقتنا بزملائنا الضباط، وعمل على إبعاد زملائنا عنا بواسطة ضباط مكتب عبدالحكيم، وكان ذلك يجرى بتهديدهم أو بحجة ابتعادهم عنا حتى لا يضاروا. وكان يعمل فى الوقت نفسه على تقربهم من عبدالحكيم بخدمات تقدم إليهم حتى أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبدالحكيم وجمال عبدالناصر، أو إلى من هم قريبين منهما طمعاً فى منصب أفضل أو خدمة تؤدى لهم. وأصبح الجيش بذلك مع مرور الوقت أداة فى يد «جمال وعبدالحكيم»، وانعزلنا نحن نهائيا عنه، ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية».

ومن «عبداللطيف البغدادى» إلى السيد «حسن إبراهيم» عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية السابق، وكان قد سئل عام ١٩٧٦ : هل كان «عبدالحكيم عامر» أكثرهم كفاءة للتعيين فى منصب مدير مكتب القائد العام ثم فى ترقيته إلى رتبة اللواء ليصير قائداً عاماً للقوات المسلحة؟!

وكانت إجابة «حسن إبراهيم»:

«الحق أن تعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً للجيش، لا يمكن فصله عن مسألتين أساسيتين:

الأولى: أنه بعد نجاح الثورة طلب منا «جمال عبدالناصر» أن نقطع علاقاتنا بقواعدنا فى السلاح، لقد كان كل منا له خلايا منظمة فى الأسلحة، يعنى مثلاً «البغدادى وجمال سالم وأنا»، كانت لنا خلايا فى الطيران، «خالد محيى الدين» له فى الفرسان، «كمال حسين» فى المدفعية، وهكذا، ولذلك لم يكن من الممكن أن نستمر على نفس الحال تستندنا قواعدنا وإلا حدثت أمور قد تصل إلى انقلاب على الثورة. أو يتكرر ما كان يحدث فى سوريا، ولهذا كانت نظرة حكيمة من «عبدالناصر» أن يطلب منا التخلى عن هذه القواعد، حتى يصير الجيش وحدة واحدة متماسكة ثم كان لابد بتوحيد القوات المسلحة أن يعين لها قائد عام».

وهنا تجيء النقطة الثانية: وهي ضرورة أن يكون هذا القائد واحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة، ولابد أن يكون وثيق الصلة برئيس المجلس ـ قائد الثورة ـ وألا يُشْتَمّ منه استغلال منصبه أو احتواء الجيش لحسابه الشخصي الخاص، مما يشكل خطورة على الثورة وقائدها.

لهذا ـ يضيف «حسن إبراهيم» ـ فإن «جمال عبدالناصر» اختار «عبدالحكيم عامر» باعتباره صديقه الوفي المخلص. وفي الوقت نفسه فإن «عبدالحكيم عامر» كان ضابطاً جيداً، ونال ترقية استثنائية في حرب فلسطين!».

وفيما بعد أيضاً فقد تناول السيد «أمين هويدي» الذي تولى وزارة الحربية بعد أيام من النكسة مسألة تعيين عبدالحكيم عامر قائداً عامًا فذكر في كتابه « مع عبدالناصر» ما يلي:

«حينما تولى المشير عامر قيادة القوات المسلحة عقب قيام الثورة كان هذا الإجراء يتفق وطبيعة الأشياء، فالثورة ـ أية ثورة ـ لها الحق في تأمين نفسها خاصة في القوات المسلحة، التي يمكن أن تتجه إليها جهود الثورة المضادة إن هي فكرت في استعادة السلطة.. والمشير «عامر» كان أهلا للقيام بهذا الواجب، فشخصيته تتميز بالتسامح والرقة والإنسانية إلا أن علاقاته الخاصة كانت ترجح إنضباطه الذي من المحتم أن يكون صفة مميزة لمن يتولى قيادة رفيعة كتلك التي كان يتولاها.

ثم فوق كل ذلك ـ يضيف أمين هويدي ـ كان «عامر» هو الشخص الأقرب إلى قلب «عبدالناصر» قائد الثورة وزعيمها. ولقد قام المشير «عامر» بتحقيق هذا الواجب في يسر وكفاءة حببت فيه القوات المسلحة، وفي الوقت نفسه زادته قرباً من الرئيس مما أثار حفيظة بعض الزملاء وغيرة بعض الأصدقاء فتسبب عن ذلك صراعات وخلافات كانت تحسم دائماً لصالح المشير عامر».

ثم يتساءل «أمين هويدي» قائلاً: ولكن لماذا «عبدالحكيم عامر» بالذات؟ وكانت إجابته كما يلي:

«كان «عامر» من ضباط الجيش المعروفين تتلمذ على يديه كثيرون من الضباط، خصوصاً هؤلاء الذين يحاولون الالتحاق بكلية أركان الحرب عن طريق اجتياز اختبارات صعبة تحتاج إلى مساعدة، وكان «عامر» على اتصال بالكثيرين الذين كانوا يلجأون إليه لتحقيق ذلك. ثم كان الرجل ولا شك خدوماً، له علاقاته الإنسانية،

متواضعاً، محبوباً، ليس فيه تزمت الضباط من ذوى الرتب الضعيفة، ثم كان «عامر» عضواً فى مجلس قيادة الثورة، ثم ـ وهذا هو الأهم ـ كان الرجل صديقاً لـ «عبدالناصر» وقريباً إلى قلبه وموضع ثقته. ثم كان فى الوقت نفسه على علاقة بالرئيس «محمد نجيب» الذى تصدر الثورة وقت قيامها، ولحين حدوث الانشقاق فى صفوفها فى حركة مارس ١٩٥٤.

كانت فيه كل المزايا التى ترشحه للقيام بالواجب المنوط به لتأمين الثورة».

ويضيف «أمين هويدى» فى حديثه واقعة بالغة الأهمية تتعلق بواجب تأمين الثورة وحمايتها كما يفهمه «جمال عبدالناصر» وقتها فيقول:

«كان يتولى رئاسة أركان الحرب أحد الضباط وهو الفريق «محمد إبراهيم» وكان الرجل سريع الغضب. كثير الانفعال، ينفر منه الضباط الصغار بتهجماته التى لا تنقطع. وقد أزعجت كراهية الضباط لرئيس أركان الحرب أحد الضباط المقربين من عبدالناصر فذهب إليه منزعجاً وأخبر عبدالناصر بما يقلقه.

ولدهشة الزميل نظر إليه «عبدالناصر» وهو يبتسم ابتسامته الواثقة، وقال له فى اختصار: «طيب وإحنا عاوزينهم يحبوه ليه؟»».

ويعلق «أمين هويدى» على كلمات عبدالناصر السابقة بقوله:

«والمعنى واضح تماماً لما ذهب إليه عبدالناصر».

❑

السيد «عباس رضوان» (نائب رئيس المخابرات ووزير الداخلية وواحد من الضباط الأحرار) يقول فى شهادته على تعيين عبدالحكيم عامر قائدا عاما للجيش:

«إن اختيار عبدالحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة كان اختياراً صحيحاً ١٠٠٪، فعبد الحكيم عامر «ضابط عظيم الكفاءة ومؤهل ومر بجميع مراحل تكوين الضابط القائد الصحيح، وتخرج فى كلية أركان حرب، وكان من أوائل دفعته فى الكلية.. وكان أحد الضباط الخمسة الذين تمت ترقيتهم استثنائياً فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أثناء العهد الملكى».

كذلك فإن عبدالحكيم عامر «كان له مجهود فى تكوين الضباط الأحرار وتنظيمهم وتشكيلهم يفوق مجهود «جمال عبدالناصر» بحكم موقعه فى سلاحه وخدمته فى

فلسطين، والحقيقة المؤكدة أن أكبر حصيلة من الضباط الأحرار دخلت هذا التنظيم، كانت عن طريق «عبدالحكيم» بالإضافة إلى أن الوضع العسكرى كان يستدعى تعيين «عبدالحكيم» قائداً عاماً للقوات المسلحة لأن حماية الثورة وحماية الأهداف التى قامت من أجلها كان يستدعى وجود شخص من المجموعة التى قامت بها على رأس القوات المسلحة، أى أن يتم الاختيار من مجلس قيادة الثورة، والمجلس لم يكن فيه من هو أعلى رتبة من «عامر»، باستثناء «محمد نجيب» الذى لم يكن القائد الفعلى للثورة، والباقون كانوا من الإخوة الطيارين - ومع احترامى الكامل لهم إلا أنه لم يحدث من قبل أن كان قائد القوات المسلحة طياراً بل لابد أن يكون من الجيش نفسه».

«بالإضافة إلى أن «عامر» كان أقرب الناس إلى عبدالناصر قلباً وقالباً، وكان بينهما درجة من الثقة تجعل عبدالناصر بدون تردد يختار «عبدالحكيم» حتى يستطيع أن يؤمن القوات المسلحة ويتفرغ هو للعمل السياسى لأنه لابد من وجود علاقة وثيقة بين القيادتين السياسية والعسكرية فى ذلك الوقت، وتنسيق كامل بينهما، ولو جاء قائد محترف من خارج الضباط الأحرار فإنه كان سيرجع لعبدالناصر فى كل صغيرة وكبيرة ليثبت ولاءه وليعرف التعليمات الخافية عليه.

وعموماً فإن تعيين «عامر» قائداً للقوات المسلحة، كان من القرارات التى قوبلت بارتياح تام دون أدنى اعتراض من أى شخص، وأقول هذا دون المساس بالكفاءة العسكرية لأى زميل آخر».

❑

وفى مذكرات «نور الدين طراف» أحد رجال الحزب الوطنى القديم، ورئيس وزراء مصر الأسبق، يقول:

«كان «جمال عبدالناصر» هو صاحب اقتراح تعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة وترقيته من «صاغ» إلى رتبة «اللواء مرة واحدة»، لا لكفاءة وقدرات خاصة يتمتع بها عامر دون باقى أعضاء مجلس الثورة ولكن للثقة الكبيرة التى تميز علاقتهما.

وقد أراد عبدالناصر أن يضمن ولاء الجيش له ببقاء عبدالحكيم عامر على رأس القيادة فيه، ولكن بعض المحيطين بعامر من هواة الصيد فى الماء العكر أدخلوا فى رأسه

أنه لولاه ما استطاع عبدالناصر البقاء فى الحكم، وعمل عبدالحكيم عامر من ناحيته على ضمان ولاء الضباط له شخصياً».

ويذهب «محمد أبو الفضل الجيزاوى» (من الضباط الأحرار) إلى القول:

«إن عبدالناصر ما كان يمكن أن يعين عبدالحكيم عامر، قائداً عاماً للقوات المسلحة إلا إذا كانت شخصيته ضعيفة ومهزوزة لكى يضمن أن يطيع أوامره على طول الخط، ولكن مركب النقص إزداد فى عقل «عبدالحكيم عامر» فاختلف مع عبدالناصر عام ١٩٦٥ وبدأ يهدد عبدالناصر».

والحقيقة أن عبدالحكيم عامر شخصية مهزوزة وضعيفة وغير حاسمة، وكان لا ينبغى أن يعين قائداً عاماً للقوات المسلحة.

❑

فى نهاية شهر مارس ١٩٥٣ كان السيد «محمد حافظ إسماعيل» يغادر واشنطن فى طريقه إلى القاهرة ليشغل منصبه كمدير لمكتب اللواء «محمد نجيب»، وحتى ذلك الوقت لم يكن «حافظ إسماعيل» قد التقى باللواء «نجيب».. وعن هذه الفترة يقول محمد حافظ إسماعيل:

«لقد جذبنى إليه بعد أن بدأت العمل معه أسلوبه الصريح الودود، ولكن سرعان ما تبين لى أنه لا يملك السلطة الكافية لإحداث التغييرات الملحة أو الجذرية داخل القوات المسلحة، وفضلاً عن ذلك، كانت مهمة الجيش باعتباره الحارس على الثورة تفوق فى أهميتها فى هذه المرحلة أية اعتبارات أخرى، مما يفرض تأجيل ما يتصل بتطوير هذه القوات حتى يتحقق الاستقرار على الجبهة الداخلية والاتفاق على الجلاء.

ولقد جاءت الخطوة الأولى فى سبيل الاستقرار مع إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة مدعماً بسلطة عبدالناصر.

ويضيف «حافظ إسماعيل»:

«وخلال سبعة أعوام ونصف.. عملت مع عبدالحكيم عامر مديراً لمكتبه، ومع أن «عامر» لم يكن «عبقرياً» إلا أن ذكاءه وحسمه كانا محل إعجابى به. كما كان «عامر» إنساناً قبل كل شيء، عاطفياً إلى حد بعيد، كان دائماً على سجيته، لا يشعر الإنسان معه بفارق سن أو بفارق رتبة، لا يصعب اللقاء به أو الحديث إليه.

وكان أكثر ما يذكرنى بقامته الفارهة، ووجنتيه البارزتين، والأنف الطويل، والشفاة الغليظة، بصور الفراعنة على جدران المعابد فى الأقصر.

ولقد أبقى «عامر» على تنظيم مكتبه تحت إشرافى، بينما نظم مكتباً آخر «للشئون العامة» يعالج من خلاله ما يتصل بمسائل الأمن والضباط، وكانت مسئوليتى ومساعدتى مراجعة ما تتقدم به هيئة أركان الحرب الثلاث ـ فيما يتصل بالعمليات والتنظيم والإمداد والتدريب ـ والتنسيق فيما بينها. ورغم دقة عملنا هذا فقد كسبنا ثقة واحترام «عامر» ورؤساء أركان الحرب، وعلى امتداد عملنا معاً لم نختلف فى أمر من أمورنا، وكان ذلك دافعاً له لكى يستبقينى إلى جواره، ولم أكن لأتردد فى قبول ذلك برضاء تام».

❏

أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار ورئيس تحرير مجلة «التحرير» يقول عن تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش:

«.. كان «جمال عبدالناصر» خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس وخارجه بتركيز شديد يعطى ليله ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه.

وكانت براعته فى اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول بهم على الأغلبية التى يريدها، أمراً لا يتوافر لأحد من زملائه، الذين كثيراً ما كانت تفرقهم بعض المشاكل والاهتمامات الخاصة، والذين لم يحدد أحد منهم طريقه أو رأيه الخاص وإنما كان يندفع مع المجموعة فى حماس شديد تاركاً التفكير لغيره.

كان «جمال عبدالناصر» أرصن زملائه شخصية، وأقلهم كلاماً، وأحسنهم استماعاً وأقدرهم على حل المشاكل بمهارة تكتيكية ملحوظة. وكما كان هو مركز حركة الضباط الأحرار وأكثرهم اتصالا بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليو فإنه ظل أكثرهم اتصالاً بمختلف الضباط أيضاً بعد الحركة، مدركاً أن قوته تأتى من صلته الوثيقة بزملائه فى مختلف الأسلحة».

ولكن ـ يقول «أحمد حمروش» ـ استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئاً شديداً عليه فى وقت تضخمت فيه المسئوليات وتعددت الواجبات، وتجاوزت مرحلة تكوين تنظيم إلى مرحلة المسئوليات الكاملة عن مصر.

واستقر رأيه على تعيين الصاغ «عبدالحكيم عامر» زميله وصديق عمره وأقرب زملائه لقلبه، وأكثرهم إخلاصاً ووفاء له، حيث كانا يسكنان معاً فى شقة واحدة قبل الزواج، قائداً عاماً للقوات المسلحة بدلاً من «محمد نجيب» الذى وصلت شعبيته إلى درجة الخطورة على زملائه، والذى كان حريصاً على صلته بالجيش فقام بمئات الزيارات للوحدات منذ ٢٣ يوليو».

وطبقاً لما يرويه «أحمد حمروش» فقد كان «جمال عبدالناصر» يخشى من شعبية اللواء محمد نجيب «الطاغية.. والذى أصبح فى غضون شهور قليلة معبود الملايين فى مصر»، ومن هنا اتجه «عبدالناصر» رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار إلى اتخاذ هذا القرار الخطير والجرئ أيضاً.

وكما يقول «حمروش»: «كانت الفكرة خطيرة وجريئة معاً.. فإن ترقية صاغ إلى رتبة لواء هو أمر يتناقض تماماً مع انضباط القوات المسلحة، ويتنافر مع طبيعة الضباط الذين تمثل الأقدمية عندهم شيئاً مقدساً».

وكان الإعلان عن هذه الفكرة بطريقة مجردة حرياً بأن يقابل بالرفض والمعارضة من جانب «محمد نجيب» الذى عاش حياته جندياً يعتز بجنديته. ورأى «جمال عبدالناصر» أن يربط هذه الخطوة الجريئة بخطوات أخرى تكون أكثر جاذبية لاهتمام الناس، وتضعف من صلابة المقاومة عند محمد نجيب وزملائه فى مجلس القيادة. ومن هنا كان الربط بين ترقية «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة وبين إعلان الجمهورية وتعيين «محمد نجيب» أول رئيس لجمهورية مصر».

واعترف زكريا محيى الدين لحمروش: «إن قوتهم كأفراد يشكلون سلطة المجلس قد انتهت بتعيين «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً للقوات المسلحة..».

ويختتم «أحمد حمروش» شهادته قائلاً:

«كان وصول عبدالحكيم عامر -إلى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة نقطة تحول مهمة فى سيطرة أعضاء مجلس القيادة على الجيش بصورة عامة، وسيطرة «جمال عبدالناصر» على أعضاء مجلس القيادة بصفة خاصة، كان تعيين «عبدالحكيم عامر» هو نهاية اتصال أعضاء مجلس القيادة بالضباط زملائهم فى مختلف الأسلحة، وقد استقر الأمر على ذلك بدعوى الحرص على الانضباط العسكرى، بينما هو فى حقيقته قد

انتهى إلى عزلة هذه المجموعة من ضباط الجيش، فلم يعودوا بقادرين على تحريك قواتهم السابقة أو مناقشة أمورهم بصفة قانونية».

وقد أصبحت اليد العليا فى السيطرة على القوات المسلحة هى يد «جمال عبدالناصر» الذى كان يثق ثقة شديدة فى صديقه «عبدالحكيم عامر» والذى كانت صفاته الشخصية تجتذب الضباط إليه لروحه المرحة وطيبته وإنسانيته، رغم أنه لم يكن يملك مواصفات قائد القوات المسلحة الذى يحتاج إلى يقظة وعلم وخبرة وشخصية متماسكة».

❑

ويرصد «صلاح نصر» رئيس المخابرات السابق ـ فى مذكراته التى سبق الإشارة إليها ـ ملامح العلاقة التاريخية التى ربطت بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر فيقول:

«كانت علاقتهما مضرب الأمثال.. وثيقة متينة، وكان اعتماد عبدالناصر وثقته فى صديق عمره لا حد لهما، وإن كانت قد اهتزت وتصدعت فيما بعد.

ولقد امتدت صداقتهما إلى أسرتيهما، فأطلق عبدالحكيم على ابنه الأكبر اسم «جمال» وسمى عبدالناصر أصغر أبنائه «عبدالحكيم»، كان كل منهما فى كل مناسبة يشيد بالآخر، وكان أبناء عبدالناصر إذا احتاجوا إلى شىء طلبوه من عبدالحكيم عامر.

كانت العلاقة بين الاثنين علاقة وطيدة استمرت وتوجت بالمصاهرة فتزوج الطيار «حسين عبدالناصر» شقيق «جمال عبدالناصر» بآمال ابنة «عبدالحكيم» الكبرى، وكان عبدالحكيم لا يخفى حبه لعبدالناصر أمام أى إنسان، كان يقول عن إيمان: «إن عبدالناصر فلتة من فلتات العصر لن تتكرر، ولو استمرت نساء مصر يحملن وينجبن لنصف قرن من الزمان فلن يأتين بمثل «جمال عبدالناصر».

ويؤكد صلاح نصر على قوله: «وبالطبع لم يكن عبدالحكيم منافقاً ولا مداهناً، بل على العكس كان يتعامل مع عبدالناصر معاملة الند للند، وقد أدى هذا إلى مشكلات كبيرة استغلها بعض المحيطين بعبدالناصر لتقويض هذه الصداقة.

وكان عبدالحكيم عامر محبوباً من ضباط الجيش حتى منذ قبيل الثورة، ويرجع إليه الفضل فى تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار.. كان شعلة متوقدة فى النشاط والحركة،

ومع أنه لم ينتم إلى أحزاب سياسية، فقد كان وعيه السياسى ناضجاً من قراءاته ومن قربه لعبدالناصر.

كان «عبدالحكيم عامر» حتى بدء الخلافات بينه وبين «عبدالناصر» أقرب الناس إلى قلب عبدالناصر، وأكثر الناس معرفة بأدق أسراره».

ويقول «لطفى واكد» (عضو تنظيم الضباط الأحرار):

«فى أحد الأيام من عام ١٩٥٤، بعد حادث الاعتداء على الرئيس «جمال عبدالناصر» فى المنشية، واعتقال الإخوان المسلمين، وكان لى رفاق سلاح منهم فى المقاومة ضد قوات الاحتلال البريطانى. ذهبت لزيارة مجاملة للمرحوم «يوسف طلعت»، وبعد انتهاء الزيارة تعمد قائد السجن الحربى «حمزة البسيونى» بأن يعطلنى حتى طابور التمام كى أشاهد مسرحية سمجة حيث يقف «الهضيبى» فى الأمام ووراءه طابور من مكتب الإرشاد ثم باقى المعتقلين وكل واحد منهم وراءه سجان فى يده عصا، ثم يذاع من الميكروفون تسجيل لعبدالناصر وهو يتكلم فى المنشية، ثم طلقات الرصاص ثم يتوقف الشريط ويذاع صوت «أم كلثوم» تغنى «يا جمال يا مثال الوطنية»، ويجبر الجميع تحت التهديد بالضرب على ترديد الأغنية والهتاف لجمال عبدالناصر!!

شاهدت هذه المسرحية السمجة وخرجت منقبضاً إلى منزل الرئيس، ورويت له ما رأيت فأصيب بالذهول، وقال:

«هل رأيت بنفسك أم سمعت هذه الرواية من أحد؟».

فقلت له: «أنا قادم من هناك فوراً».

فقال: «أنا أشعر بالخزى من حدوث هذا الشيء فى عهدى».

ثم قال (عبدالناصر): العنف يقابل بالعنف لا أعترض، لكن السجين أمانة فى عنق الدولة، وإهانة المساجين وتعذيبهم معنوياً شيء لا أقبله أبداً، ويجب نقل «حمزة البسيونى» فوراً ومحاكمته!

ثم طلب «عبدالحكيم عامر» عدة مرات ولم يجده ولم يكلمه أمامى، ولكنه فى ثورته قال: عبدالحكيم بيتستر على سفاحين!

وفى أثناء جلوسى معه كان يتكلم فى التليفون، ودق تليفون آخر فطلب منى الرد، وكانت المتكلمة السيدة «أم كلثوم» فقال لى احكى لها ما رأيته فى السجن الحربى..

وبعد فترة تكلم «صلاح سالم» فروى له ما حدث وكـرر عبارة «عبدالحكيم بيتستر على سفاحين»، وخرجت من منزله وأنا متأكد من أن دور حمزة البسيونى، وأمثاله قد انتهى، ولكنه بقى بعد ذلك ١٣ عاماً»!

ويعلق «لطفى واكد» قائلاً:

«وهنا بدأت اكتشف أن «عبدالحكيم» لم يعد بالضبط ظلاً لعبدالناصر!!».

وما لم يقلـه «لطفى واكد» أن العلاقة والـصداقة بين الرئيس والمـشير زادت وكبرت ولم تهتز ولو بشرخ واحد.

❑

لكن أخطر نتـيجة ترتبت على هذا القرار بتـعيينه قائداً عاما للجيـش أن «عبدالحكيم عامر» بـدأ بعد فترة يعـتاد على أنه الرجـل الثانى فى النـظام ـ وحسب ما يقـول «خالد محيـى الدين» ـ فقد بـدأ فى السعى لـلمزيد من النـفوذ فى المؤسسـة العسكريـة بهـدف استخدامها كثقل ضرورى يحدد خطواته المقبلة!!

3

مصر بين الرئيس والمشير !

دار الخيّال

لم يكن المشير «عبدالحكيم عامر» غائباً عن الحياة المدنية بل كان حاضراً وبقوة، وله رأى وكلمة فيما يجرى ويحدث!!

كانت ذراع المشير قد طالت وتمددت واتسعت حتى بسطت نفوذها وسلطاتها على الكثير من نواحى الحياة المدنية فى مصر!.. من رئاسته لاتحاد كرة القدم إلى رئاسة الطرق الصوفية!! من اهتمامه بمباريات كرة القدم وكتابات نجيب المستكاوى إلى رئاسته للجنة تصفية الإقطاع.. وليس سراً أن الكثير من التعيينات المهمة فى المناصب الحساسة كان للمشير فيها رأى ووجهة نظر لم يستطع الرئيس «جمال عبدالناصر» تجاهلها أو عدم الأخذ بها.

لم يكن «عبدالحكيم عامر» مجرد صديق لـ «عبدالناصر»، كان ما بينهما رابطة أقوى من الصداقة، لا يشك أحدهما لحظة فى الآخر، ولا يصدق فيه وشاية، ولا يغار منه أو ينافسه!

وكان «عبدالحكيم» هو الوحيد الذى يحتد معه «عبدالناصر» دون حرج، ودون تحفظ، ولا يخشى أن يؤدى الخلاف إلى قطيعة. وكان الوحيد أيضاً الذى يشكو إليه متاعبه مع زملائه، ولكنه لم يكن يشكوه أبداً إلى هؤلاء الزملاء.

فماذا كان السر وراء هذه العلاقة؟ هكذا يتساءل «محمود الجيار».. والإجابة: «إن المكانة الخاصة لـ «عبدالحكيم عامر» فى قلب «عبدالناصر» كانت سبباً فى كثير من

المتاعب مع بعض أعضاء مجلس الثورة الآخرين، وأدت إلى تنمية العداوة بينهم وبين «عبدالحكيم»، وبسببها تفاقمت مشاكل وخلافات لا حصر لها.

وبعض هذه المشاكل والخلافات كان يمكن أن يتجنبها عبدالناصر لو أنه جعل العلاقة بـ «عبدالحكيم» فى مستوى علاقته بكمال حسين أو البغدادى، أو زكريا محيى الدين!

فلماذا لم يفعل؟! ببساطة لأن عبدالحكيم عامر كان مختلفاً!

كان يفهم الصداقة على طريقة الصعايدة وبمنطق الحديث الشريف «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً...».

وكان «عبدالحكيم عامر» رجلاً شهماً إلى أقصى الحدود، لا يملك الذى يعرفه إلا أن يحبه، وقد كانت شهامته نقطة الضعف التى أتاحت لبعض العاملين معه ـ فيما بعد ـ أن يشكلوا مركز قوة بحمايته !

وكان عامر محبوباً فى الجيش، وصاحب صلات لا حد لاتساعها برغم صغر سنه، كان مسئولاً عن شئون الضباط فى سلاح المشاة، ومن هذا الموقع كسب حب الكثيرين لرجولته وحسن تصرفه».

وبحسم يؤكد «لطفى واكد»:

«بعد نجاح الثورة كان واضحاً أن تثبيت زعامة عبدالناصر وإحاطته بالأمان كانا هدفين واضحين فى تفكير «عبدالحكيم» وفى مواقفه حتى أنه فاجأ «عبدالناصر» بغير علمه بنقل عائلته ومنقولات منزله من الشقة التى كان يقيم فيها فى كوبرى القبة إلى فيلا صغيرة فى منشية البكرى بين المعسكرات تتكون من ثلاث غرف عاش فيها عبدالناصر على حالها أربع سنوات إلى أن فرضت الظروف توسيعها»!

وموقف آخر بين عبدالناصر وعامر يرويه «لطفى واكد» قائلاً:

«وقبل تبادل العنف مع الإخوان المسلمين كان يحلو لعبدالناصر الذهاب إلى السينما بدون حراسة، وكنت ألاحظ فى كل مرة أن «عبدالحكيم» يضع نفسه فى موضع الدرع الذى يقى عبدالناصر من أى سوء».

ويرسم «حلمى سلام» بحكم اقترابه من «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر»

صورة مركزة وعميقة بالكلمات لشخصية كل منهما والذى يؤكد فى حسم (أن لعبدالحكيم عامر شخصية تعتبر النقيض تماماً لشخصية صديق عمره!)، ويشرح ذلك بقوله:

«فبينما كان عبدالناصر يتمتع بشخصية جادة وهادئة ومتحفظة: يتكلم بحساب ويضحك بحساب.. ويضع بينه وبين الآخرين حواجز يحرص على أن يجعلهم يشعرون بأنه ليس بوسعهم أن يتخطوها!؛ كان لعبدالحكيم عامر شخصية بسيطة، ودودة، ومرحة، كان يتذوق «النكتة» يحكيها ويضحك عليها من قلبه كأى واحد من أولاد البلد، وكان يقبل على الآخرين وعلى الحياة نفسها، بقلب مفتوح وبعقل مفتوح، فلا حيطة ولا حذر ولا ارتياب فى شخص، ولا فى شىء، فلقد كان طيباً ونقياً ونظيفاً.. وكانت مشكلته الحقيقية مع نفسه أنه كان يعتقد أن الناس جميعهم مثله».

ثم يضيف «حلمى سلام» بكل الوضوح والصراحة قوله:

«لم يكن عبدالحكيم عامر حذراً كعبدالناصر! ولا فواراً كصلاح سالم (!!) ولا غامضاً كزكريا محيى الدين !! ولا ماكراً كالسادات!!

وإنما كان بين كل هؤلاء نسيجاً وحده، كل ما يعتمل فى أعماقه تبوح بها عيناه، وكل ما يدور فى رأسه ينطق به لسانه. بلا حذر، وبلا غموض ولا دهاء! الذين يحبهم كانوا يعرفون من عينيه، ومن لقائه، ومن الطريقة التى كان يضع بها يده فى أيديهم أنه يحبهم، والشىء نفسه كان يفعله بالنسبة للذين كان يكرههم».

وحسبما يؤكد «حلمى سلام» بعد كل هذه السطور فإن السياسة كانت آخر ما يصلح له، وكان هو آخر من يصلح لها، ولم يكن من ناحيته يحاول أن ينكر هذا بل كان يقول ويكرر القول:

«أنا لا أفهم فى السياسة.. أنا أفهم فقط أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

ثم يكمل «حلمى سلام» رسم باقى ملامح الصورة على النحو التالى:

«لقد كان «عبدالحكيم عامر» ـ وبحق ـ نموذجاً فريداً من نماذج الشهامة والوفاء، وربما كانت أفدح أخطائه فى حق نفسه، وفى حق ثورته، أنه كان يصر على أن يظل وفياً حتى لمن تكشف له الأيام عن أنهم لا يستحقون الوفاء»!

لكن أخطر ما يكشف عنه تحليل «حلمى سلام» هو قوله:

«وفى حدود نقاط الضعف التى كان «عبدالناصر» يعرفها فى «عامر» فإنه لم يجد بأساً فى أن يفرضه على بقية الرفاق، قائداً عاماً للقوات المسلحة، على الرغم من أنه لم يكن أقوى هؤلاء الرفاق ولا أعلاهم رتبة، ولا أكثرهم علماً، ولا أشدهم جلداً على العمل وتبعاته، فلقد كان بين أولئك الرفاق، وأقولها ـ برغم كل الحب الذى أحمله لشخص «عبدالحكيم عامر»، ولما كان به من صفات إنسانية مبهرة ـ من هم أكثر قوة ومن هم أعلى رتبة ومن هم أغزر علماً، ومن هم أشد جلداً على احتمال مسئوليات العمل وتبعاته.

لكن «عبدالحكيم عامر» من وجهة نظر «عبدالناصر» الخاصة كان يتميز على رفاقه جميعاً بميزة لم تكن متوافرة بالقدر نفسه، فى غيره من هؤلاء الرفاق، ألا وهى الوفاء المطلق لشخصه».

❑

كانت ظواهر الأمور تؤكد أن علاقة «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» أكبر من أى كلام وأقوى من أى محاولة لزعزعتها أو هزها!.. لكن فى بعض الأحيان كانت هذه العلاقة الوثيقة تتعرض لامتحان ما، لكن الصداقة والثقة بين الرجلين كانت تعبر هذه الأزمات أو المشاكل.

«صلاح نصر» أقرب الضباط الأحرار إلى «عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» يروى هذه الواقعة ذات الدلالة فيقول:

«كان «عبدالناصر» يعتمد اعتماداً كبيراً فى تأمين حكمه على القوات المسلحة، وبالطبع كان الضباط الأحرار فى السنين الأولى للثورة هم الدرع الذى يحمى الثورة من أعدائها، فلما قرر عبدالناصر التخلص منهم وتصفيتهم قام بإنشاء خلايا سرية موالية له داخل القوات المسلحة من بعض الضباط الموالين له، وكانت مهمتهم رقابة ما يجرى داخل القوات المسلحة من ناحية الأمن. وكان مكتب الشئون العامة فى القيادة العامة للقوات المسلحة مسئولاً عن تأمين القوات المسلحة، ولكن عبدالناصر لم يكتف بذلك فقام بتشكيل خلايا أخرى عن طريق سكرتيره «سامى شرف»، وكثيراً ما كان يتقابل عبدالناصر سراً مع ضباط هذه الخلايا لرفع روحهم المعنوية وكسب ولائهم له.

وقد أدى هذا إلى خلق نوع من الحساسية بين «عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» أخذت تزداد على مر الأيام حتى تحولت إلى مجابهة صريحة، ذلك أن «عبدالناصر» حاول أن يعد جيلاً من طلبة الكلية الحربية ينشئه على الولاء الشخصى له، كى يعتمد عليه بعد تخرج هؤلاء الطلبة، وقد أوكل هذه المهمة إلى الصاغ «إبراهيم الطحاوى» من الضباط الأحرار والذى كان يعمل فى منصب السكرتير العام المساعد لهيئة التحرير.

بدأ «الطحاوى» فى إنشاء تنظيم الكلية الحربية عام ١٩٥٥ واستطاع أن يجند عدداً صغيراً من طلبة الكلية الحربية، وكانت النواة الأولى تتكون من الطلبة: توفيق عويضة وعاطف عرفة وحسن رفعت وخالد علم الدين ونصر مصطفى مهدى ومحمد عبدالجواد عامر.

كان «الطحاوى» يجتمع بالطلبة فى نادى مصر بالزمالك مرة كل أسبوع خلال إجازة آخر الأسبوع، ويبث فيهم روح الولاء للزعيم، وكان يذكرهم بأنهم تنظيم عبدالناصر الخاص، وبخاصة بعد أن تقرر خروج الضباط الأحرار من القوات المسلحة. كان الغرض من هذا التنظيم أن يكون بمثابة الدرع الاحتياطى الذى يحمى عبدالناصر، ولذلك قيل لأفراده إن مهمتهم هى مقاومة أى انقلاب فى القوات المسلحة عن طريق الرقابة وكتابة تقارير عما يجرى داخلها، وقد وعد هؤلاء الأفراد بأنهم سيعينون فى المراكز الحساسة التى تسيطر على القوات المسلحة».

ومن أغرب وأعجب ما يرويه صلاح نصر بشأن هذا التنظيم هو قوله:

«وقد عهد بتوجيه هذه الجماعة أيديولوجياً إلى شخص يدعى «الشيخ البنا» كان يزعم أنه يتنبأ بالغيب وقد حصل على ثقة عبدالناصر حينما تنبأ له بموعد قيام حرب ١٩٥٦».

والعجيب أن عبدالناصر كان يثق فى هذا الرجل ثقة كبيرة، وقد ادعى أنه على وشك الانتهاء من ابتكار جهاز يتحكم فى توجيه الأشعة الكونية، التى يمكن استخدامها ضد إسرائيل لتخرب اقتصادها وتقضى على الحياة بها. وقال الشيخ البنا إن تحرير فلسطين سيتم على يد عبدالناصر الذى سيفوز جيشه، وقد حمل جهاز الأشعة الكونية الذى سيبتكره الشيخ المذكور فتحدث المعجزة وتفنى إسرائيل».

ثم يمضى «صلاح نصر» قائلاً:

«استمر تنظيم طلبة الكلية الحربية يعمل فى الخفاء، حتى تم اكتشافه عام ١٩٥٦، وعلم به «عبدالحكيم عامر» قائد القوات المسلحة، وتفجر الموقف بمجابهة بين «عبدالناصر»، و«عبدالحكيم عامر».

قال عبدالحكيم لعبدالناصر:

- إن تنظيم الطلبة كى يقوم بعمل سرى سوف يقضى على النظام داخل القوات المسلحة، ومن الخطورة تكليف شبان فى مثل هذه السن كى يقوموا بأعمال سياسية داخل القوات المسلحة.

وألقى عبدالناصر بالمسئولية على إبراهيم الطحاوى، وحل التنظيم وتخرج الطلبة من الكلية الحربية، وأصبحوا ضباطاً فى الجيش، وتشاء الظروف أن يجتمعوا بعد تخرجهم بسنين ليحاولوا إنشاء تنظيم خاص بهم داخل القوات المسلحة ولكنه اكتشف فى مهده».

وأخيراً يؤكد «صلاح نصر» قائلاً:

«عموماً كانت التنظيمات السرية داخل القوات المسلحة سلاحاً ذا حدين، فعلى الرغم من أنها أفادت فى كشف كثير من الأنشطة المعادية، داخل القوات المسلحة إلا أنها أدت إلى خلق الشللية داخل القوات المسلحة، وأثرت على كفاءة القوات المسلحة، لاعتماد القيادة السياسية على «الولاء» أكثر من الكفاءة!».

❑

وفى هدوء وبساطة تجاوز «عبدالناصر» و«عبدالحكيم» تلك الأزمة الطارئة، وكما يحدث عادة فقد كان لا يمضى يوم إلا وتتزاور الأسرتان، وتتجدد الأحاديث، والذكريات والأحلام أيضاً.. ووسط حوارات عبدالناصر وعبدالحكيم، تنفرد زوجة عبدالناصر، وزوجة المشير بدردشات النساء، بينما الأطفال يلهون ويلعبون ويكبرون معاً.. كان ما يبدو على السطح يدل على أن علاقة الرئيس والمشير لا تزال كما كانت «سمنا على عسل» ولم يكن ذلك صحيحاً!

كانت ملامح الصورة العامة التى يراها الناس عبر الجرائد والمجلات واحتفالات ثورة يوليو تدل على أن الرئيس والمشير قمة فى الوفاق والاتفاق، ولم يكن ذلك صحيحاً أيضاً.

كانت الدائرة الصغيرة المحيطة بالرئيس والمشير قد لاحظت بشكل أو بآخر أن العلاقة الكاثوليكية بين الرئيس والمشير قد شابها الكثير من سوء الفهم وربما سوء النوايا!!

لقد بدأ هذا التغيير الجذرى والتحول العميق فى العلاقة بين الرجلين أثناء حرب السويس ١٩٥٦، وكان لـ «لعبدالناصر» ملاحظات قاسية ومؤلمة على الأداء العسكرى للقوات المسلحة برئاسة المشير «عامر»!!.

يقول «صلاح نصر» فى مذكراته ـ الجزء الأول «الصعود» :

«.. وبعد أن بدا لـ «عبدالناصر» أن اشتراك فرنسا وانجلترا فى الحرب أمر مؤكد. برز التساؤل: هل نستمر فى الحرب مهما كانت التضحيات، أم نجنب البلاد ويلات الحرب بالاستسلام وبدء عمليات المقاومة الشعبية؟

كان من رأى عبدالناصر الاستمرار فى القتال. وقال: إننا لو لم نقاتل اليوم فلن نقاتل أبدا.. لا بد لنا من القتال حتى لو أجبرنا على الانسحاب إلى الوجه القبلى واللجوء إلى حرب العصابات.. أما «عبدالحكيم عامر» فقد ذكر «عبدالناصر» بتحذيره له من مواجهة دولتين كبيرتين وقال لـ «عبدالناصر» إن القوات المسلحة ليست فى وضع استعداد لمواجهة غزو كبير، وأن معنى ذلك انتحار القوات المسلحة وتخريب اقتصاد مصر.

واستطرد «عبدالحكيم» يقول: «إن ضرب مصر سوف يؤخرها ألف سنة على الأقل، وأن ضميره لن يسمح له أن يتحمل الشعب المصرى هذه المجزرة.. وقد قام «صلاح سالم» بتأييد «عبدالحكيم عامر» فى رأيه، وذهب «صلاح سالم» إلى «عبدالناصر» واقترح عليه أن تستسلم الحكومة القائمة، وتأتى حكومة جديدة تتفاوض مع الغزاة.. قال «صلاح سالم» لـ «عبدالناصر: إننا لم نقم بثورة كى نعرض البلاد للخراب.. إن وطنيتنا كمجلس ثورة تحتم علينا أن نترك الحكم، ونسلم أنفسنا للسفير البريطانى، وبذلك ننقذ مصر من الخراب.

وهنا انفجر «عبدالناصر» فى وجه صلاح سالم ونعته بالجبن وقال له إنه داعية استسلام. مما أثار حفيظة «صلاح سالم». كان «عبدالناصر» فى حالة أشبه بالهستيريا، ويبدو أنه تذكر نهاية هتلر وبعض أعوانه، فاقترح على أعضاء مجلس الثورة الانتحار.

كبديل للاستسلام.. وبالفعل كلف «عبدالناصر» «زكريا محيى الدين» كى يعد كمية من عبوات سيانيد البوتاسيوم تكفى أعضاء مجلس الثورة لاستخدامها لو لزم الأمر.

وأحس «عبدالناصر» بمدى الخطر الذى تتعرض له البلاد وبالتالى نظامه، لو قامت القوات الفرنسية والبريطانية بغزو بلاده، فهو ليس مهدداً من الخارج فحسب بل من الداخل أيضا.. وكان «عبدالناصر» يكن الكره لـ «صلاح سالم»، ويظن أنه هو الذى يحث «عبدالحكيم عامر» على فكرة تجنب ويلات الحرب.. وبدت فى الأفق بداية لتدهور العلاقات بين صديقى العمر «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» إذ بدأ «جمال» يشكو لكل من يقابله من «عبدالحكيم عامر» قائلا إن «عبدالحكيم» عزله عن القيادة العسكرية، وأنه لايضعه فى الصورة عما يجرى من أمور الحرب بالرغم من أنه المسئول الأول عن حماية البلاد وأمنها».

والواقع أن هذه الشكوى تجن كبير، فـ «عبدالناصر» كان موجوداً دائماً منذ بداية عدوان إسرائيل فى القيادة العامة، وهو الذى ابتعد بعد ذلك عن القيادة بعد أن تبين خطورة الموقف.

أحسست أن تصدعا فى العلاقة بين «جمال» و«عبدالحكيم» وشيك الحدوث..

فى ظهر يوم ٣ من نوفمبر اتصل «جمال عبدالناصر» هاتفيا بـ «عبدالحكيم عامر» فى مبنى القيادة بكوبرى القبة حيث كانت القيادة العامة قد تركت مركزها فى الزمالك وعادت إلى مبنى كوبرى القبة.. ولاحظت أن «عبدالحكيم عامر» يعض على نواجذه.. وبعد انتهاء المحادثة طلب «عبدالحكيم عامر» من «صلاح سالم» الذى كان موجوداً بالمكتب أن يسافر إلى السويس ويتولى مسئولية الدفاع عنها.

وخرجت مع «صلاح سالم» لأودعه وكان يبدو على وجهه سمة من حزن وحسرة.. وعلى درجات مبنى القيادة قال لى «صلاح سالم» وأنا أودعه:

«بقى «جمال عبدالناصر» بيقول علىّ جبان علشان كنت عاوز أنقذ مصر من ويلات الحرب.. أنا رايح السويس وها حارب.. ودى مش أول مرة أحارب فيها.. أنا كان غرضى أن أحمى مصر من الخراب»..

واستقل «صلاح سالم» سيارته وسافر إلى السويس ليشرف على العمليات العسكرية بها.

على أن ما أريد أن أبينه هو أن العلاقة بين «عبدالناصر» و«عامر» بدأت تتأثر منذ حرب السويس، فقد اتهم «عبدالناصر» «عبدالحكيم عامر» بأنه واقع تحت تأثير «صلاح سالم»، وبأن «عبدالحكيم» لا يضعه فى الصورة عما يجرى فى القوات المسلحة. وحدثت مشادة بين الرجلين، وطلب «عبدالحكيم عامر» من «جمال عبدالناصر» أن يتولى القيادة العسكرية بدلا منه، وأبدى عبدالحكيم استعداده للعمل تحت قيادته.

وقد ثار «عبدالحكيم عامر» على «جمال عبدالناصر» حينما قال الثانى للأول إنه واقع تحت تأثير «صلاح سالم» رد عليه «عبدالحكيم» بقوله:

«أنت عارف أن لى شخصيتى المستقلة، ولا يمكن أن يؤثر علىّ صلاح سالم أو غيره».

لقد شعرت منذ هذه الأيام أن علاقة «عبدالحكيم عامر» و«جمال عبدالناصر» قد شابتها الحساسية والتصدع، وربما كانت هذه الأيام بداية لتوتر العلاقات بينهما، التى ازدادت على مر الأيام حتى تمت مأساة عام ١٩٦٧.

كنت قد توجهت يوم ٤ من نوفمبر إلى الإسماعيلية بناء على تعليمات «عبدالحكيم عامر» لأقف على الموقف العسكرى هناك.. وعلى طريق الإسماعيلية رأيت فلول جيش ودمارا جعلا الحسرة تكاد تفتك بى، دبابات مدمرة ومدافع محروقة وسيارات عسكرية مقلوبة أو خاوية على هيكلها.. كل هذه تشير إلى ما فعله العدو بقواتنا المسلحة.

وصلت الإسماعيلية وتوجهت إلى مبنى القيادة العامة بها، فوجدته غاصاً بالضباط، كانت البلبلة تبدو على وجوه كثير من الضباط، ولم تكن هيئة القيادة العسكرية توحى بأنها على مستوى مواجهة عملية غزو كبير.

ورأيت «عبدالناصر» و«كمال الدين حسين».. كان «عبدالناصر» يبدو كأسد جريح أدمته الخناجر.. وكان يبدو على وجهه قلق واضح مما تخبئه الأيام.

طلب منى «عبدالناصر» أن أعود إلى القاهرة، وأن أبقى بجوار «عبدالحكيم»، وطلبت منه العودة إلى القاهرة، حتى يستطيع أن يدير دفة الدولة ولكنه رفض، ولكننى ما أن عدت للقاهرة حتى عاد «عبدالناصر» إليها، وعلمت من «عبدالحكيم» أنه هو الذى ألح عليه بالعودة إلى القاهرة.

وشعرت أن «عبدالحكيم» قد ساءه أن يسافر «جمال» إلى القناة دون أن يخبره.. ومع أن هذه المسائل صغيرة فإنها زادت من الحساسية بين «جمال» و«عبدالحكيم».

❑

ولعل ما يدعو للدهشة والتعجب أن «عبدالحكيم عامر» عرض استقالته من منصبه - كما يقول «محمد حافظ إسماعيل» فور تحقيق انسحاب القوات البريطانية والفرنسية إلا أن الرئيس «عبدالناصر» استطاع أن يتجاوز أزمة الثقة وأن يسوى الخلاف بينهما!!

والأكثر من هذا وحسب ما يقول «عبداللطيف البغدادى»:

«الحقيقة أن مستوى قادة القوات المسلحة جميعاً لم يكن فوق مستوى النقد، بل إنه تقرر فى هذه الفترة إخراج «صدقى محمود» قائد القوات الجوية، ولكن «عبدالحكيم عامر» قاوم ذلك بحجة اعتماده عليه، وأنه إذا كان قد أخطأ فهو كذلك قد أخطأ معه».

ويعترف «الفريق عبدالمحسن مرتجى» قائد القوات البرية السابق:

«كان «جمال عبدالناصر» مهتما بالقوات المسلحة متابعا لحركتها وتطورها بصفته مدرسا سابقاً فى كلية أركان الحرب، وهو صاحب فكرة الانسحاب الناجحة لقواتنا من سيناء عام ١٩٥٦، ورغم ظهور بعض الاختلاف فى تنفيذ الخطة إلا أنه ظل محتفظاً بالمشير «عامر» وكل قادة الأسلحة. واستمر اهتمام «عبدالناصر» الشخصى وتدخله فى توجيه الأمور حتى عام ١٩٦٢ بعد الانفصال مع سوريا حيث حدثت جفوة بينه وبين المشير ابتعد بعدها نسبياً عن اهتماماته السابقة بالقوات المسلحة، وكان المشير «عامر» مثلا هو المسئول عن توجيه الشئون العسكرية فى اليمن».

❑

ويذكر «كمال رفعت» عضو مجلس الرئاسة:

أراد «جمال عبدالناصر» إخراج الفريق «صدقى محمود» قائد القوات الجوية بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات، ولكن «عبدالحكيم عامر» تشبث به وقاوم فكرة إخراجه.

والواقع أن النصر الذى حققته مصر عام ١٩٥٦ كان سياسياً وشعبياً أكثر منه عسكرياً، فإن القوات المسلحة لم تؤد واجبها كما تقضى الأصول والتقاليد العسكرية.

الأمر الذى أدى إلى طرد الضباط الأربعة المسئولين عن قيادات الجيش المختلفة فى بورسعيد.

وقد استمرت الخلافات بين «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» خلال فترة الوحدة مع سوريا نتيجة لأسلوب «عبدالحميد السراج» بالرغم من أنه كان يسىء لعملية الوحدة بما كان يقوم به من تعذيب وقتل باسم «جمال عبدالناصر».

وقد وصلت هذه الخلافات ذروتها بعد الانفصال وعقب تشكيل مجلس الرئاسة، وتشكل برئاسة «جمال عبدالناصر» وعضوية «عبداللطيف بغدادى» و«كمال حسين» و«زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى» و«حسن إبراهيم» و«على صبرى» و«الشرباصى» و«نور الدين طراف»، وأنا. وكان الهدف من تشكيل المجلس هو الحد من الانفراد بالسلطة وتشكيل قيادة جماعية.

وفوجئت يوماً بأن هناك اجتماعاً لمجلس الرئاسة عرض عليه مشروع قرار بأن يكون تعيين قيادات الجيش حتى مستوى الكتائب وضباط الشرطة لمستوى مأمورى الأقسام من سلطة مجلس الرئاسة.

لم يحضر «جمال عبدالناصر» هذا الاجتماع وتولى البغدادى الرئاسة باعتباره النائب الأول لرئيس الجمهورية، وعند المناقشة أعلن عامر رفضة للقرار لأن الجيش قائم على سلطة القيادات العليا، فإذا مر ضابط من رتبة لواء على كتيبة ووجد قائدها مخطئاً فإنه يكون قادراً على تنحيته، أما إذا أقر هذا المشروع فإن ولاء ضباط الجيش، وانضباطهم يتحول إلى مجلس الرئاسة وليس إلى قائد الجيش.

وقد أيد المشروع كل من «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى» و«على صبرى»، وعندما طالب البغدادى الاقتراع على المشروع وافق عليه ستة وعارضه خمسة هم «عبدالحكيم عامر» و«كمال حسين» و«حسن إبراهيم» و«الشرباصى» وأنا.

وطلب عندئذ «كمال حسين» التأجيل حتى يحضر «جمال عبدالناصر» ورفض البغدادى التأجيل، وحدثت مشادة بين «أنور السادات» و«كمال حسين»، وجمع «عبدالحكيم عامر» أوراقه وخرج.. وأنهى «البغدادى» الجلسة، وبعدها ذهبت إلى «جمال عبدالناصر»، وشرحت له فكرتى فى معارضة القرار وخطأ اتخاذه وقواتنا فى

اليمن.. وظل اجتماعى به ثلاث ساعات كان يدافع فيها عن فكرة القيادة الجماعية، ولو أنه خشى من وصول أخبار هذا الموضوع لليمن.

ثم ذهبت إلى «عبدالحكيم عامر» فوجدته متأثرا جدا لعرض جمال عبدالناصر مشروع القرار دون إبلاغه، وكان قد كتب استقالته.

وعدت إلى «عبدالناصر» فى محاولة للتقريب بينه وبين «عبدالحكيم عامر».. ولكنى لم أبلغه بما قاله «عامر» من كلمات كان يمكن أن تؤدى إلى زيادة الفرقة والخلاف.. وقد أسهم «حسن إبراهيم» أيضاً فى محاولة رأب الصدع غير أنه كان ينقل إلى كل طرف حديث الآخر».

وقد تغير رأى «جمال عبدالناصر» وبدأ يقترب من عامر «عندما سمع من زملائه أعضاء المجلس الباقين أنهم يقترحون سفره إلى يوغسلافيا».

كانت الصحافة الأجنبية هى أول من أطلقت على «عبدالحكيم عامر» لقب «الرجل الأول مكرر.. فى مصر»، على اعتبار أن «جمال عبدالناصر» هو الرجل الأول!.. ولم يكن «عبدالحكيم عامر» غائباً أو محتجباً عن قرارات وأفكار «جمال عبدالناصر»!!.

فى أكتوبر ١٩٥٧ كان المهندس «سيد مرعى» يشغل منصب وزير دولة للإصلاح الزراعى، وفى أحد اجتماعات مجلس الأمة، فوجئ سيد مرعى بالسيد «على صبرى» وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية يناوله ورقة صغيرة موجهة له تقول سطورها: «إن الرئيس «جمال عبدالناصر» يريد أن تتولى وزارة الزراعة إلى جانب عملك كوزير دولة للإصلاح الزراعى».

وبعد الاجتماع جلس سيد مرعى مع «على صبرى» وأوضح له دوافع اعتذاره عن قبول المنصب، وفى نفس الوقت يبلغ الرئيس «عبدالناصر» اعتزازه بهذه الثقة من جانبه.

وباقى ما جرى يرويه المهندس «سيد مرعى» فى مذكراته كالتالى:

«فى اليوم التالى دعانى الرئيس «عبدالناصر» للغداء معه، وكان «على صبرى» قد أبلغه برفضى لوزارة الزراعة، وذهبت إلى بيته فى منشية البكرى ووجدت هناك المشير «عبدالحكيم عامر»، ودارت أحاديث عادية على الغداء ولم يفتح الرئيس الموضوع ولم يشر إليه، وبعد أن انتهينا من تناول الغداء جلسنا فى الصالون نحن الثلاثة وحدنا، والتفت إلى المشير عامر وقال لى فجأة:

ـ هل يجرؤ إنسان فى مصر أن يعترض على قرار يصدره «جمال عبدالناصر»؟

وفهمت على الفور مقصده وقلت له:

ـ لا طبعاً.. هى المسألة مش رفض لأمر أو اعتراض على قرار.. إنما هى مسألة هل الإنسان يستطيع القيام بالعمل المطلوب منه أو لا يستطيع؟

قال لى «عبدالحكيم عامر»:

ما توضح كلامك.. إيه المسألة بالضبط؟

فقلت له: فى الحقيقة هناك اعتباران جعلانى أعتذر عن وزارة الزراعة.. الأول انشغالى بالإصلاح الزراعى، والثانى وهو الأهم وجود مديرية التحرير.

وتدخل الرئيس «عبدالناصر» فى الحديث وقال لى:

ـ طيب بنشيل مديرية التحرير من وزارة الزراعة.. إذا كانت دى هى المشكلة».

ويختتم «سيد مرعى» الواقعة السابقة بقوله:

«ولم تعد لى حجة أخرى فقلت له: وأنا بأقبل وزارة الزراعة على هذا الأساس.

فى تلك الأيام لم يكن خافياً على أحد ذلك الصراع والمنافسة بين وزارتى الإعلام والثقافة!!.. كانت وزارة الإعلام تحت قيادة ومسئولية «الدكتور عبدالقادر حاتم»، وكانت وزارة الثقافة تحت قيادة ومسئولية «الدكتور ثروت عكاشة».

كان الصراع بين الوزارتين والوزيرين واضحاً لكل المسئولين والعاملين فى أجهزة الثقافة والإعلام!.. وحسبما يقول «الدكتور ثروت عكاشة» وزير الثقافة: «إن وزارة الإعلام جاوزت اختصاصاتها فى رأيى وأنشأت فرقاً مسرحية ليس للتسجيل فى استديوهات التليفزيون بل لتواجه الجماهير بها، الأمر الذى هو من صميم مسئوليات أجهزة وزارة الثقافة وحدها، وفى نفس الوقت أعرضت عن كافة العروض الفنية التى تقدمها وزارة الثقافة.. إلخ».

وبعد أن يعدد «الدكتور ثروت عكاشة» عشرات الأمثلة ينتهى إلى القول «خلق هذا الموقف إزدواجاً بين وزارتين فى حكومة واحدة لكل منهما إختصاصاتها المبينة الواضحة»!!.

واللافت للإنتباه ـ وحسبما يقول «الدكتور ثروت عكاشة» ـ أنه حينما أفضى إلى

الرئيس «جمال عبدالناصر» بكل هذه الأشياء فى اجتماع بينهما دام حوالى أربع ساعات أنه فوجىء بإجابة الرئيس له وقوله: أنه يؤمن بهذا التنافس بين وزارتين من وزارات الدولة فى الأعمال الفنية والأدبية وأنه لا يرى أن يكون العمل الثقافى ـ على حد تعبيره ـ حكراً على وزاراة الثقافة وحدها».

ولم يجد «الدكتور ثروت عكاشة» مفراً من أن يقول للرئيس «جمال عبدالناصر» بصراحة شديدة:

«إما أن أحمل عبء الثقافة كاملاً غير منقوص شأن كل وزير فى وزارته لا تشاركنى فى هذا العبء وزارة أخرى، وإما أن أخلى منصبى لغيرى ممن يؤمنون برأيكم».

وطلب الرئيس من «الدكتور عكاشة» أن يرجئ البت فى هذا الأمر إلى حين آخر!!.

وعلى ما يبدو فلم يكن المشير «عبدالحكيم عامر» غائباً عما يجرى فى الدهاليز، فبعد عدة أيام من لقاء «الدكتور عكاشة» مع الرئيس طلب «المشير عامر» من «الدكتور عكاشة» أن يزوره وقد كان.. وحسبما يرويه «الدكتور عكاشة» فى مذكراته:

«حين زرته ـ أى المشير ـ وجدت عنده وزير الإعلام، وإذا «عبدالحكيم» يثير الموضوع من جديد، فقلت له ما قلت «لجمال عبدالناصر» من قبل، ورأيت أنه لا يملك البت فى شىء وأن المسألة فيما بدا لى لا تعدو شيئاً من الوساطة لكى يوفق بين الرأيين، فأنزل له عن شىء من رأيى مختاراً، ولكنه أحس منى إصراراً وانتهى الأمر عند هذا الحد».

ومضت شهور والحال على ما هى عليه من تنافس وصراع بين الوزارتين، إلى أن تقابل «الدكتور عكاشة» ثانية مع الرئيس «جمال عبدالناصر» فى الإسكندرية ـ كان ذلك فى أغسطس ١٩٦٢ ـ وعاد «الدكتور عكاشة» ليتناقش مع الرئيس ثانية فى نفس الموضوع لكنه وجد من الرئيس «إصراراً لا رجعة فيه» فطلب إعفاءه من منصبه، وفوجئ «الدكتور ثروت عكاشة» بالرئيس وهو يطلب منه ثانية إرجاء هذا القرار لما بعد عودته من لندن.

وكان «الدكتور عكاشة» قد قرر السفر إلى لندن لاستشارة بعض الأطباء، وبالفعل سافر إلى لندن، وبينما هو هناك فوجئ بنبأ القبض على اثنين من أعضاء مكتبه فى القاهرة أحدهما المدير الفنى والآخر سكرتيره الخاص، وعلى الفور قرر قطع رحلة

علاجه، وعاد إلى القاهرة التى وصلها فى منتصف الليل، ولم يكن الوقت يسمح بلقاء أحد من كبار المسئولين.

ويروى «الدكتور عكاشة» ما جرى بعد ذلك فيقول:

«ما أن طالعنى الصبح حتى ذهبت إلى بيت «عبدالحكيم عامر»، وكان ذلك فى الساعة السابعة وبادرته ثائراً محتجاً على ما حدث، وأضفت أنى ما كنت أقدر أن هذه الحركة التى جمعتنا مبادئها النبيلة تفضى بنا إلى هذه الغاية الرذيلة، ولهذا أجدنى فى حل من أن ألزم بيتى منذ هذه اللحظة لأنى أعد هذا الذى مس من يعملون معى ويحظون بثقتى هو فى الحقيقة مما يمسنى أنا كما أعده طعنة فى ظهرى».

يضيف «الدكتور عكاشة» قائلا: «حاول «عبدالحكيم عامر» أن يهدئ خاطرى، وكانت حجته التى برروا بها هذه الفعلة الشنعاء هو ما بلغهم من أن المدير الفنى لمكتبى المستشار «أحمد لطفى» وسكرتيرى الخاص كانا يمدان شقيقى «الدكتور أحمد عكاشة» بنكات تمس «جمال عبدالناصر» وأسلوب حكمه، وأن «الدكتور أحمد عكاشة» فى زعمهم يقوم بنقلها إلى الأستاذ «أحمد أبو الفتح» المقيم فى جنيف لتكون له منها مادة للتشهير بالنظام فى كتاب يُعد لهذا الغرض».

وكان مما قاله «الدكتور عكاشة» للمشير «عامر» يومها أن أخاه كان فى لندن يدرس، ولم تطأ قدمه أرض مصر إلا أسابيع فى يناير ١٩٦٢ قبل القبض عليهما بحوالى ثمانية شهور، بل إن مدير مكتبه الفنى كان وقتها منتدباً من وزارة الثقافة إلى يوغسلافيا - أى أنه لم يشاهد إطلاقا «الدكتور أحمد عكاشة».

ويقول «الدكتور عكاشة»: «كشفت الغطاء لـ «عبدالحكيم عامر» عن هذه الحقيقة التى غابت عنه كما غابت عن تلك الأجهزة، وهو ما يدل على العبث والاستهتار بأقدار الناس ومنزلتهم وكرامتهم.

ولقد حاول «عبدالحكيم عامر» أن يسترضينى، ولم يعد مكان فى نفسى لاسترضاء بعد ما نالنى من تلك الإساءات المتعمدة، وما من شك فى أن هذا كله الذى دار بينى وبين «عبدالحكيم» وعزمى وإصرارى على ترك منصبى والاعتزال فى بيتى قد بلغ «جمال عبدالناصر» فى حينه، والعجيب أنه لم يحرك ساكناً ولبث أياماً خمسة قبل أن يصدر أمره بالإفراج عمن اعتقل من رجالى الأبرياء».

«ثم كان أن عرض علىَّ «المشير عامر» أن أختار بين أن أكون سفيراً فى كندا أو سفيراً فى اليابان، فعجبت لهذا العرض بعد ما كان منهم إلىَّ واعتذرت عن قبول أى واحدة منهما وقلت: أنى لى أن أسلم منكم هناك، ولم أسلم منكم هنا!».

ولم يكن اعتذار «الدكتور عكاشة» للمشير عن قبول منصب السفير فى كندا أو اليابان هو ختام القصة، ففى يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ طلب الرئيس «جمال عبدالناصر» من «الدكتور عكاشة» أن يذهب إليه، وكان أول ما قاله «عبدالناصر» له هو:

- إنى لم أطلق سراح عضوى مكتبك إلا إكراماً لك!

فأجابه «الدكتور عكاشة»: لولا أنهما بريئان مما نسب إليهما براءة الذئب من دم ابن يعقوب ما فعلت!

ويقول «الدكتور عكاشة» إن «جمال عبدالناصر» لم يجد ما يعقب به على قولى.

وبعد ذلك دخل «الدكتور عكاشة» فى قلب الموضوع وقال له:

- لعلك قد انتهى إليك ما قلته لـ «المشير عامر» لينقله إليك من أننى تقدمت باستقالتى وأننى فى انتظار إقرارك لها؟!

فأجابنى قائلا: ما دامت هذه رغبتك فأنا مستجيب لها، ولقد فهمت أن استقالتك كانت لغضبة منك للقبض على عضوى مكتبك!! إنى قبل أن أوافق على القبض عليهما؛ جاءنى «المشير عامر» يسألنى أن أرجئ القبض عليهما فى غيبتك وأنت فى الخارج حتى لا يثيرك هذا فترفض المجئ إلى مصر علنا (!!) ولكننى لم آخذ برأيه وأمضيت أمر القبض عليهما لثقتى فيك».

ويقول «الدكتور ثروت عكاشة» معلقاً على ما سمعه من الرئيس:

«لم أجد فى قوله ما يقنعنى أو يخفف من إحساسى بالمرارة».

ومضى الرئيس «جمال عبدالناصر» حسب قول «الدكتور ثروت عكاشة» يسأله عن السبب الذى من أجله سيترك منصبه كوزير؟

كانت هناك أربعة أسباب من وجهة نظر «الدكتور عكاشة» رواها لـ «عبدالناصر»، كان الأول منها يتعلق بحالته الصحية، والسبب الثانى الخلاف حول وزارة الثقافة وتضارب الاختصاصات مع وزارة الإعلام، وثالث الأسباب هو اعتقال أعضاء مكتبه مما يعد إهانة له أمام الرأى العام واستخفافاً به.

أما السبب الرابع وهو ما أود لفت الانتباه لـه فقد رواه «الدكتور عكاشة» وبكلماته نفسها قائلاً:

«إن ثمة تغييراً وزاريا مرتقباً أنهاه إليَّ «المشير عامر» الذى نصحنى أيضاً بأنه من الخير ألا أشارك فى الوزارة الجديدة، لأن الأمور قد تكون أشد إرهاقاً وإثارة وهو يعلم عنى أنى لا أستطيع العمل فى الأجواء القلقة المضطربة، ثم إنه يحس أنى قد لا أسيغ أن أكون مرؤوساً لرئيس الوزارة المقبل».

كان رئيس الوزراء المقبل هو السيد «على صبرى».

❑

ليس سراً مدى الحب والاحترام الذى كان «جمال عبدالناصر» يكنه للسيدة الفاضلة تحية.. زوجته، وكان يقول لأبنائه فى كل وقت: «ياما تعبت معايا، ما تستهونوش بها»، وكان أحد أحلام «عبدالناصر» منذ وقت مبكر اختيار امرأة لتشغل منصب وزيرة!

يقول الأستاذ الكبير «مصطفى أمين»:

فى عام ١٩٦٠ قلت لـ «الرئيس جمال عبدالناصر» إننى أرى أن مجلس الأمة يحترم العضوتين وأن الوقت ملائم لكى نعين وزيرة وبهذا تكون مصر هى أول دولة عربية تعين وزيرة، ودارت بيننا مناقشة اقتنع فى نهايتها بفكرتى.

وفجأة دخل «المشير عبدالحكيم عامر» فقال لى الرئيس:

قل له على فكرتك عن المرأة!

فقلت له إننى أرى أن نعين وزيرة!!

فهب «عبدالحكيم عامر» واقفاً وخلع حزام بذلته العسكرية وحلف بالطلاق قائلا: «علىّ الطلاق بالثلاثة لو ست دخلت مجلس الوزراء لأخرج أنا منه!!».

ويقول «مصطفى أمين»: وماتت الفكرة، وبعد عام أو اثنين كلمنى الريس تليفونياً وقال لى إن «عبدالحكيم عامر» سوف يعين نائباً للقائد الأعلى وسيتولى وزارة الحربية شخص آخر وما دام قد خرج من الوزارة فهى فرصة لتعيين وزيرة، وقال لى «عبدالناصر»: عندكم فى أخبار اليوم أحسن أرشيف فاختر لى أحسن ١٠ نساء فى مصر وأرسل لى صورهن وتاريخ حياتهن.

وفعلاً نزلت الأرشيف واخترت عشراً من بينهن «أمينة السعيد» و«كريمة السعيد» و«فاطمة عنان» المفتشة فى وزارة المعارف وعائشة راتب وكانت وقتها أستاذة فى الجامعة، واقترحت أن تعين «أم كلثوم» وزيرة للثقافة والفنون الجميلة، واخترت أيضاً عزيزة أحمد حسين، وكانت آخر سيدة فى القائمة «حكمت أبو زيد» وأرسلت للرئيس الصور ولم يرد علىّ وبعد فترة تألفت الوزارة، وفوجئت بأن «حكمت أبو زيد» عينت وزيرة رغم أنها رقم ١٠ بين السيدات اللاتى أرسلت أسماءهن للرئيس، فاتصلت به وسألته:

لماذا اخترت «حكمت أبو زيد»؟

فقال: «لأنها أوحش واحدة»!!

❑

ولم يكن المشير «عبدالحكيم عامر» غائباً عما يجرى هناك فى أسوان حيث كان العمل قد بدأ فى مشروع «السد العالى».

بل كان يتدخل أحيانا لتذليل العقبات التى تظهر لسبب أو لآخر، بل وصل الأمر به أنه اقترح على المهندس «عثمان أحمد عثمان» أن يصبح وزيراً للسد العالى!!.

حتى ذلك الوقت ـ شتاء ١٩٦١ ـ لم تكن شركة «عثمان أحمد عثمان» (المقاولون العرب) قد خضعت للتأميم، وكان «عثمان أحمد عثمان» قد تقدم بعطاء تنفيذ السد العالى، وبدأ عثمان العمل، وبدأت بعض الدسائس الصغيرة تحاك ضده، بل وصلت هذه الدسائس إلى الرئيس «جمال عبدالناصر» نفسه، وبدوره قام بتكليف «المشير عامر» بأن يجمع التحريات الحقيقية عن سير العمل فى السد العالى.

وكتب «عثمان أحمد عثمان» فى مذكراته يقول:

«أرسل «المشير عامر» العديد من رجال المخابرات لاستيضاح الموقف سراً دون علم منى، وأذكر أن تقاريرهم كانت أمينة جداً ولم تعبر إلا عن الحقيقة وحدها، واستدعانى المشير «عبدالحكيم عامر» بعد ذلك، ليسألنى عن انتظام العمل والمتاعب التى تعترض التنفيذ»

وانتهز «عثمان أحمد عثمان» الفرصة ليشكو للمشير متاعبه مع «شركة مصر للأسمنت» التى فرضت عليه كشركة ـ طبقا لأقواله ـ دون أن يكون لها أدنى دور فى

العمل، و«انتهت مقابلتى مع المشير «عامر» الذى طلب من المهندس «على السيد» أن يذهب ليتحقق من الموقف، وكان يشغل منصب مدير الأشغال العسكرية فى ذلك الوقت، وتولى منصب وزير الإسكان فيما بعد، وتأكد المشير من سلامة موقفى وأصدر تعليماته بأن ترفع شركة مصر للأسمنت المسلح يدها تماماً من العمل فى المشروع.

وكانت المشكلة الثانية التى تواجه «عثمان أحمد عثمان» ولم يحسمها غير تدخل المشير «عامر» شخصياً تتعلق باقتراح من الخبراء الروس وافق عليه «موسى عرفة» وزير السد العالى بتأجيل موعد تنفيذ المرحلة الأولى من السد العالى لمدة عامين!.

ذهب «عثمان أحمد عثمان» لمقابلة الرئيس «جمال عبدالناصر» كان مشغولا باستقبال الرئيس اليوغسلافى «تيتو» وأشار عليه السيد «محمد أحمد» السكرتير الخاص له بأن يذهب للمشير «عامر»، وما جرى بعد ذلك يرويه «عثمان أحمد عثمان» على النحو التالى:

«وذهبت إلى مكتب المشير «عبدالحكيم عامر» وطلب منى أن أتوجه أولاً لمقابلة «صلاح نصر» مدير المخابرات العامة، لكى أضع أمامه صورة كاملة عن الموقف، واتجهت إلى «صلاح نصر» فى مكتبه، وطلبت مقابلته، وكانت أول مرة أطلب فيها مقابلة «صلاح نصر»، وأسجل بصدق أننى لمست فيه لأول وهلة الصدق والرجولة، ورويت له القصة من أولها إلى آخرها، وكان أن اتسع صدر الرجل، وسمع كل كلمة باهتمام شديد عندما رددت على مسامعه ما قلته لـ «محمد أحمد»: أريد أن أعرف منكم عما إذا كان المقصود من السد العالى الطنطنة أم تحقيق إنجاز جماهيرى حقيقى لصالح الشعب.

وكان تعليق صلاح نصر لعثمان أحمد عثمان:

- إن لم نكن نريد الانتهاء من السد العالى فماذا نريد؟!

وطلب «صلاح نصر» منه أن يتركه لبعض الوقت حتى يتمكن من أن يبحث عن حل لذلك الموضوع، وبعد أسبوع بالضبط قام «عبدالحكيم عامر» باستدعاء «عثمان أحمد عثمان» وكانت المرة الثانية التى يتقابل فيها «عثمان» مع المشير.

وعما جرى فى تلك المقابلة قال «عثمان أحمد عثمان»:

«رويت له قصتى مع السد العالى، والروس من الألف إلى الياء، وأكدت له عدم

وجود أي مبرر لتأجيل موعد الانتهاء من السد العالى فى عامين، وطلبت منه نصف مليون جنيه عملة أجنبية لكى أشترى بها بعض المعدات اللازمة للعمل فى المشروع، لضمان التنفيذ فى الموعد المحدد دون تأجيل وقلت له:

ـ ألا تريد الدولة أن توفر مائتين واثنى عشر مليون جنيه مقابل دفع مليون جنيه؟!

وضحك المشير وداعبنى قائلا:

وإذا لم تنته فى الموعد المحدد.. ما العمل فيك؟!

قلت: لن تجدوا أنفسكم أمام ذلك السؤال فى يوم من الأيام!!

ونظر إلىَّ الرجل نظرة ذات معنى، وكأنه أراد أن يقول لى شيئاً ولكن قبل أن يقول بادرت قائلا:

ـ إذا كان هناك «سد عالى» آخر مطلوب الانتهاء منه فى نفس الموعد فأنا ملتزم ومستعد!.

وجدت أسارير المشير تنفرج وبدت عليه سعادة غير عادية، وكانت سعادة المشير سبباً فى أن يعرض علىَّ أن أتولى منصب وزير السد العالى.. وعرفت من المشير ـ يقول عثمان ـ أن ذلك العرض لم يكن وليد المقابلة السريعة ولكن كان أن بعث إلى موقع العمل بعد مقابلتى لـ «صلاح نصر» برجال المخابرات من مختلف الأجهزة وكتبوا تقاريرهم، وكانت مطابقة للحقيقة تماماً، وكان أن احترمت «صلاح نصر» من ذلك الوقت وعرفت أنه رجل له مواقف.

وأذكر أننى قلت للمشير رداً على عرضه وقتها إن الوزارة ليست هدفى، ولا أسعى إليها وكلفونى على قدر ما تستطيعون بتنفيذ مشروعات، وستجدوننى على مستوى ما يطلب منى دائماً.. أنا أنفعكم كمقاول، ولا أنفع مصر إلا كذلك يا سيادة المشير!.

وقبل أن أغادر مكتبه، كان قد أصدر تعليماته إلى «الدكتور عبدالمنعم القيسونى» وزير الاقتصاد فى ذلك الوقت لكى يقوم بصرف نصف مليون جنيه عملة صعبة لشراء ما يلزم من معدات.

وانتهينا من العمل فى المرحلة الأولى قبل الموعد الذى كان محدداً لها فى أول مارس ١٩٦٤

كان «نفوذ» المشير «عبدالحكيم عامر» قد أصبح محسوساً وملموساً لكل الناس فى مصر!!.. وعلى ضوء هذا النفوذ الكبير كان المشير يمارس على «عبدالناصر» بعض الاختبارات من وقت لآخر، ولعل أقسى ما واجهه «جمال عبدالناصر» من صديق عمره عندما فوجئ بالمشير يكتب له استقالته من كافة مناصبه ويختفى فى مرسى مطروح!.

استطاع «عبدالناصر» احتواء الأزمة، وعاد المشير ليزداد قوة ونفوذاً، حتى أنه قال بعد هزيمة ١٩٦٧ «إن الطفل المدلل قد أصبحت له أنياب وأظافر ولم يعد عبدالحكيم القديم»!.. لقد كان «جمال عبدالناصر» ضعيفا أمام رغبات المشير وأحلامه وكان متسامحاً معه بعكس علاقته مع الآخرين، فقد كانت تشوبها القسوة التى تصل أحيانا إلى حد الإقالة أو الاعتقال!!

وليس سراً خلاف «جمال عبدالناصر» مع «كمال الدين حسين» الذى شغل منصب نائب رئيس الجمهورية، بل وصل الأمر بـ «كمال الدين حسين» وفى وجود «عبدالحكيم عامر» و«عبداللطيف البغدادى» و«زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى» أن يعلن اختلافه مع رؤية «عبدالناصر» للميثاق وحرب اليمن ويصر على الاستقالة فى مارس ١٩٦٤، وبعد حوالى عام ونصف وأثناء اعتقالات الإخوان المسلمين ومحاكماتهم أرسل «كمال الدين حسين» ببرقية حادة وقاسية يقول له فيها: «لا خير فىّ إذا لم أقلها لك: اتق الله!!».

كانت البرقية بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٦٥ وبعد ثلاثة أيام بالضبط صدر الأمر باعتقال «كمال الدين حسين» وتحديد إقامته فى فيللا بالهرم.

كان «كمال الدين حسين» عارفاً بقدر نفسه وكان أيضاً يعرف متانة العلاقة بين الرئيس والمشير، ولذلك وحسب كلماته.. وفى يوم ٢٥/ ١٠/ ١٩٦٥ أرسلت خطابا إلى «عبدالحكيم عامر» هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ياعبدالحكيم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كلمة صريحة (وأخيرة لن تنزعج بعدها).. ياعبدالحكيم.. لم أجد بدا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وإن كنت قد ترددت كثيراً فى الكتابة لك فإنى حين نويت لم أتردد فى أن أكون صريحاً.

اليوم أصبحت ياعبدالحكيم أعتقد أنه لا حياة لى فى بلدى الذى أصبحت أرى فيه جزاء لكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما أهلى فيه.. عندما قلت لكم اتقوا الله قصدت أن تتقوا الله فى هذا الشعب الذى قمنا لخلاصه واسترداد حريته.

قلت لكم اتقوا الله بعد أن ألجمتم جميع الأفواه إلا أفواه المنافقين والمتزلفين والطبالين والزمارين.. قلت لكم اتقوا الله فى الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية نطمئن حين نمضى من هذه الدنيا أننا قد أدينا أمانتنا فنترك بعدنا هذه البراعم، وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود.

قلت لكم اتقوا الله لأنكم أردتم استنعاج هذا الشعب وأنا لم أكن أرضى ذلك، ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة فى هذا الجو الخانق وأرجو أن يتيسر معرفة درجة الاختناق فى هذا الجو، وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم، فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من إخوة كانت بيننا يوما من الأيام فإنى لا أطلب سوى أن أخرج أنا ومن يريد من أسرتى التى نالها أيضاً نصيب وافر من إجراءاتكم إلى السعودية لأبقى إلى جوار رسول الله حيث أقضى ما بقى من حياتى مستخلصا روحى لنفسى ودينى لله، فاليوم يمكننى أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد ما كان جزائى - أنا الند - على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه.

وأنت تعلم ياعبدالحكيم أنكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحى وإن اعتقلتم جسمى.. وأنت تعلم ياعبدالحكيم أنكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى إلا حق الدكتاتورية والطغيان.. وإذا جاز أن يكون لها حق..

وأنت تعلم ياعبدالحكيم أنكم لم تتقيدوا بشرع تجاهى فالناس يعلمون.. ومن زمن.. أنكم غير مقيدين بشرع تجاههم.. وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فإنهم سيعرفون معناه جيدا الآن.

أنا آسف أن تتحول ثورة الحرية إلى ثورة إرهاب لا يعلم فيها كل إنسان مصيره لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه. فإذا قيل لى أو للناس أن هناك مفهوماً آخر للحرية فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذى يضل به الشيطان أولياءه لينسوا قانون الله وشرع الله وشرع الإسلام الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العبد إلى عبادة رب العباد، حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء أمام الله.. أمام الشرع أمام الحكم الإلهى الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران.

ياعبدالحكيم.. مهما كانت التفاسير والشعارات فالحرية هى الحرية التى عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وحين قيل له (اتق الله) قال (لا خير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها).

وأنت تعلم ياعبدالحكيم أننى لن أستعطف أحداً وأنا لا أخاف إلا الله وأنا حين أكتب إليك الآن فإنى لا أطلب شيئاً غير الرحيل عن هذه الأرض التى يئست أن تقال فيها كلمة حق فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل.. وإن أبيتم علىّ ذلك فإن وليى هو الله عليه أتكل وأنيب وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ياعبدالحكيم إن إجراءاتكم هذه التى أصابتنى إن كنت قد تحملتها فى صبر فإن الصدع الذى أصاب مشاعرى تجاه من أمر بها صدع يصعب رتقه، وبقائى هنا مشقة لى ولكن وأنت تعلم ياعبدالحكيم حينما جئتنى فى مارس ١٩٦٥ وقلت لك إننى مستعد للاعتقال أو القتل! أو أى شيء آخر قلت من نفسك «اعتقال إيه ياشيخ.. والله أنا اللى يبجى يعتقلنى أنا أضربه بالرصاص».. أنا فكرت فى هذا ولكنى لم أستصوبه لأن هذا ينافى إيمانى. وجاء يحدثنى هلال كرجل وعلى لسان رجل أو رجال، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتش منزلى وحجرة مكتبى ورقة ورقة وحجرة نومى وعائلتى وحتى ملابسى ومتعلقات السيدات، واعتقل أهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن تماماً كما لا يعلم أحد من أفراد الشعب سبب أو مكان ولا مصير أى شخص يعتقل منهم، وإذا مات أحدهم.. لأى سبب يكتفى بأن يخطر أهله بأنه قد هرب أو أنه قد دفن فى مكان كذا وتحت رقم كذا.. مجرد رقم.. كان إنسانا حيا فأصبح رقماً مدفوناً.

ياعبدالحكيم إن ما قمتم به نحوى جريمة تماماً مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين.. طبعاً مع تغيير فى الشكل.

وكانت الرجولة ياعبدالحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم.. لأعلم منه ماذا جرى.. لماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (أن اتقوا الله..) ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة واستخدمتم سلاحاً لا يقنع عقلا حرا ولا يكبل ضميراً حيا، ولا يئد إيمانا وتقوى، ولكن يورث النفس مرارة وأسفا.. فإذا لم يواجهنى أحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة شرعية على الأقل لأعرف ما

هى التهمة الموجهة لى مادام قد أصبح أمرا طبيعيا.. فى زمن الحرية.. أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة.. أنا أتحدى أى اتهام وأنا أتحدى أن يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر ما حدث... طبعا إننى أخرج من حسابى عمليات التلفيق لأنى مازلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك..

ياعبدالحكيم.. ألم أقل لك فى مارس الماضى ماهى ضمانات الحرية.. فقلت: «نحن ضمانات الحرية» وقلت لك أنى لا أثق فى ذلك.. وهذه الأيام تأتينى بالبرهان بأن للحرية ضمانات وأنتم الضمانات.. كل شئ جايز!!

ألم أقل لك يومئذ أنه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه. فهل ياترى هذا الذى جرى لمواجهة كلمة (اتق الله) هو دليل هذا التنازل؟.

كلمة صريحة أقولها لك ياعبدالحكيم: أنا أرثى لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله... لا تغضب أنت الآخر ياعبدالحكيم.. راجع نفسك ولايغلبك الهوى والغرض.. راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم انظر أين ينتهى بكم الطريق... طريق الحرية أقدس ما منح الله للإنسان..

يجب أن تعلم! ياعبدالحكيم رأى الناس فيكم وما يحسونه نحوكم.. لقد أصبحتم وياللأسف فى نظر الشعب جلاديه.. نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مرلثورة ٢٣ التحريرية الكبرى تتجرعه الملايين المستذلة بعدما وضعت فى تلك الثورة وقياداتها آمالها وأعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير.. على الحرية.. ولكن أين الأمانة الآن والله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، لقد بددت الأمانة، لقد وئدت الحرية.. وتعيش هذه الأيام وكأنها فى ليل لا يبدو له فجر.

يا «عبدالحكيم» لا تتصور إنى مبتئس لما جرى ولكننى حقيقة أشعر بالأسف وأقول «ياحسرة على الرجال» «ياخسارة على الثورة» وأشعر بذنب واحد وهو أن ثقتى غير المحدودة.. فيكم؛ مكنت الطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وإنسانيته ومهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات التى تقال فالناس جميعا يعرفون حقيقتها .. والسلام.

كمال الدين حسين

١٩٦٥/١٠/٢٥

ولقد أرسل المشير عامر رسالة عاتبة لكمال الدين حسين فيها من شخصية المشير وفهمه للأمور الكثير.. يقول عبدالحكيم عامر فى رسالته المؤرخة بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٥:

عزيزى كمال..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقد تعودت ألا تزعجنى الصراحة... لأن الصراحة هى الطريق إلى الفهم الصحيح... ودعنى أيضا أصارحك القول وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ولا أخشى فى ذلك إلا الله وضميرى..

إن طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة قد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا، وفى رأيى لم يكن هناك مايبررها على الإطلاق فهى مرسلة.. وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا..« من كمال رسول الله إلى عبدالحكيم كسرى أنو شروان» أى من نبى مؤمن إلى قائد ملحد وأنت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين... فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر... وكنت أنتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الإجرامية تدبر والتى كان الغرض منها التحطيم والقضاء على نفوس بريئة والرجوع بها إلى الخلف سنين طويلة.. كنت أنتظر على الأقل أن تستنكر ذلك، وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ولا يعلم إلا الله كيف وصل بك الأمر إلى ذلك... تشكك فى كل شئ وترى صورا قاتمة لا وجود لها... ماذا ألم بك؟ لا أعلم.. ارجع إلى نفسك ياكمال وتأمل كل شئ بهدوء وبنفس خالية من الغضب والنزعات. فكر فى الأمور بعيدا عن المؤثرات، وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم.. الذين لهم هوى والذين لا يبغون إلا مصلحة ذاتية من ورائك... وقد وجدوا فى شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمل وهذه الأهداف، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لايريدون إلا الباطل...

إن المؤامرة الأخيرة التى دبرها الإخوان المسلمون المتعصبون.. مؤامرة لايمكن وصفها إلا بأنها جريمة ضد شعب بأسره... بل جرائم قتل باسم الإسلام.. دماء تسيل وخراب يعم باسم الإسلام... هل هذه هى الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض

أنفسهم على الناس بالدماء والخراب... والله هذا لا يقره دين ولايقره ضمير ولايقره أى شخص عنده إنسانية.

إننى تابعت التحقيق خطوة خطوة.. والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى الآن...أيريد سيد قطب الذى كنت توزع كتبه أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى يأمره بقتل الناس وتدمير البشر... أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة ماشاء من العباد... لا أعلم كيف لم يحدث فى نفسك هذا العمل الألم كل الألم... وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق أن ذكرته لك... هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط؟... توقف المستشفيات وفاة المرضى رجالا ونساء وأطفالا... القاهرة بلا ضوء... بلا مصانع تعمل فيها... آلاف العمال أصبحوا عاطلين... الناس لا تجد قوت يومهم.. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه... مجارى تطفح فى الشوارع وفى المنازل... أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعا... باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟... حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا أنفسهم خليفة الله فى الأرض... إنه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه. بل أيضا لمعاشه اليومى.. وماذا يكون شعورك وأولادك فى منطقة تتفجر منها مواد النسف؟ ماذا يكون شعور كل أب.. كل أم.. كل أخ..؟ فكر قليلا ياكمال دون تحيز ودون غضب لأن هذا هو حكم الطغيان بكل معانيه.. حكم الغابة بكل صوره... هذا هو الإرهاب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى مروع..

هل الأخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل. أم تعنى أنه كان يجب عليك استنكاره؟!

هل المبادئ الإسلامية والإنسانية تقر أنك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده فى خطابك الأول الذى يدل معناه على ذلك؟.

أى معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وهذا فى رأيى أبسط الأمور..

فلكل أجل كتاب... ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا وأنا بدورى أقول إنك لم تخطئ بثقتك فينا وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ولا تجعل أى تصرف

شخصى أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع.. إننا ومن جانبى أيضا سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا وسنحافظ عليه ضد أية محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير أن الناس يعرفون الحقيقة ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وأن كلامهم لا يقبل المناقشة.

وتقول أنك تريد أن تخرج إلى السعودية... لماذا؟ هل هى بلد الحريات.. هل هى بلد السلام..؟ ما هذا ياكمال... عجيب والله هذا التفكير إن النبى ﷺ كان بشرا ومات كما يموت البشر... وإن جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا. لاتخدع نفسك ياكمال... جرد نفسك ياكمال من كل الاعتبارات مليا وسترى الأمور بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جدلا.

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون ويزعجك أن يصدر مثله... وهذا ليس موضوعا جوهريا، ومهما أخطأت الثورة ياكمال فإنها تصحح دائما أخطاءها.. ولكنها ما كانت قاسية... وما كانت منتقمة.. وأنت تعلم ذلك وشاركتنا فى أفكارنا وفى قراءاتنا وفى جميع الأحداث التى مرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢.. وتعلم جيدا كيف نفكر .. وكيف نتصرف.

إن الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله.. ومهما كانت الشعارات التى يحتمى فيها ...إن كان تحت اسم إسلام أو تحت اسم إصلاح أو غيره.. إن بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية. ألا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى ربما إلى سنين طويلة لايعلم إلا الله عددها؟.

هل هذا مفهوم الحرية.. وهل هذه هى الحرية... التى أعلنها الإسلام.. أنا أقول كلا وألف كلا... بل إن هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والإنسانية بأكملها.

أتوافق ياكمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة... تعصب أعمى لايرى إلا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شئ... ويأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب.. وهل هذا هو حكم الله؟ إن الله برئ من القتلة والسفاكين.. لماذا أنت عاتب إذن؟! أليس عتبى عليك أكثر وأعظم...

أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى أننى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها...أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد... وهذا ما يقره ضميرك، وهذا ماتراه حقا...

إننى ياكمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا إلا الله وضميرى، ولولا سفرى لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملى أنك ستستمع لما أقوله وتقتنع بالحقائق الملموسة.. إننا لم نمنع الناس عنك إلا خوفا عليك... وخوفا على الناس ألا تنتهى المأساة البشرية التى كانت منذ ثلاثة عشر عاما... قد تختلف فى الرأى... لكن أرجو أن تصغو إلى نفسك وتفكر فى هذه الآراء.... وتطرح المسائل الصغيرة جانبا.... وطبعا أنت حر فى أن تأخذ بها أو تلقيها فى عرض البحر ولكن لى الحق أن أكتب إليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت إلىّ لائما وناصحا... ربما تذكر أنك كنت فى الحكم وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية... وهذه حقيقة وكنت حر التصرف... وهذه حقيقة أيضا .. ولم يحدث طوال هذه الفترة أن اختلفت على المبادئ التى تثور عليها بل كنت متحمسا لها وكنت أشد تطرفا... هذه حقيقة أيضا.. ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة٦١ والآراء التى أبديتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالإسكندرية... وكنت ياكمال متطرفا لحد كبير ومتحمسا للقوانين أشد التحمس حقيقة أيضا... ماذا تغير إذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجئ المتطرف أيضا... وفجأة كل شئ خطأ... وتصبح الحريات مغتالة على حد تعبيرك الذى لم أهضمه مطلقا.. فجأة حدث كل ذلك... ما الذى غير أفكارك بهذه السرعة الكبيرة... ما الذى أخل توازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب أفكارك فجأة.

لقد تناقشت أكثر من مرة فى أفكارك وتطارحنا الحجج والبراهين.. وصدقنى والله ما وجدت فى آرائك التى أصر على أنها ظهرت فجأة شيئا منطقيا أو سليما... وجدت لديك إصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش.. بل تصمم فقط على ما أنت فيه.. إن تطبيق أى نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعا لإعادة النظر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لايخطئ... وأظن ألا تعتبر نفسك معصوما من الخطأ، ولا أظن أن يصل بك الأمر إلى هذا الحد... ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك.. فأنت تريد فرض رأيك ورأيك أنت فقط فى نظرك الصحيح وهذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها ياكمال... وهذا هو قتل الحريات وضربها ضربة قاصمة. كل منا يرى عيوب غيره

وحبذا لو فكر فى عيوب نفسه... لماذا لا تحاول أن تجابه نفسك وتعرف عيوبك كما تبحث عن عيوب الآخرين وتبالغ فيها إلى أقصى الحدود.. إن فعلت أو حاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب إلى الصواب ولا تخلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيع... لاتجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك.. ولاتجعل لكلام من حولك قدسية... وهم فى كلامهم معك فى قرارة أنفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وللشهرة... وعندى على ذلك أمثلة كثيرة واقعية.. أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير.

إذا فكرت جيدا وحللت كل شئ لنفسك بصراحة ووضوح ستجد أننى كنت خير ناصح حتى ممن تظن أنهم أقرب وأخلص الناس إليك، وأعود مرة أخرى وأقول: كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدماء والخراب.. وأن يكون لفئة من الناس أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه.. يفعلون ما شاءوا.. هل هذه هى الحرية... هل هذا هو طريق الحرية..؟ أو الديموقراطية؟.

أقول بدورى ياكمال اتق الله فى نفسك.. اتق الله فى شعب مصر... اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم.. ولا تظلم نفسك ولا تظلم الناس معك.. لقد حاولت جهدى أن أشرح لك الحقيقة وإن كانت مرة.. ولكن دفعتنى إلى ذلك دفعا.. وأقول وأنا مرتاح الضمير...إننى أديت الأمانة.. ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا عن المؤثرات التى وقعت بعد فترة من الزمن وإن حدث ذلك كان نقدا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميع.

وقد ترددت أن أكتب خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك لاتريد أن تسمع أحدا إلا إذا حدثك على هواك وعلى ما تحب... ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى، ومناقشة الموضوعات التى أثرتها ليست صعبة، فقد ناقشتها معك مرارا وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول ياكمال.

والسلام عليكم ورحمة الله

عبدالحكيم عامر

ملاحظة: إننى أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى يمارسها.

عبدالحكيم

كتبت إليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التى قد تكون تاهت عنك وسط خضم المتكلمين والمتحدثين، وإنى أكتب لك ما أعتقده وعن صدق والحديث طويل ولا يتسع له حتى هذه الصفحات القليلة، ولكن لعل الله يجمع ماتفرق ويهدى ويرتق الصدع إنه على كل شئ قدير.

عبدالحكيم

وقرأ «كمال الدين حسين» رسالة المشير عامر ووجد نفسه يكتب الرد عليها، الذى جاء بمثابة بيان سياسى وفكرى، وجاء الخطاب كما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبدالحكيم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

لم يكن فى نيتى بعد خطابى السابق أن أكتب لك ثانية... فقد وعدتك ألا أزعجك وكنت عند وعدى، ولكن هناك نقطا خطيرة فى خطابك أشعر أنها تحتاج إلى إيضاح وأنا أحاول فى هذه السطور أن أوضح هذه النقط حتى لا يكون حكمك فيها مبنيا على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ، وأرجو ألا تحمل كلامى هذا أكثر من هذا المعنى.

١ـ تقول إن الرسالة التى تلقيتها منى كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت فى نظرك جميع القيم والروابط ولكنك لست حرا فى أن تبنى أحكامك على تصورات خاطئة.

٢ـ تقول إن الرسالة تلقيتها وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) إلى عبدالحكيم كسرى أنو شروان، وهذا خطأ فلم يقصد منها إلا أن تكون لعبدالحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك فى صداقات وإخوة.. وأنا لم أتخيل نفسى أن أدعى هذا الموقف، وحاشانى أن أدعى ذلك.. ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى أدعى ذلك.. الفرد فى أمة مفروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم «اتق الله» وقد قالها واحد من المسلمين إلى سيدنا عمر فما كان من عمر إلا أن قال «لا خير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها»، ولم يتصور الذى قالها فى وقت من الأوقات كرسول الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة..

واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر، ولم يجرؤ واحد منهم حتى معاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها.

٣ـ أما عن التوقيت فقد أخبرتك فى مناسبة سابقة لى أننى وكثيرا ما فكرت فى كتابة خطابات لجمال عبدالناصر، ولكنى كنت أعود وأعدل عنها حتى لايساء فهمها.. وربما وجدتم فى بعض مذكراتى أو النوت التى كنت أكتب فيها مسودات لهذه الخطابات التى لم ترسل..

ومن الطبيعى أن يفيض الأمر بنفسى بعدما علمته من الأعداد التى تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذى يُقذفون فيه والعذاب الذى يقاسونه والموت الذى يحولهم من آدميين أحياء مفروض أن يكونوا أحراراً إلى مجرد أرقام مدفونة فى التراب... ولم يتجرأ مخلوق، أن يحدثكم بالحقيقة فإذا لم يوجد واحد فى بلد تعداده ٣٠ مليوناً يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء، وقل لحاكميه ألا تفرحوا بأن هذه حال بلدكم.

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله؟ هل هو رمى المخاطب بالزندقة والكفر.. لا أعتقد ذلك أبدا.. فهى عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين، لم يخطر على بال من قالها أن يدعى أنه كرسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة، وقلت فى نهاية الخطاب إن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.. وقد قلت لك فى أول خطاب: لا خير فى إذا لم أقلها لك (والله يقول أيضا ذلك) ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ صدق الله العظيم.

وتقوى الله هى مراعاة الله وخشيته ورعاية عدل الله.. ويقول الله فى ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أخشى ياعبدالحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية من هذا الموضوع فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه لما تطرق إلى ذهنك هذا التفكير.

٤ـ بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقلت إنه كان من الأجدر

أن أستنكرها بدلا من هذا الخطاب وسوف أقول لك حقيقة مشاعرى بلا مواربة فى هذا الموضوع:

أولا: أنا لا أؤيد الجريمة بطبعى ولا يمكن أن أقرها، ولكن أرى أن يحاكم المجرم، بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع.

ثانيا: أنه وخاصة بعد تجربتنا غير الموفقة فى موضوع الحرية لا أؤمن إطلاقا بأن أى نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدى إلى الحرية، بل سيؤدى إلى دكتاتورية أشد قطعا، فإذا ارتكب باسم الدين كانت أدهى وأمر.

ثالثا: إن جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة إذا وجد فهو أحسن مناخ يمكن أن تتم فيه التربية السياسية، ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الإنتاج، وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادئ الحق أن تنتصر.

رابعا: إن المبالغات التى صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التى تنسف القناطر الخيرية، تجعل المواطن الذى فقد ثقته فيما يذاع فى وسائل الإعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين بكثرة وما فيها من كذب.. تجعله يشك شكا كبيرا فى حقيقة هذا الموضوع ومداه.

خامسا: إن قسوة الإجراءات التى أتبعت مع الآلاف التى قبض عليهم ظلما وعدوانا ولا يعرف مصيرها، تجعل الناس فى جو الدكتاتورية الموجود يعتقدون أنها فرصة للقضاء على كل أثر للمعارضة وزيادة لتكميم الأفواه.

سادسا: إن الشيوعيين الذين أخذوا يتريقون فى الجرائد بالكلام والصور على الإخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفى فى الإسلام نفسه «واهى فرصة».

٥ـ أما بخصوص الكتب التى أعطيها لبعض زوارى، فأنا فى مارس ١٩٦٥ أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما أظن كل واحد نسخة من كتاب سيد قطب، وطبعا أعطيت لأمثالهم مثل هذه النسخ لأن مافيها يعبر عن رأيى كما قلت، ولم ولن أتردد فى يوم من الأيام من المجابهة بهذا الرأى.

٦ـ وأخيرا فيجب أن أنبه أنه يجب التفريق بين الإسلام وبين أذى مخلوق يحاول التعبير عن رأيه فى حقيقة.

٧ـ جملة ثانية لم أفهمها أبدا... وإن كنت تعنيها فلتجابهنى بصراحة ولا داعى للف

والدوران... إنك تقول: هل الإخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل اللا إنسانى أم تعنى أنه يجب عليك استنكاره...

فأما من ناحية الاستنكار فقد وضحت لك موقفى من ناحية. أما عن تأييدى فهذا هو الإفتراء بعينه.. من الذى قال ذلك... من الذى يفهم ذلك؟... والله إذا كان هذا اتهاماً فأنا مستعد لمواجهة هذا الاتهام... وإذا كان خطأً فى الفهم فهو موضوع آخر.

أنت تقول أنت تؤيد فى خطابك الذى يدل على ذلك، وتستطرد فتقول: «أى أن معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وعلى اغتيال شعب».. أنت ياعبدالحكيم إذن لست أنا الذى أوافق على ذلك، ومع ذلك فأى كلمة فى خطابى من الكلمات أعطتك هذا المعنى؟، هذا جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات أن تحمل أى معنى آخر عن الذى عنته وهما قضية الحرية والعدل... أما أن تفهم أنى أؤيد النسف والتخريب والقتل... إلخ بهذه الكلمات... فكلام غريب... وغريب جدا، ويمكن أن يعرض على ناس غير متوترى الأعصاب فعلا.. لكى يقولوا رأيهم فيه، أم أنك ياعبدالحكيم تدخل معى فى مناقشة على طريقة عبود أحسن أم ستالين. ليس معنى أنى غير موافق على ستالين أنى أوافق على عبود.. وكذلك ليس معنى أنى أقول لكم اتقوا الله أنى موافق على التدمير والتخريب.

٨ـ أما الحقيقة التى يعرفها الناس، فأنا لى رأى وأنت لك رأى، ولو كان هناك حرية فى البلد لأمكن أن تعرف الرأى الصواب، ولكن أنت فى موقف الحاكم الذى لا يملك أحد الرد عليه، فلك أن تعتقد ما شئت ولكن تذكر أنى قلت لك فى مارس ١٩٦٥أنه يجب عليك معرفة رأى الناس مادمت مسئولا عن الناس... وكان ذلك ردا على كلامك بأنك لا تقابل أحدا ولا تتصل بأحد، وطبعا لايكون لك من سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا عن طريق التقارير... بالضبط كما كان يزاد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصيا عن طريق التقارير.

٩ـ أما عن موضوع رحيلى إلى الخارج فإنى كنت أعنى حقيقة الذهاب إلى المدينة المنورة، وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحرية المفقودة أو الإسلام الصحيح، ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ومع ذلك فإنى لم أقصد أن أحدد غير هذا المعنى ولكنى أفضل أى بلد عربى أو إسلامى.

١٠ـ ذكرت لى وطلبت منى ألا أخدع نفسى وأن أرى الأمور على حقيقتها وألا أكلمك عن القانون وعدم التحدث فى أشياء صغيرة... فإذا كنت تعنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فاعلم ياعبدالحكيم أنه ليس موضوعا قانونيا وصغيرا، ولكنه موضوع رئيسى لأنه هو موضوع الحرية التى تقهر...إذن إن هذا القانون يسلب الناس أى معنى من معانى الحرية ويعطى لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها أى حاكم لهذا البلد منذ قرون..المادة الرابعة فيه تنص على أنه لا يجوز الطعن فى قرار رئيس الجمهورية بأى شكل من الأشكال أو أمام أية جهة كانت... أى ليس هناك إلا الله عز وجل هو الذى يطعن أمامه يوم القيامة إن شاء الله... إن الموضوع ليس مجرد قانون عادى، ولكنه ينسف أى كلام عن الدستور المزعوم، أو الحرية كل الحرية للشعب أو خلافه من الشعارات.

١١ـ وغريب أيضا أن ترجع ياعبدالحكيم فتناقش الأعمال التى قيل أنهم سيرتكبونها... أنت تتساءل، هل هذه الحرية التى أعلنها الإسلام وتقول «كلا.. وألف كلا... بل هذا الكفر» وأنا أقول أيضا من قال أن هذه هى الحرية؟ إن هى عود إلى المناقشة على طريقة «عبود أحسن والا ستالين» ومع ذلك فهذه فرصة أتوجه بها إليكم راجيا أن تذوقونا طعم هذه الحرية التى أعلنها الإسلام مادمتم مؤمنين بالله واليوم الآخر.. أظن كلمة اتق الله فى الإسلام لاتواجه بمثل هذا الذى جابهتمونا به... اسمع.. إن الله يقول:

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ويقول: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ويقول: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ويقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ ويقول: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

ويقول: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا

أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

ويقول:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾.

ويقول:﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ .

ويقول: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

ويقول: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾... طبعا الحديث وجه إلى الرسول.

ويقول:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾.

ويقول: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ويقول: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وآيات كثيرة فى هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها إلى الله ورسوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

.. وإن مابينى وبينكم أحتكم فيه إلى الله وإلى الرسول.

١٢ـ وأنى لا أمنعك ياعبدالحكيم أن تعتب ولكنك تقول«إنك أصبت بصدمة حيث وجدت أن هذا أسلوب تفكيرى الجديد وأن هذا ما يقره ضميرى وهذا ما أراه حقا»...العجب كل العجب أنك تصورنى كيفما تريد، وتصور أسلوب تفكيرى كما

تريد.. هل سألتنى عن شئ من ذلك... لا أعتقد أنى أوافق على الإرهاب والتدمير والتخريب...إلخ، والتى لا يدل عليها أى كلام قلته أو عمل قمت به.. ولكنها تهيؤات... ولعبة «عبود أحسن والا ستالين».

١٣ـ طلبت منى أن أهدئ نفسا، وأن أطرح المسائل الصغيرة وأنا لم أناقش مسائل صغيرة وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس أناقشك... وأنتم لا تنكرون علىَّ أنى لم أدخر وسعا للعمل بتفان فى كل ما أوكل إلىَّ من أمر... أما أن جميع السلطات كانت فى يدى سياسية وتنفيذية فهذا وهم ...إذ لم يكن لرئيس المجلس التنفيذى ولا للمجلس نفسه أية سلطة لدرجة أثارت ترقية توفيق عبدالفتاح فى جلسة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذى أو رئيسه أية سلطة غير أنه ممر تمر عليه المواضيع.. ومع ذلك ففى فترة الاتحاد القومى قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من أسوان إلى الإسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحرية والتى كانت لا تعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا أن يكونوا خداما مخلصين لهذا الشعب.. وأنت تعرف المجهود الذى بذل فى هذا السبيل.

١٤ـ أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فأنا لا أنكر اشتراكى فيها ولا أنكر تحمسى لها ولا يمكن أن أكذب على نفسى فى ذلك... ولكن الحقيقة أيضا: هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت؟ أبدا... وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الإنتاج كما قيل فى جلسة مارس ١٩٦٤ حيث قلت: لكم دينكم ولى دينى.. ثم أين قرارات اللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية... وأين التصريحات عن الحرية للشعب..؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل... أبدا... ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب الوطنية: أين التصريحات التى قيلت فيه؟ وأين قراراته.. الميثاق نعم.... ولكن أين تقرير الميثاق؟ كلام تافه وركيك كما يقول جمال عبدالناصر... أنا أعلم أن للميثاق وجهين. وجه ماركسى ووجه إسلامى... أما الوجه الإسلامى فهذا الذى تقرر فى تقرير الميثاق.. وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأى جمال عبدالناصر عدم التعديل ولكن مايريدون من تعديل يوضع فى التقرير...

وأقر جمال عبدالناصر التقرير.... وقرر المؤتمر أن يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها.... أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا فى لجنة تقرير الميثاق أن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لأنه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ويحذرون نوعا آخر من الاشتراكية....ويقول إن القوانين يجب أن تستمد من الشريعة، وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على أساس الدين... إلخ من الكثير الذى جاء فى التقرير....

وأنا قلت فى مارس ١٩٦٤ إن الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل...ولكن أين الميثاق وأين تقريره..... بدون حرية.... كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره؟... أين ضمانات الحرية المنصوص عنها فى الميثاق وتقريره... أين الدستور الذى كان مقررا أن يعمله الشعب فى سنة ١٩٦٢ ...أين قانون الاتحاد الاشتراكى الذى عمله الشعب؟ أين قانون الانتخاب الذى عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكى؟ ... أين المحكمة الدستورية العليا؟ أين أى قانون محترم؟... أين سيادة القانون؟... وإذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أى شئ نتحدث عن الحرية؟....وكيف يقال إن هذه موضوعات صغيرة؟...

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبدالناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع مهم بالنسبة للانتخابات وغيرها... وقانون الاتحاد الاشتراكى عمله جمال عبدالناصر والدستور منحه جمال عبدالناصرللشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبدالناصر والقانون ١١٩ عمله جمال عبدالناصر... وجمال عبدالناصرعمل مايريد فى كل هذا...!.

فهل هذه الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التى استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقالتك؟ هل كنت تعنى حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية؟.

١٥ـ أما موضوع التفكير الذى تقول جديد.... فهذا الكلام قيل لى فى مارس ١٩٦٤ وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جمال عبدالناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الدينى الإسلامى والوطنى منذ تعارفنا على بعضنا وأنت تعرف الظروف التى جمعتنا بجمال عبدالناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس فى حجرة مظلمة فى حى الصليبية مع المرحوم السندى، وأنت تعلم كيف أننا أقنعنا الضباط سنة ١٩٥٤ حين قام الإخوان

بحركتهم بأننا نسيرفى طريق الإسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات، وأننا سنعمل على تطبيق الإسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيرا ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الإسلامية وقد قلت إنكم...فكرتم مرة فى عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الإسلامية...وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تياره الثورة قلت إنه لا عاصم لنا إلا الإسلام وهذا كلام الله الذى قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وأنا كنت ومازلت أعتقد فى ذلك من قبل الثورة للآن... ولكننا توهمنا أنه يمكن أن نصل إلى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب أن نواجه أنفسنا بالحقيقة والإسلام. يعطينا الحرية... والإسلام لا يعبد فيه إلا الله... ولا نتخذ فيه من أحد العباد إلها آخر...

يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله.... لأن الحاكم عبدالله... الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى.. فالإسلام فوق شبهة الهوى والغرض، ولذلك فما بقوة الله واجب الاتباع... وهذه بديهيات الدين....وليس فى ذلك معنى التعصب ولاتحكم طوائف دينية معينة ولا أى شئ من هذا القبيل... لأن الإسلام لكل فرد... وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصى ولا وسيط وليس المجال مجال محاضرة عن الإسلام... ولكن الذى أقوله إن أفكارى ليست جديدة... ولكن الانحراف هو الذى أصاب نفوسنا... وإجراءاتنا عندما نسينا الله الذى نصرنا فى كل خطوات كفاحنا فى ثورة ٢٣ يوليو وفى حرب السويس... الله هو الذى نصرنا وليس الصاروخ الروسى.

١٦- ياعبدالحكيم أنت الذى تتهمنى بأن عقلى يرفض أن يناقش.. من قال ذلك..؟.. أنا لم أرفض النقاش ولن أرفضه.. وأنا لا أصر على رأى ولا أحاول أن أكون ديكتاتورا.. ولكن هذه التهمة وجهها لى جمال عبدالناصر فى مارس ١٩٦٤ وقد رددت عليه يومئذ بأن يسأل الناس من أسوان إلى الإسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك فى مناقشاتنا الشعبية المختلفة. أما أن تفرض علىّ عقيدة معينة غير الإسلام.. فإذا لم أقبلها كنت ديكتاتوراً. فأنا لا أقبلها طبعا وأنا أحتكم إلى الله وسنة رسول الله. أما أن تتهمنى حين أتمسك بدينى بأننى ديكتاتور فلك ولجمال عبدالناصر أن تقولا ماتشاءان مادام لكما أن تقررا ما تشاءان. أما إذا كانت هناك حرية رأى فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب؟ أليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم؟. إلى آخره...

الواقع أن جمال عبدالناصر يحاول بذلك دفاعا عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع فيتهمني بأنى ديكتاتورى... وجميع الناس يعلمون جيدا من هو الديكتاتور...

١٧ـ وتنصحنى ياعبدالحكيم وأنا أشكر لك النصح... أن أبحث عن عيوبى.. أنا لا أدعى أن أصلح حالى أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توهم...

اتهمتنى بأنى أجعل لكلام من حولى قدسية... وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولى؟ علاوة على أنى لا أقدس كلام أحد إلا الله..ثم تقول إنهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسيطرة وطلبا للشهرة وأنا لا أدرى عمن تتحدث... وأنا أخبر كل من يزورنى أن اسمه يؤخذ وأنصحه بعدم زيارتى حتى لايصيبه مكروه... وفعلا قد أصاب الكثير مكروه...وأكون شاكرا أن تدلنى عن هذه الأمثلة التى تتحدث عنها حتى أعرف كيف تفكر أنت الآخر... لاتتوهم ياعبدالحكيم أنى لا أفكر جيدا أو لا أحلل جيدا ، أو أنى لست صريحا مع نفسى.. على قدر طاقتى طبعا وفى حدود تصورى.. فمن هم ياترى الذين تقول أنى أتصور أنهم أخلص الناس إلىّ والذين تتصور أيضا أنى آخذ كلامهم بقدسية.

١٨ـ تقول ياعبدالحكيم كيف أتصور الحرية فى ظل الدماء والخراب وأعود فأقول من الذى جعلك تتصور أنى أتصور هذا ؟. ولا تظن أنى مراوغ فى ذلك، ولكنك تعلم أنى لا أغش ولا أكذب.. وأنا يقينا أرفض أى تآمر أو انقلاب أو تخريب أو أى شيء من هذا القبيل لأننى أعلم حقيقة ما لا يعلمه الناس الكثيرون.. إن الأنبياء فقط هم المعصومون وأن أى حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التى يرفعونها ستقيم. دكتاتورية أعنف.. وأشد الأمر أن تكون حرباً أهلية لا قدر الله..

فكيف تخاطبنى بهذا الاعتقاد الخاطئ ؟ إنك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمنى أيضاً.. من يقول إن الحرية تأتى عن هذا الطريق.. كل تعليقاتك عن هذا الطريق فى حديثك لا محل لها أصلا ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطئ.

١٩ـ وتقول لى: اتق الله وأنا لا أرفض تقوى الله إطلاقا وأتمنى على الله أن يمنحنى تقواه وأن تطمئن نفسى بتقواه. أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فإنه كان

من أسهل السهل عليَّ... لولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت أكلت«عيش وبقلاوة كمان ياعبدالحكيم».

٢٠ـ أما الحقيقة المرة التى تتحدث عنها ياعبدالحكيم.... فأنا لم أرها بعد إلا من جانب آخر... وإنى لا أرى الأمور على حقيقتها.... فإذا كان لديك كلام آخر غير الذى اتهمتنى به باستنتاجك الخاطئ ظلما وعدوانا فأكون شاكرا لو تكرمت عليَّ به. أما من ناحية أنى أسد أذنى فأنا لك آذان صاغية... ومن ناحية هواى فإنه ليس لى هوى، ولا أريد شيئا لا جزاء ولا شكورا إلا تحكموا الله والرسول فيما نختلف فيه، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهانكم... والتاريخ ياعبدالحكيم زوره المزورون، وقد زوره ستالين ٤ مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة... وهو أخيرا لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذى يسجله الله لعباده.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ صدق الله العظيم.

وأنا لم أتبن أفكارا جديدة كما قال جمال عبدالناصر فى مارس عام ١٩٦٤ ولكن الحقيقة أننا اختلفنا أيديولوجيا كما قال أيضا.... أنا أحاول أن نرجع إلى الأصل الذى بدأنا منه وأنتم تغريكم مظاهر جديدة وأفكار جديدة وأيديولوجيات جديدة... أنتم أحرار وأنا حر أيضا.

أما عن السلطات فأنت تعلم أنه حينما بدأنا الحديث فى مارس عام ١٩٦٤ قلت أننى لا أنوى الاشتراك فى الحكم وأنت الذى ألحيت عليَّ فى القبول، وحين قبلت كان على أساس ولكن انهار الأساس قبل أن نبدأ أى عمل مع بعض فرفضت الاشتراك رفضا قاطعا... وأنت تعلم أنى قلت مرة أنا مستعد أن أعمل محافظا لسيناء أو أن أعمل مستشارا... أو أى عمل مادام هناك اتفاق على المبادئ... لكن أن أعمل بوجهين أو أقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعى يأبى إلا أن أكون صادقا مع من أعمل معهم... مخلصا لمن أعمل معهم وأشعر طبعا أنهم يبادلونى نفس الصدق والإخلاص... لا أن يحاكمونى محاكمة غيابية أو يقولوا عليَّ من ورائى ما لم يقل لك حتى الآن... رغم كل ماحدث ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه لا غرورا ولا افتتانا... ولكن أشعر حقيقة بذنوب ماكان يجب أن أشترك فيها وأنى أحاول أن أستغفر ربى لكى يكفر عن خطيئتى.

وطبيعى أننى لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعموما فحتى هـذا لا يضيرنى شيئا... ولله الأمر أولا وأخيرا.... والسلام.

كمال الدين حسين

❏

انتهى رد «كمال الدين حسين» على المشير «عبدالحكيم عامر» ولم تكن ملاحظات إنسانية وعاطفية بقدر ما كانت رؤى سياسية اتخذت طابع الحدة والقسوة، ويزيد من أهميتها أنها جاءت من قلب النظام لا من خارجه، من أحد نجوم ثورة يوليو الأساسيين لا من أحد رموز العهد البائد! وهذه الرسائل المتبادلة تكشف جوانب مهمة عن طبيعة الشخصيات الأساسية فيها وهى الرئيس عبدالناصر والمشير عامر وكمال الدين حسين.

❏

ومن قمة الانشغال السياسى إلى قمة الانشغال الكروى كان للمشير «عامر» قصص وحكايات ونوادر لها دلالتها وأهميتها فى كشف جانب من شخصية المشير أيضا!.. ففجأة وجد الناقد الراحل الأستاذ «نجيب المستكاوى» نفسه متهما بسب وشتيمة المشير «عبدالحكيم عامر»!!

بل الأغرب من هذا أن المشير عامر تقابل بالصدفة مع الأستاذ «محمد حسنين هيكل» رئيس تحرير «الأهرام» وقال له غاضبا:

«الجدع المستكاوى ده موش حيجبها البر؟! قول له يبطل شتيمة فىّ أحسن له»!!

والقصة كلها رغم غرابتها وطرافتها جديرة بالرواية والقراءة، وربما تكشف كلماتها عن جوانب أخرى فى شخصية المشير عامر!

إن «نجيب المستكاوى» يعترف بأن اتهام المشير له بأنه شتمه لم يكن أصعب موقف صادفه فى حياته الرياضية، بل كان من أهم المواقف وأخطرها على الإطلاق!

كتب «نجيب المستكاوى» تفاصيل ما جرى وقتها على النحو التالى:

«شاهدت مباراة بين الزمالك والاتحاد السكندرى فى الإسكندرية، حكمها العميد «مصطفى رمزى» الذى أدار المباراة على نحو أدى إلى فوز عتاولة الزمالك ٣/ ٢، كان هذا رأيى ببساطة، وأعربت عنه بوضوح، لكن لأنى أعرف حساسية جمهور العتاولة فقد أظهرت دهشتى لهذا الموقف قائلا:

«لا شك أن الزمالك فى هذه المرحلة هو أقوى فرق مصر وأكثرها ترابطا وأحسنها أداء، ولا شك أنه يكسب ويتألق ويتفوق بعرقه وجهده، وأنه ليس فى حاجة إلى تبرع فضولى ، أو مجاملة حكم ليكسب مباراة أو ليبرهن على جدارته لبطولة، وقد كنت شديد التأثر بما حدث فى المباراة، لأن الاتحاد الصيفى لعب مباراة جيدة، حتى أنى ضممته إلى الفرق التى يمكن أن تناوىء الأهلى والزمالك وتطمع فى إخراج الدورى من القاهرة لأول مرة».

ثم يضيف «نجيب المستكاوى» قائلا:

«ومن وجهة أخرى فإن خاطرة خطرت على بالى، وهى احتمال أن يكون الحكم الكفء «مصطفى رمزى» جامل الزمالك لأنه ضابط بالقوات المسلحة، ويهمه بطبيعة الحال أن يحوز رضا المشير «عبدالحكيم عامر» رئيس الاتحاد، وشقيق رئيس نادى الزمالك، وأنا أمقت النفاق بكل صوره ، لذلك جعلت المانشيت الرئيسى: هل لابد أن يفوز الزمالك؟!!

وقد تلا ذلك سطران عن مستوى المباراة وعن تأثير التحكيم فى النتيجة، وفى الوقت نفسه حرصت فى تعليقى على المباراة، على ألا أمس كرامة الحكم العميد «مصطفى رمزى» لأنه لم يكن فقط على قدر كبير من الكفاءة، وإنما كان أيضا شجاعا.

وذهبت إلى «الأهرام» مبكرا صباح الأحد لكى أحضر اجتماع مجلس التحرير، وفوجئت بالأستاذ «هيكل» يقول لى أمام الزملاء جميعا:

شوف يانجيب، كفاية علىّ وحياة والدك المشاكل السياسية، ماتدخلنيش فى مشاكل رياضية!!

قلت: مشاكل إيه يافندم، إحنا ماعندناش مشاكل ولاحاجة أبدا!

قال:إزاى؟ المشير قابلنى إمبارح فى القصر الجمهورى وقال لى: الجدع المستكاوى ده موش حيجبها البر؟! قول له يبطل شتيمة فىّ أحسن له!!

قلت: شتيمة إيه؟! أنا أشتم المشير ليه؟!

ويقول «نجيب المستكاوى» إنه تذكر عنوان المباراة، والمانشيت الذى كتبه ويتهم فيه الحكم بمجاملة الزمالك، وهنا قال للأستاذ هيكل:

يمكن المشير فهم غلط من مانشيت الاتحاد والزمالك أول أمس لأنى انتقدت الحكم لتحيزه للزمالك!!

قال «هيكل»: ودى تزعل المشير فى إيه؟!

قلت: أصل رئيس نادى الزمالك هو المهندس«حسن عامر» شقيق المشير؟!

قال «هيكل»: هات لى التعليق أقرأه!!

وذهبت «أى المستكاوى» إلى قسم الرياضة وأحضرت له التعليق فقرأه بصوت مسموع وهو يهز رأسه، ثم قال لى:

براءة، مافيش حاجة تمس المشير!!».

عند هذا الحد تصور الأستاذ«نجيب المستكاوى» أن المشكلة قد انتهت، بل تصور أن شرح هيكل للمشير فيه التهدئة..الكافية. بل الترضية عما دار بخلده من أن يكون قد شتمه أو تهكم عليه لكن الموضوع لم ينته؛ عند هذا الحد، أو كما يقول نجيب المستكاوى:

«تلقيت تليفونا من الصديق «عبدالصمد محمد عبدالصمد» عضو مجلس الأمة والمتحدث الرسمى باسم نادى الزمالك، يخطرنى بأن النادى قرر رفع دعوى تعويض ضدى وضد «الأهرام» إزاء التشكيك فى فوز الزمالك، الذى سبب ضررا أدبيا بالغا، والحق أن الأخ عبدالصمد كان فى غاية اللطف وهو يبلغنى القرار، مؤكدا أنه ترضية للجماهير، بالإضافة إلى أن علاقتى الشخصية به وبالنادى كانت فى غاية المتانة!!

وتأزم الموقف بينى وبين الزمالك وانقطعت عن زيارة النادى الذى كنت دائما أقضى وقت فراغى المسائى فيه إن وجد الفراغ، كما أن النادى الأهلى كان مقصدى فى وقت الظهر لألعب الطاولة. وذات يوم تلقيت تليفونا فى المنزل من الصديق العزيز«يوسف الشريعى» مدير الفريق القومى وصديق «المشير» والمهندس «حسن عامر» أوضح لى فيه أن الشقاق مع الزمالك لن يستمر، بل إنه سوف يسحب دعواه، إذا زرت المهندس حسن عامر فى داره وشرحت له الموضوع، وأكدت له أنى لم أقصد التهكم على المشير أو حسن عامر أو الزمالك.

وقلت له: أنا أحب المشير والمهندس حسن عامر وكتبت وسوف أستمر فى الكتابة مؤكدا على أن الزمالك هو أقوى وأكمل فريق مصرى فى بداية الستينيات، كما أنى لم أخطئ فيما ذكرته عن مباراة الزمالك والاتحاد ، وإذا كان رأى الزمالك يخالف رأيى، فإن اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية، ومع ذلك فإنى سوف أرافقك إلى دار المهندس

«حسن عامر» دون أن تفتح الموضوع وبشرط أن يتناول طعام العشاء عندى فى اليوم التالى».

ويضيف «نجيب المستكاوى» قائلا:

«وذهبت إلى بيت المهندس«حسن عامر» فى الزمالك، وتسامرنا طويلا ومعنا يوسف الشريعى والفريق سعد الدين متولى والمهندس المرحوم «رمسيس رزق الله»، وبعدها بيومين استقبلت كبار العتاولة فى منزلى على مأدبة عشاء، وكان هناك المهندس «حسن عامر» والمرحوم «عامر عامر» عضو مجلس الأمة، و«حسن حسين» زوج شقيقة «المشير» و«عبدالصمد محمد عبدالصمد» المتحدث الرسمى للزمالك والفريق «سعد الدين متولى» والمرحوم المهندس «رمسيس رزق الله» وأمضينا وقتا ممتعا.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت أسهر يوميا تقريبا بنادى الزمالك مع نفس هؤلاء العتاولة الكبار، وكان ينضم للسهرة كذلك«شمس الدين بدران» وزير الحربية الأسبق ولم يكن أى إعلامى يجرؤ على الاقتراب من مكان الاجتماع.

وهكذا على كل حال حفظت الدعوى التى أقيمت ضدى كمحرر رياضى للأهرام».

ومن الحكايات والمواقف الطريفة التى يرويها الأستاذ«نجيب المستكاوى» تلك الحكاية التى كان طرفها نجم مصر الدولى «الضيظوى» كان الضيظوى نجم مباراة مصر وألمانيا التى فازت فيها مصر ٢/ ١ بل أحرز الضيظوى هدف الفوز لمصر، ومع ذلك أعطاه المستكاوى ٣ من ١٠ وباقى الحكاية يرويها المستكاوى على النحو التالى:

«بعدها بيومين كان لدى الفريق القومى تدريب فى ملعب اتحاد الجيش بكوبرى القبة استعدادا لمباراة عسكرية مع إيطاليا وذهبت لمتابعة التدريب، فوجدت أن المشير «عبدالحكيم عامر» رئيس الاتحاد يتفرج عليه، ومعه الأخوة «عامر محمد عامر» و«يوسف الشريعى» أمين صندوق الاتحاد وعبدالصمد محمد عبدالصمد والمهندس حسن عامروغيرهم وبعد أن سلمت عليهم جلست خلف المشير مباشرة، ولاحظت أن الضيظوى غير مشترك فى التدريب، وإن هى إلا لحظات حتى حضر الضيظوى وسلم وجلس إلى جوارى فقد كان له معزة خاصة لدى المشير الذى كان يحلو له أن يشاغبه ويداعبه فأشار إلىّ وقال له:

ـ اللى بيذلّك أهو!

وضحك المشير وقال لى: صحيح أنا عاوز أعرف لماذا أعطيته ٣ من ١٠؟!

قلت: بصرف النظر إنه طول الوقت واقف يحرس القيراط الذى اشتراه فى الملعب إلا أنه ارتكب خطأ كبيراً فى حق التربية، لأن الكرة العرضية التى أرسلها الجناح الأيسر «فتحى خطاب» كانت ذاهبة إلى الجوهرى، فإذا بالضيظوى يدفع الجوهرى بيده، ليبعده عن الكرة حتى يسجل هو الهدف، فكان لزاماً أن يعاقب على هذه الأنانية، لأنه كنجم كبير مثال وقدوة للشباب!!

وقهقه المشير وقال: عندك حق!! لكن إزاى لحقت تشوف كل ده؟!

قلت: هذا عملى وواجب يا فندم!

ونادى المشير على «الضيظوى» وأوقفه أمامه وقال له: شايف بيقول إيه؟!

ولاحظ المشير أن أصابعه سوداء فقال له:

ـ إيه ده؟! أنت بتشرب كام سيجارة فى اليوم؟!

وقال الضيظوى: ١٠ سجاير يا فندم!

فقال «المشير»: دى صوابع بتاعة ٥٠ سيجارة! إياك يكون فيه «هباب» كمان؟!

وأقسم الضيظوى أنه لا يوجد «هباب» وأن المسألة كلها شائعات».

❑

ولم تتوقف حدود المشير عامر عند حد السؤال والاستفسار بل وصلت فى بعض الأحيان إلى حد القول إن «المشير عاوز كده»!

فى الموسم الكروى ٦١ ـ ٦٢ تولى عبده صالح الوحش مسئولية الكرة بالأهلى (مدير كرة ومدرب الفريق أيضاً) ودعا النادى الأهلى نادى بنفيكا بطل أوروبا ليلعب فى القاهرة!.. وقدم «الوحش» طلباً إلى إدارة النادى: «باعتبارى مسئولاً عن كل شىء أطلب الاستعانة باثنين من اللاعبين من خارج الأهلى هما «بدوى عبدالفتاح» من الترسانة، و«محمد بدوى» من المصرى.. وهنا بدأت المشكلة، وبرزت عبارة «المشير عاوز كده»!

يقول «عبده صالح الوحش»: «فوجئت بمجلس الإدارة يطلبون منى أن أستعين بلاعبين من الزمالك، وأبديت دهشتى الشديدة لهذا الكلام وقلت لقد انتهينا بالأمس

القريب من مباراة الزمالك وفزنا عليهم ٣ / صفر واللاعب الذى أريده من الزمالك هو «يكن حسين» وكان موقوفاً، وعندهم «سمير قطب» لاعب على درجة عالية جداً من الكفاءة، لكن فى الأهلى «رفعت الفناجيلى» الذى لا يبارى، فأنا لا أريد هؤلاء!

وطلبت أن أحضر اجتماع مجلس الإدارة لأناقش المجلس فى وجهة نظره، وفى الجلسة سألت الحاضرين عن سبب رفضهم للاستعانة ببدوى عبدالفتاح ومحمد بدوى وبعد مناقشات ومحاورات قالوا لى: «هذه رغبة المشير»!

والحقيقة - الكلام لعبده صالح الوحش - أننى كثيراً ما سمعت هذه الكلمة «دى رغبة المشير»، وكان المشير وقتها رئيساً لاتحاد الكرة، لكن كانت هذه هى المرة الأولى التى تواجهنى هذه الكلمة وجهاً لوجه.. كنت من قبل أسمعها فقط، لكن هذه المرة تتجسد أمامى واقعاً علىّ أن أتعامل معه، ووجدتنى أقول لأعضاء المجلس:

- «أنا دائماً أسمع عن رغبة المشير، ولكن هذه أول مرة أشوفها»!

وطلبت من المجلس أن يهيئ لى فرصة الاجتماع بالمشير «عبدالحكيم عامر» وأناقشه فيما يطلبه وأقنعه بوجهة نظرى، فنظر إلى «توفيق خشبة» (وكيل النادى الأهلى) قائلاً:

- «طب اسمع.. السيد «محمد توفيق عبدالفتاح» سيحضر بعد غد، الخميس، وهو الذى أبلغنا برغبة المشير»!

كان «محمد توفيق عبدالفتاح» يشغل منصب وزير الشئون الاجتماعية، وكان رجلاً فاضلاً - رحمه الله - وفى الموعد المحدد ضمنا اجتماع: مختار التتش، توفيق خشبة، محمد توفيق عبدالفتاح، وأنا وقلت له:

«يا افندم ممكن أعرف السبب، بيقولوا كذا.. وكذا وأن هذه رغبة المشير؟!».

فرد قائلاً: «هى بالفعل رغبة المشير»: هو عاوز أحسن فريق يمثل مصر، وعاوز الجمهور كله يساند الأهلى!

وقلت له: بس أنا معاك فى رقم واحد وهو أحسن فريق فى مصر لابد أن يكون فيه «محمد بدوى، وبدوى عبدالفتاح»، والبند رقم اثنين أن كل الجمهور يشجع مصر أنا معاك فيها أيضاً، بمعنى أن الفرد الذى لا يشجع النادى الأهلى ضد نادى أجنبى لا أحب أن يحضر المباراة ولا أحب أن يشجعنى، لأن الأهلى فى هذه المباراة يمثل مصر.

فرد الرجل قائلاً: «أنا معاك.. توكل على الله، وأنت بتعمل الصواب».

ويقول «الوحش»: ومن يومها بدأت علاقة صادقة بينى وبين توفيق عبدالفتاح تقوم على الاحترام المتبادل، المهم استطعنا أن نكسب ٣/ ٢.

❑

وحكاية أخرى أغرب من الخيال لكنها تستحق القراءة لإظهاركم المبالغات التى ألصقت بحياة المشير ، وربما الإدعاء عليه :

الحكاية كان طرفاها «المشير عبدالحكيم عامر» والحكم الدولى اللواء «عبدالله رفعت»!.. وتعود وقائع الحكاية كما يرويها الناقد الرياضى «عبدالرحمن فهمى» إلى عام ١٩٦٣ حيث كانت تقام مباراة فى كأس مصر بين الزمالك والقناة على ملعب الأهلى، وكان حكم المباراة هو «العميد على قنديل» الذى مثل مصر فى مباريات كأس العالم بل منحته الدولة وسام الرياضة!

ويروى «عبدالرحمن فهمى» ما جرى وقتها فيقول:

«قبل نهاية المباراة شعر جمهور الزمالك بأن المباراة لن تنتهى لصالحهم فقام بإلقاء طوب وحجارة وزجاجات فارغة فى الملعب، حتى تعذر على حكم المباراة إدارتها، فطلب من رئيس فريق الزمالك ومن إدارييه المحافظة على النظام وتهدئة الجمهور، وإلا اضطر إلى إنهاء المباراة فوراً واحتساب النتيجة فى غير صالح الزمالك!

ثار لاعبو الزمالك على الحكم «على قنديل» وكان أكثرهم ثورة اللاعب «محمد رفاعى» وكان يومها مجنداً كعسكرى فى الجيش! وكان «على قنديل» برتبة عميد!!

وظهر عدد مجلة «المصور» بعد أيام وفيه عدة صور تدل على عدم الانضباط الخلقى والرياضى والعسكرى، «محمد رفاعى» يمسك بتلابيب «على قنديل» بيد، ويرفع يده الثانية إلى أعلى وكأنه سيهوى بها عليه صافعاً إياه على وجهه (!!)

يقول «عبدالرحمن فهمى»: «كان اتحاد الكرة يومها واقعاً تحت تأثير نادى الزمالك، فرئيسه المشير «عبدالحكيم عامر»، ونائب الرئيس الفريق «عبدالعزيز مصطفى»، والوكيلان «محمد حسن حلمى» و«حسن عامر» وكاد الأمر يمر بسلام، لولا أن اللواء «عبدالله رفعت» كحكم قديم وكإدارى مسئول وكضابط سابق يعرف اللوائح ويقدس النظام، وكرياضى قديم رفض هذا الوضع ودعا لاجتماع عاجل لاتحاد الكرة، فلم يستمع له أحد!

ولكن فى أول اجتماع رسمى للاتحاد بعد ذلك، ولم يكن مدرجاً هذا الموضوع الخطير فى جدول أعماله أصر عبدالله رفعت على إثارته، وقال:

«أن يضرب عسكرى عميداً فى الجيش على الملأ فى ملعب كرة وعلى صفحات الجرايد والمجلات فهو أمر خطير من ناحية البلد قبل أن يكون من ناحية الرياضة. أنا كرجل عسكرى لا أقبل على جيش بلدى أن يرى هذه المهزلة أمام عينيه، ويصمت، وخاصة أن رئيس الاتحاد هو قائد الجيش»!

ونظر أعضاء الاتحاد بعضهم لبعض، ولم يتكلموا، وأصر «عبدالله رفعت» على اتخاذ إجراء ضد «رفاعى» من ناحية الرياضة ـ على الأقل ـ وهو ما يملكونها الآن، على أن يرفعوا توصية إلى إدارته فى الجيش لمعاقبته فوراً.

ولم يعلق أعضاء الاتحاد، ولم يفتح أحد فمه بكلمة واحدة، وبعد يومين كان «عبدالله رفعت» فى منزله، فدق جرس التليفون، وقال المتحدث:

ـ اللواء عبدالله رفعت موجود.. طيب استعد المشير حيكلمك.

وبعد برهة ـ كما يروى عبدالرحمن فهمى ـ تحدث المشير قائلاً:

ـ أنا وصلنى كل الكلام ، اللى قلته فى اتحاد الكرة من يومين يا عبدالله يا رفعت.. أنت فاكر الحكاية فوضى؟!

وظن الرجل أن المشير أخذ بوجهة نظره التربوية فقال له:

ـ ده برضه كان عشمنا يا فندم!

قال المشير: عشمك فى إيه؟!

رد الرجل: عشمنا فى سيادتك، أنا قلت إن سيادتك لا يمكن تقبل هذا الوضع الخاطئ ولا يمكن تقبل أن يتعدى عسكرى على «عميد» فى ملعب كرة مهما كان السبب!

وقال المشير: أنت مش عارف العسكرى ده اللى بتقول عليه يبقى مين؟!

أجاب عبدالله رفعت: «أيوه يا فندم.. دى يبقى محمد رفاعى»!

قال المشير: مش عارف «رفاعى» ده بيلعب لأى نادى؟!

رد: لنادى الزمالك يا فندم.

وسأل المشير: مش عارف نادى الزمالك ده يبقى رئيسه مين؟!

قال: يبقى رئيسه المهندس «حسن عامر» يا فندم؟

قال المشير: ما تعرفش أن «حسن عامر» ده يبقى أخويا؟!

قال: عارف يا فندم!

ورد المشير قائلاً: طيب ما دام أنت عارف.. تهاجم إزاى نادى الزمالك؟!

قال اللواء عبدالله رفعت: أنا ما جبتش سيرة نادى الزمالك خالص يا فندم.. أنا بتكلم عن الأصول التربوية.. والنظام فى القوات المسلحة!

رد المشير: أنت حتعلمنى النظام فى القوات المسلحة يا عبدالله؟!

أجاب الرجل: مش قصدى يا فندم.. بس لما يشوف الناس عسكرى فى الجيش بيضرب عميد فى الملعب، واللى ما شافوش فى الملعب شافه على صفحات الجرايد والمجلات يبقى إيه الوضع؟

وبسرعة قال المشير متسائلاً: هو «رفاعى» كان لابس عسكرى، و«على قنديل» كان لابس عميد فى الملعب؟

وأجاب اللواء «عبدالله رفعت» قائلا: «لا يا فندم بس كل القوات المسلحة على الأقل زملاؤهم عارفين. ثم من الناحية الرياضية التربوية.. كان.. يا فندم...!

وقاطع المشير الرجل قائلاً: «انت حتعلمنى النواحى العسكرية.. والنواحى الرياضية كمان يا عبدالله يا رفعت»؟!

رد الرجل: مش قصدى يا فندم.. بس!

قال المشير: لا بس ولا حاجة.. أنا بشرفى لولا أعرفك كويس كضابط ممتاز لكنت أمرت باعتقالك دلوقتى!

تساءل اللواء عبدالله رفعت مذعوراً «اعتقالى؟»!

أجابه المشير بسرعة: إيه مش مصدق.. تحب تجرب لك يومين؟ أنا بس راعيت ماضيك العسكرى والرياضى، علشان كده باصدر لك أمر تنفذه فوراً!

قال الرجل فى امتثال: «اللى تؤمر بيه يا فندم»!

رد المشير منهياً هذا الحوار التليفونى الغريب والمثير فى الوقت نفسه:

ـ أنا خففت عليك الحكم واكتفيت بأن لا تدخل أى ملعب فى حياتك.. أنت فاهم.. مُحرم عليك دخول أى ملعب كرة ولا حتى كمتفرج.. لو دخلت ملعب يا عبدالله يا رفعت مش حيحصل لك طيب.

ويختتم «عبدالرحمن فهمى» هذه القصة الغريبة فيقول: ولم يدخل «عبدالله رفعت» أى ملعب كرة وهو عضو بلجنة الحكام الرئيسية التى تعين الحكام وتشرف عليهم.. لم يدخل أى ملعب منذ عام ١٩٦٣ حتى نكسة ١٩٦٧».

وبالفعل تمت إعادة المباراة بالحكم نفسه «على قنديل» على ملعب دمنهور، وفازت القناة على الزمالك بهدفين.

وننتقل إلى حكاية كروية أخرى ربما تنفى وتناقض ما ألصقه البعض بانفراد المشير بقراره:

الحكاية كان بطلها النادى «المصرى» البورسعيدى، وعندما أصدر «جمال عبدالناصر» قراراً فى ديسمبر ١٩٦٤ بأن يتولى السيد «عصام الدين حسونة» منصب محافظ بورسعيد، وكان وقتها يشغل منصب محافظ بنى سويف، فقد كانت أول مشكلة مهمة وخطيرة تواجه المحافظ الجديد هى «أزمة النادى المصرى»!

وتفاصيل القصة بأسرارها وخباياها يرويها «عصام الدين حسونة» فيقول:

«كنت أعرف أن حب المدينة لناديها «المصرى» يبلغ أحياناً مبلغ التعصب! وقبل قدومى بأسابيع معدودة، حدث شغب فى إحدى المباريات المهمة، وتدخل رجال الشرطة ووقع احتكاك عنيف بين الطرفين قتل فيه عدد من المتفرجين، ولم يجد اتحاد الكرة مناصاً من وقف النادى «المصرى» وحظر إقامة المباريات فى المدينة.

ألح علىّ أعضاء مجلس المحافظة والاتحاد الاشتراكى وأعضاء مجلس الأمة أن أجعل لهذه المشكلة أهمية خاصة تهدئة لخواطر البورسعيديين، فإنهم مقرون بخطئهم، ولكنهم يحملون الشرطة نصيباً من الخطأ، وحسب المدينة ما قدمت من تضحيات فى هذا الحادث الأليم».

وكان الرئيس «جمال عبدالناصر» قد وصل إلى بورسعيد لمشاركة أهلها الاحتفال بعيد النصر فى ٢٣ ديسمبر، وكان يصحبه المشير «عبدالحكيم عامر»، ويقول «عصام الدين حسونة»:

ما أن استقر المشير «عبدالحكيم عامر» فى مكتبى بجوار الرئيس «جمال عبدالناصر» يوم ٢٣/١٢/١٩٦٤ حتى قلت له:

ـ سيادتك رئيس اتحاد كرة القدم، وأرجو أن تأذن لى بإعلان المدينة أن الاتحاد قد عفا عن النادى المصرى!!

أجاب المشير وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة يمازجها إمارات الدهشة:

ـ ولكنى رئيس الاتحاد، وليس من حقى أن أتخذ هذا القرار بمفردى، أعدك أن أدعو الاتحاد ليتخذ قراره فى الأمر!

علقت ضاحكاً: تكفينى موافقتك أما دعوة الاتحاد فهى مسألة لا تعنى أهل بورسعيد!

كان الرئيس يتابع حديثنا مبتسما ابتسامة تشى بموافقته على كلامى، وخرجت من المكتب لأذيع بين ممثلى المدينة أن اتحاد كرة القدم وعلى رأسه المشير «عبدالحكيم عامر» قد أصدر عفواً عن فريق الكرة للنادى المصرى!».

ويعلق عصام الدين حسونة فى نهاية سطوره بقوله:

«وأزعم أن المدينة استقبلت هذا الخبر بحماس لا يقل عن ذلك الذى استقبلت به إنشاء المنطقة الحرة»!!

❑

ومن أغرب وأعجب ما يرويه «منير حافظ» الرجل الثانى فى مكتب معلومات «جمال عبدالناصر» واقعتان فى غاية الإثارة.

كان «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر» يشتركان فى وقائع ما يرويه «منير حافظ» لكن دلالة ومغزى الحكايتين تفوق التصور.

الواقعة الأولى يرويها «منير حافظ»، وكما يقول فقد حدثت أمامه فى مارس ١٩٦٣ عندما أجريت مباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق وجرت على النحو التالى:

«كان تسجيل المباحثات يجرى فى غرفة بمكتب المعلومات بقصر القبة وفى حضور «سامى شرف»، و«محمد حسنين هيكل» والموظف القائم بعملية التسجيل، وأثناء الاستراحة دق فى الغرفة جرس التليفون الخاص بالزعيم الراحل الذى طلب هيكل ليكلمه، ولم أسمع طبعاً ما كان يقوله عبدالناصر، ولكن سمعت «هيكل» يرد:

ـ المناقشة كويسة جداً.. جداً، بس لو تعرف تسكت الـ «...» اللى جنبك؟

وكان المقصود بهذا الوصف المشير «عامر» الذى كان مشتركاً فى الجلسة، وكان قد استفاض فى مناقشة أمور فرعية حرفت المناقشة بعيداً عن المسار الذى يريده عبدالناصر. ولأن هيكل لم ينطق بشىء أمام عبدالناصر إلا إذا كان محسوباً بدقة، فقد فوجئت بهذا الوصف الذى أطلقه على المشير.

ولكننى فوجئت أكثر بأن هذه الجرأة من جانب «هيكل» لم تكن على غير هوى «عبدالناصر» بدليل أنه أجاب عليها بتعليق جعل «هيكل يطلق ضحكة طويلة مستمتعة»!

كانت هذه هى الواقعة الأولى، أما الواقعة الثانية فهى من جانب المشير وإن كانت أحداثها مختلفة، ويقول «منير حافظ»:

جرت القصة فى سهرة جمعت المشير ببعض أصفيائه وتساءل أحدهم عن رد فعل «عبدالناصر» لو أنه حضر ورآهم فى هذه السهرة، وعلق واحد من أتباع المشير قائلاً:

«ما تشوف لنا طريقة بقى «يا ريس»، وتخلصنا من الرعب اللى على دماغنا ده؟».

فزجره المشير قائلاً: بس يا ولد.. ما لكش دعوة بالكلام ده خالص!

ولكنه ـ أى المشير ـ قبل أن يقول هذا أطلق ضحكة طويلة جداً تدل على أن «الكلام ده لم يكن على غير هواه»!

والمغزى الذى يستخلصه «منير حافظ» يلخصه فى سطر واحد يقول: «كانت العلاقة بين الرجلين إذن قد تحولت من الصداقة الخالصة إلى المناورة والمداورة».

وباقى ملامح الصورة السياسية يرويها «أنور السادات» فيقول:

«انتهت سنة ٦٦ والصراع بين عبدالناصر وعامر على أشده فكل منهما متربص بالآخر وخاصة أن عامر كان كل يوم يوسع رقعة سلطاته. فعن طريق لجنة الإقطاع والتعلل بالثورة المضادة استطاع أن يضرب من يشاء وأن يعزل أو يبقى من يشاء فى مؤسسات الدولة وجميع مناصبها بما فى ذلك النوادى الرياضية بل إن شكاوى الهيئات العامة أو الأفراد كانت تحال إلى القوات المسلحة للنظر فيها وحلها حسب ما يتراءى لها.. وهكذا تراكمت السلطات فى يد عامر حتى أصبح الآمر الناهى والمتحكم فى مصير الناس وفى كل ما يتعلق بالبلد من أحداث».

ثم يروى «السادات» كيف أنه ذهب لزيارة «جمال عبدالناصر» يوم جمعة فى فبراير ١٩٦٧، وكان عبدالناصر حزينا مهموماً وسأله السادات:

مالك شايل الدنيا على دماغك ليه يا جمال؟ واضح أنك شايل الدنيا على دماغك!

قال: أيوه.. فعلاً أنا شايل الدنيا على دماغى.. يا أنور البلد بتحكمها عصابة وأنا مستحيل أكمل بهذا الشكل.. أنى أبقى الرئيس المسئول واللى بيحكم هو عبدالحكيم وينفذ اللى عاوزه.. طيب أخرج أنا أحسن وأروح أقعد فى الاتحاد الاشتراكى.. ويتولى هو رياسة الجمهورية وأنا مستعد لأن أسأل عن الفترة اللى قعدتها لغاية ما حأخرج.. أجاوب عن أى شيء.

قلت له: مش معقول يا جمال تسيب رياسة الجمهورية وتقعد فى الاتحاد الاشتراكى عشان عبدالحكيم وأعوانه يحكموا مصر.. أنت عارف أن عبدالحكيم أسوأ من يختار معاونيه. ولذلك أعتقد أنه أفضل شئ إنك تجيبه وتكلمه بينه وبينك وبالشكل ده ممكن توصلوا لحل مع بعض.

قال جمال: واللَّه الصورة سيئة يا أنور وأنا حاسس أن احنا داخلين على كارثة.

بعد ذلك ببضعة أيام ذهبت لزيارة عبدالناصر فقالوا لى إن عنده ضيفاً وانتظرت فى حجرة مكتبه إلى أن يخرج الضيف.. وبعد فترة جاء عبدالناصر وبادرنى: يا سيدى الحكاية كملت.. شمس بدران جاى لى دلوقتى بيطلب رسمى إن المشير يأخذ رئاسة الوزراء.. وحجته إيه؟ إن البلد بتشتكى.. مش عارف أن معظم الحاجات اللى بتشتكى منها الناس هى من تصرفاته وتصرفات أتباعه؟

قلت له: طيب أنت قلت إيه؟

قال: واللَّه أنا خدت الموضوع ببساطة.. قلت له أنا ما عنديش مانع.. قل له أنا موافق بس يترك القوات المسلحة وياخد رياسة الوزراء ـ أنا حلاقى مين يمسك الوزارة أحسن من عبدالحكيم؟

قلت له: أنا ما زلت عند رأيى إنك تقابله وتتكلموا مع بعض وأنت عارف طبعاً أنه يقبل منك ما لا يقبله من أى شخص آخر، بالشكل ده ممكن الموضوع يتلم والمسائل تتحل.

عبدالناصر قال: لا يا أنور.. العملية ماشية فى اتجاه غلط..

طبعاً كان رد عامر على رسالة عبدالناصر بالنسبة لرئاسة الوزارة هو الصمت فهو يعتبر القوات المسلحة مكانه الطبيعى ولا يمكن أن يتخلى عنها لأى سبب من الأسباب فهى مركز القوة الأول».

❑

برجوع المشير وإحساس المرارة يغالبه من سوريا عقب فشل وانفصام دولة الوحدة فى نهاية عام ١٩٦١ تكون فى مصر معسكران متناحران، الأول على رأسه جمال عبدالناصر والثانى هو معسكر المشير والذى كان يرى أن الرئيس عبدالناصر وتصرفات «عبدالحميد السراج» هما المسئولان عن سقوط دولة الوحدة وأن الرئيس عبدالناصر كعادته ينتهج منهج إلصاق الفشل بالآخرين وبالتالى حرقهم كأدوات وأوراق فى اللعبة السياسية.

وأن أحد أساليب حرق شخصية المشير كان يتمثل فى استغلال قصة زواج المشير «عامر» من الفنانة «برلنتى عبدالحميد»!!.. والتى كان رواة القصة من فريق الرئيس عبدالناصر هم الأعلى صوتا فى تصويرها بالشكل الذى استقرت عليه فى الأذهان والذى ربما كان يناقض الحقيقة.

حياة المشير.. محمد عبدالحكيم عامر

4

الـرئـيـس والـزواج الـثـانـى للمشير عامر

دار الخيّـــال

تزوج «عبدالحكيم» من «برلنتى»!

سطر قصير لا يثير شهية أى إنسان لمعرفة قصة هذا الزواج!

لكن عندما يصبح «عبدالحكيم» هو نفسه المشير «عبدالحكيم عامر» الرجل الأول مكرر فى مصر ونائب رئيس الجمهورية، تصبح قصة هذا الزواج مادة للهمس واللمز والشائعات والقيل والقال!.. وعندما تصبح «برلنتى» هى نفسها الفنانة المعروفة «برلنتى عبدالحميد» يصبح للقصة هنا أبعاد وزوايا وخفايا وكواليس وأيضاً دهاليز!

فى كل وقت وزمان فإن زواج أى إنسان أو حتى طلاقه مسألة خاصة لا تهم إلا أصحاب الشأن! إلا فى حالة زواج الأسماء اللامعة فى كل المجالات!

ولم يكن المشير «عبدالحكيم عامر» مجرد اسم لامع بل كان الرجل الأول مكرر فى مصر، وصاحب عشرات المناصب المهمة تنفيذية وغير تنفيذية!

ورغم خطورة وأهمية مكان ومكانة «المشير عامر» فإن قصة زواجه العرفى من السيدة برلنتى عبدالحميد طغى على كل ما عداه من موضوعات!.. وأصبح زواج المشير هو القضية التى تشغل بال كل الناس، وتحولت من قضية خاصة إلى قضية عامة، ومن موضوع اجتماعى إلى موضوع سياسى!

واللافت للنظر فى أمر هذا الزواج أنه تحول بمرور الوقت إلى سلاح سياسى فى الحرب العبثية التى تدور رحاها منذ سنوات حول هزيمة يونيو ٦٧ ومن هو المسئول

الأول والمباشر عن هذه الهزيمة؟!.. هل كانت القيادة السياسية وعلى رأسها «جمال عبدالناصر» هى المسئول عن الهزيمة؟!..أم كانت القيادة العسكرية وعلى رأسها «عبدالحكيم عامر» هى المسئول عن الهزيمة؟

وقبل الإجابة على هذه الأسئلة التى لا تزال تشغل البال وتؤرق العقل حتى اليوم - لأنها ظلت أسئلة معلقة بلا إجابات - لا بد من إعادة فتح ملف زواج المشير عامر والسيدة «برلنتى»!!

لقد بدأت القصة بين المشير وبرلنتى قبل الهزيمة بسنوات وظلت القصة ساخنة بعد الهزيمة وحتى الآن!

ولا أحد يعرف على وجه اليقين متى بدأت القصة؟!

وبدلاً من اللّف والدوران وفتح المندل وقراءة الفنجان فلنستمع إلى شهادة السيدة «برلنتى عبدالحميد» الزوجة الثانية للمشير.

لقد حوربت السيدة برلنتى بقسوة وضراوة لا مثيل لها، وخاضت حرباً شرسة على صفحات الجرائد والمجلات لتدافع عن زواجها وأيضاً عن زوجها الإنسان والمشير عامر، وبعد خمس وعشرين سنة من وفاة المشير ظهرت «مذكرات برلنتى عبدالحميد» إلى النور فى ٤٣٠ صفحة.

تحكى «برلنتى» عن سنوات طفولتها وحلقات الذّكر التى تعقد فى بيت جدها العالم المتصوف «الشيخ محمد حسن على حواس» من مشايخ الطرق الخليلية والتحاقها بالمدرسة الثانوية واحتياجها لمدرس يساعدها على فهم الدروس وشرحها، هذا المدرس هو «مصطفى هيكل» الذى كان عمه هو الدكتور حسين هيكل باشا الأديب الكبير ورئيس مجلس الشيوخ قبل الثورة، واعتراف برلنتى بأنها منذ الدرس الأول معه استولى على مشاعرها وحسب قولها «استطاع بشخصيته المتميزة أن يحرك عقلى للتفكير ويحرك قلبى أيضاً. ومنه عرفت لأول مرة ما هى الماركسية، وظلت علاقتى به عدة سنوات ظل خلالها يغذى عقلى بالثقافة، وتطورت علاقتى فأصبح اللقاء لا يتم فقط فى بيتنا وإنما تعداه إلى لقاءات خارج البيت، وكان أكثرها يتم فى حديقة الأزبكية، وفى تلك الفترة عرفت أسماء كثير من الأدباء والمفكرين: جوركى، ديستوفسكى، تولستوى، سومرست موم، بلزاك، فرويد، يونج، وماركس»!

وتروى «برلنتى» كيف طلب منها «هيكل» ذات يوم أن تحمل حقيبة بداخلها منشورات لكنها فشلت فى المهمة، وقال لها: أنت ما تنفعيش خالص، بالشكل ده البوليس حايقبض عليك حتى لو مكانش عارف عنك حاجة!

وتستطرد السيدة برلنتى: «بعد تجربة المنشورات بدأ سلوكه معى يتسم بالعاطفة وكأنما هو لم يعد يدخرنى للنضال وإنما ادخرنى للزواج وصارحنى بذلك واتفقنا عليه». وهكذا بعد أن أتمت برلنتى دراستها الثانوية أشار عليها «مصطفى هيكل» بالالتحاق بالمعهد العالى للفنون المسرحية، واختار لها قسم النقد، وكانت قد نشرت مقالات فى مجلات فنية مثل أهل الفن، ودنيا الفن، فقد كانت برلنتى تتمنى أن تكون كاتبة أو صحفية!

وعندما رآها زكى طليمات عميد المعهد قال لها: «نحن نحتاج إليك فى قسم التمثيل»! وحسب كلامها «بدأ نجمى يضئ بسرعة الصاروخ وكنت أحصل على بطولات سينمائية رغم أنى كنت ما زلت طالبة فى المعهد».

أما هيكل فإنه صرح لى فى يوم من الأيام بأنه ينوى السفر إلى الخارج للدراسة وأدركت أن الدراسة لم تكن هى الدافع وإنما الهروب بنفسه من الهلاك بعد أن رأى زملاءه يؤخذون الواحد بعد الآخر إلى المعتقل، ورغم إدراكى لهذه الحقيقة أو استنتاجى لها فإننا لم نتحدث عنها فيما بيننا.. وبعد سنوات من سفره إلى باريس وصلنى منه خطاب يدعونى فيه إلى اللحاق به فى باريس للزواج والحياة هناك. لأنه قرر الهجرة وما كنت أستطيع ترك والدتى وأخوتى للعيش بالخارج إلى الأبد، فقد كنت فى ذلك الوقت مسئولة عن رعاية إخوتى..

وفى خضم عملى السينمائى والإذاعى والمسرحى، وبعد أن أصبحت نجمة فى وقت قصير تعرفت بعدد من الصحفيين والمثقفين والكتاب المميزين. مما جعلنى أشعر أنى فى حاجة إلى مزيد من الاطلاع. وكنا نجتمع كل خميس بمنزلى وأنا فى غاية الشوق لرؤيتهم والاستمتاع بأفكارهم الفنية دائماً وبما قرأوه، وكان من المترددين على ندوة الخميس أحمد بهاء الدين، أنيس منصور، نجاح عمر، وزوجها محمود المراغى، عدلى فهيم، حجازى، مهجة عثمان، وكثيرون ممن تفخر الحياة الثقافية بهم. وبالرغم من المكاسب المادية والشهرة فقد كنت أشعر بوحدة قاتلة، وأن شيئاً ما ينقصنى وللأسف لا أعرف ما هو!

واتسعت الدائرة عن طريق عملى واختلطت بالأجانب من الفنانين والفنيين، واستمتعت بأن أكون مضيفة لهم فى بلدى، وعرف عنى هذا فكانوا يقصدوننى مباشرة، واطلقوا على اسم «برلنتى عبدالنيل». وكانوا يقولون إنى أشعرهم بأننى سفيرة لمصر عندهم.

وتمضى حياتى على هذه الوتيرة، الوقوف أمام الكاميرات، وندوة الخميس، وتلبية دعوات السفارات، ثم الانفراد بنفسى، وحيرتى فى نهاية المطاف.. هكذا كانت حياتى فى أواخر عام سنة ١٩٦٠، وكنت أتعرض لنقلات فجائية، أبرز ما فيها، أنى لا أختارها ولا أسعى إليها!

وفى ذات ليلة كنت مدعوة إلى حفل أقامه مستر باتل - سفير الهند فى منزله بالزمالك - تكريما لقنصل أمريكا فى القاهرة، وكان الحفل يبدأ فى الساعة الثامنة والنصف، ولكن نظراً لانشغالى بالتصوير فى أحد الأفلام فقد ذهبت بالماكياج، وحال دخولى هلل كثير من معارفى من الأجانب فى حفاوة وود، وهم يهتفون بى مرحبين «هالو... «برلنتى عبدالنيل».

ولم يمض وقت طويل حتى تألفت حولى حلقة من السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسى، وأصبحت هى الحلقة الرئيسية فى حفل السفير المقام بحديقة منزله. وفيما نحن نتبادل الأحاديث، والفكاهات السارة، أحسست برجل يقف خلفى ويزاحم الرجل الواقف بجوارى، كان يضغط عليه - وكأنه فى أوتوبيس مزدحم - ليحتل مكانه، ثم دفعه بقوة دفعة أزاحته عن مكانه، وأصبح بعدها الرجل الواقف خلفى، واقفاً بجوارى، وفى غمرة دهشتى من هذا السلوك مال الرجل على أذنى حتى أصبح فمه فى أذنى مباشرة وقال لى هامساً: «أنا فلان الفلانى.. (مخابرات)»!!

روت برلنتى فى مذكراتها كيف التقت بـ «صلاح بدر» مدير المخابرات الحربية الذى طلب منها كتابة تقرير عن أى شئ تسمعه؟! ثم قصة زيارة اثنين من المخابرات بصحبة كاتبة دينية معروفة لبيتها وكان أحد الرجلين هو «صلاح نصر» مدير المخابرات الذى قال لها ستكونين فى أمان تحت رعايتنا.. فقالت له: أنا لا أصلح لمثل هذه المهمة!

ثم تروى برلنتى قصة انضمامها إلى التنظيم الطليعى عن طريق إحدى صديقاتها التى تعمل صحفية، وفى الموعد المحدد للاجتماع ذهبت برلنتى وجلست فى مؤخرة المكان وفجأة وصل «عبدالحكيم عامر»!

تكلم «عبدالحكيم عامر» ثم تحدث عدد آخر وأخيراً تقدمت برلنتى تطلب الكلمة. فطلبت الأمان حتى لا تخرج من الاجتماع إلى المجهول!

وذات مساء اتصل بها «صلاح نصر» ليخبرها أن المشير عامر أمر بالتحقيق فيما أثارته أمامه قبل أيام، وبعد ذلك قام «صلاح نصر» بزيارتها فى منزلها وأخبرها بأنه يريد أن تأتى معه، والمشير يريد أن يتحدث معك!

وذهبت برلنتى للقاء المشير وكان كلاما وحوارا ومناقشات ثم اتصالات تليفونية، وإعجابا متبادلاً، واختبارات لها ثم قرار الزواج!

ونستكمل ما جرى عبر مذكرات «برلنتى عبدالحميد» نفسها، وحسب كلماتها وحروفها وسطورها تقول:

«وجاء يوم الخطبة فأعد متولى ـ سكرتير المشير ـ الطعام والحلوى وما إلى ذلك. ثم جاء عبدالحكيم كان يفيض حيوية وبشراً ومرحاً.. وبدا أنيقاً مهندماً. وفى صحبته شقيقاه ورجلان آخران هما فى الغالب، من حراسه..

وفى منتصف السهرة فاجأنى بأن قدم لى سواراً ذهبياً بسيطاً، وكنت أتزين بطقم من الذهب المرصع بالماس اشتريته منذ سنوات، مؤلف من بروش وحلقين وأسورة وعقد وخاتم، فلما ألبسنى عبدالحكيم سواره الذهبى بدا فقيراً منطفئاً بجوار الطقم المرصع بالماس، واضطرنى ذلك إلى خلع طاقمى والاكتفاء بهديته التى أبقيتها فى يدى، دبلة وسوار ذهبى متواضع هى كل شبكتى أنا نجمة السينما.

سار التلاقى بعد الخطبة تليفونياً، وعلى غير ميعاد.. ومن مكان غير معروف يعجز خيالى عن تصور ما هو ولا أين هو، وأصبحت هذه المحادثات تقربنى من عبدالحكيم لما كشفته لى من جوانب هذه الروح الطيبة، المليئة بالرجولة، وسعة الأفق، والحب الغامر للناس. وقد حملت هذه المكالمات إلى أذنى شيئاً أحبه فى الرجل، هو الصوت ووقعه فى أذنى. كان صوته تأنس إليه النفس، فيه دفء أبوى، نقى تتفتح له القلوب، كنت أجد الجرأة على نقده، وكان ببساطة وسعة صدر يتقبل النقد، بل ويعترف بالخطأ، ويعتذر إذا وجب الاعتذار، وكان أحياناً يقطع المحادثة فجأة قائلاً: «سأكلمك بعد قليل ولم يكن يرد على سؤالى، لماذا، أو أين أنت الآن؟»

أصبح عامر بعد ذلك يوجه لى الملاحظات الكثيرة الخاصة بثيابى الضيقة، وأكتافى العارية، وكنت أستجيب راضية دون أن يأمرنى.. فقد كانت له طباع المروِّضين..

كانت هناك تعاقدات لأعمال فنية فأتممتها. ولم أتعاقد على شئ جديد.

والحقيقة أننى فى هذه الفترة لم أكن أستعجل الزواج فكل ما كان يتملكنى هو شعور بالسعادة فى تواجده معى بصرف النظر عن كوننا رجلاً وامرأة.

وكانت بداية هذا الشعور الذى استبد بى واستفحل عندى، هو فى تلك الليلة الحالمة بكنج مريوط والتى قال لى فيها: اصبرى..كانت ليلة من الليالى النادرة التى ننتزعها من براثن المهام والمشاغل و«دواعى الأمن». ولا أنكر أنى فى ليلتى هذه.. همت به هياماً، ويبدو أن دلالاً أنثوياً بدر منى وترامى عليه.. لكن عامر أيقظنى من نشوتى حين نظر فى عينى طويلاً ثم ربت على ظهرى قائلاً بغموض: لا بأس اصبرى ثم صمت طويلاً وقال وعلى شفتيه ابتسامة «يمكن تقولى أنى راجل فلاح متخلف، لكن بصراحة كده أنا راجل باركب طائرات وغواصات وعرضة أن أموت فى أى وقت، واللى زيى ما ينساش ربنا». بدأ عقلى يفيق، وأنا أتأمل كلماته.

وكان «عبدالحكيم عامر» يبدى لى الحب، ولكنه لم يبد لى هياماً قط، ولم تظهر منه بوادر رغبة من رغبات الرجال، فهو دائم الحديث عن الأخلاق، حريص على الصوم والصلاة.

تناسيت يوم الزفاف، ولم أعد أسمح له بأن يراود خيالى، إلى أن جاء يوم فوجئت فيه بوالدتى، ومتولى يدخلان علىَّ شقتى بالعجوزة.. كان وجه أمى يبدو جاداً بصورة أثارت قلقى، وزاد توجسى حين قالت باقتضاب «ارتدى ملابسك».. سألتها بدهشة «لماذا؟».

أجابت: «الدكتور سيحضر الآن».

قلت دون وعى «الآن؟.. لماذا؟».

قالت أمى فى دهشة من سؤالى: «إنه خطيبك، ويريد أن يأتى لزيارتك أليس من حقه؟» أحسست بأنها تعلم شيئا وتخفيه عنى، وقد أثار هذا هواجسى، فلعل «إجراءات الأمن» وراء هذه الزيارة، وعبثا حاولت أن أعرف شيئاً من والدتى..

ثم جاء المشير.. دخل علينا بوجهه البشوش، ووراءه على شفيق، واختص أمى بملاطفاته وأحاديثه المرحة وبعد أن أمضى لحظات على هذه الحال، وجم، ثم قال:

ـ أظن كفاية بقى لعب عيال.. مسألة الخروج والسفارات والتمثيل، مفيش خروج خالص، ومش عايز شغل.

قلت: معنى ذلك أن أمكث فى البيت فلا خروج، ولا عمل.. ماذا أصنع إذن؟

قال: «تفعلين كما تفعل كل زوجة.. تستقر فى بيتها.. وقد انتظرت حتى تنتهى الأعمال التى تعاقدت عليها، والحمد لله قد انتهت فلا عقود جديدة بعد ذلك».

واصلت حوارى ومعارضتى وقلت: «لكن مسرحية العش الهادئ لم تنته بعد.. وليس من المعقول أن أتركها».

قال: كم يوماً تحتاجين؟!

فقلت: حوالى أسبوعين!

قال: إذن الزواج بعد أسبوعين.. وبعد الزواج لا خروج إلا بإذن منى!

ثم تروى السيدة «برلنتى» كيف أن المشير طلب من والدتها أن تجمع كل ملابسها وتضعها فى حقيبة، وقام بتمزيق صورها الفوتوغرافية!

كانت برلنتى غاضبة من تصرف المشير فقالت له بدهشة:

ـ أنت تبدو لى اليوم رجلاً صعيدياً تماماً.. إننى لم أرك من قبل بهذه الصورة؟!

وكانت إجابة المشير: لأننى لم أكن زوجاً لك من قبل!

وأخيراً جاءت ليلة العمر!. واستعدت «برلنتى عبدالحميد» للحظة العمر وارتدت كما تقول «ثوبا أبيض طويل الأكام مقفول الصدر وحذاء أبيض» أما المشير فكان بحسب كلامها أيضاً «يبدو عريساً بحق، يأخذ العين بأناقته، ورشاقته، وسعادته التى تضئ وجهه وعينيه، كان الإشراق بادياً على كل شئ فيه».

وكان حاضراً من أسرة برلنتى وحسب شهادتها: «أمى، وأختى زهرة، وأخى الأصغر هشام، وخالتى الحاجة فتحية»، وكان هؤلاء هم كل معازيم العروسة!

وكان حاضراً مع المشير عامر كل من شقيقيه «حسن عامر ومصطفى عامر» ومعهما «أنور السادات» وسبقهم إلى الحضور «على شفيق» وأبو المعاطى.

ثم تصف «برلنتى» أحداث تلك الليلة بقولها: «تم عقد القران، ورأيت عبدالحكيم

عامر يطوى ورقة الـزواج فور الانتهاء من كتابتها وتـوقيعها ويضعها فى جيبه ثم يميل إلى الوراء مسنداً رأسه على حرف المقعد ماداً ساقيه، واسترخى».

عقد القران، ووزع الـشربات، وزاط المعازيم ـ وهم قلـيلون ـ وتألق الحفل بالـبهجة والفرحة، وواظبت أنا من ناحيتى على «التمثيل» فأخذت أروح وأغدو ضاحكة، أجامل الحاضرين، وانتهز المشير فرصة وقوفى بجانبه فى إحدى المرات، فهمس فى أذنى، قائلاً: «أعترف أنك ممثلة ممتازة.. بس عينيك بتقول إنك زعلانة».

كان المشير دقيق الملاحظـة ويملك شفافية القلب، فما انطلى عـليه تمثيلى، وأدرك ما أعانى فأصبح ينتهـز كل فرصة ليداعبنى بمثل قوله السابق. وعنـدما شارف الحفل نهايته قلت له هامسة «لماذا لا نقضى الليلة فى كنج مريوط؟» فأجاب على الفور «نحن ذاهبون فعلاً إليها». ثم نظر مبتسماً وعيناه تفيضان حباً.

وبالفـعل سافرنا إلى الإسـكندرية فى تلـك الليلة، وفى صـحبتنا والدتى وإخوتى، وعندما وصلنا إلى كـنج مريوط، ودخلت الفيللا، كان كل شىء فيهـا قد تغير، فحجرة نومى أنـيقة جديدة، وكل شـىء فى الفيللا قـد استبدل بغـيره أكثر جدة، ما عـدا حجرة الصالون.

ومن الأمور التى فوجئـت بها بعد الزواج، هو اكتشافى أن عبدالحـكيم عامر خجول للغاية.. ولـم يكن يعرف كيف يتعامل مع النساء، ولا يعرف تنسيق الحديث، وكان يقول لى «أنا راجل فـلاح.. وماليش أى علاقات.. تزوجـت وأنا صغير.. وطلعـت أمقت ما يغضب الله ـ واقبلينى أنت على هذه الصورة».

كان على عكس ما يـشاع عنه تماماً، فهو جاد، خجول، يحافـظ على الصلاة، وأشـهد أنى لم أره يدخن الحشيش، أو يشرب الخمر فى يوم من الأيام.

ولم يكن فى بيتنا فى كنج مريوط تلـيفون، فإذا أراد الرئيس رؤية المشـير فإنه إما أن يرسـل أنور الســادات أو يطلـب متولـى أو على شـفيـق فى استـراحة المشـير المواجـهة لاستراحة جمال عـبدالناصر، فيحمل أى منهـم الرسالة الشفهية إلينـا، والغريب أنى لم أطلب تركيب تليفون».

وقد مر الـعام الأول من زواجى ـ سـنة ١٩٦٣ ـ وأنا لا أجد مـا أفعله سـوى ممارسة الرياضة فى حديقة المنزل. ومع بداية سنة ١٩٦٤ حدث تغيير فى حياتى.. الحمل.

وعندما عرف عامر، كانت فرحته لا توصف، فأخذ يتكلم كثيراً عن الولد المنتظر.. وماذا نسميه؟ كما يحدث عادة بين الأزواج.

ويبدو أن القدر أبى لهذه الفرحة أن تتم، فأجهضها وأجهض معها الجنين!

ثم تمضى السيدة «برلنتى» لتروى ظروف حملها الجديد فتقول:

فى النصف الثانى من عام ١٩٦٦ شعرت بالحمل،وربما كان هذا الشعور، هو النسمة الندية فى هجير تلك الأيام، وقد شاركنى عبدالحكيم سعادتى بهذا النبأ حين زففته إليه وتحت وطأة ذكريات الحمل السابقة، راح يحذرنى من بذل أى مجهود، ويدعونى إلى العناية بصحتى، وربما كان هذا النبأ هو الشئ الوحيد الطيب، فى أيامه الأخيرة، الحافلة بالمؤامرات، والمكر، والخيانة، والقتل.

أصبحت أتنقل من مكان إلى مكان، وفى صحبة أناس لا أعرفهم، ويخيل إلىّ أننى أقمت خلال هذه الأشهر فى عشرة أماكن متفرقة فى جميع أنحاء القاهرة.

ومن مكان إلى مكان، ظلوا ينتقلون بى، إلى أن استقر بى المقام قبل الوضع بشهرين، فى فيللا بشارع الميرغنى بمصر الجديدة، وهى ملك لطبيب من أقرباء اللواء عصام خليل، وكانوا يأتون بوالدتى أحياناً لزيارتى.

كانت الطبيبة التى تباشرنى أثناء الحمل، هى الدكتورة إيزيس خليل شقيقة اللواء عصام خليل ، وفى هذه الفيللا اعتاد المشير أن يزورنى بين وقت وآخر، وكان أحياناً يلتقط لى صوراً فوتوغرافية وأنا حامل، ولما كنت لا أخرج، فإن الدكتورة إيزيس كانت تصر على أن أتمشى داخل البيت.. إلى أن جاءت ساعة الوضع، وتصادف أن اتصل المشير تليفونياً، فأخبرته الدكتورة إيزيس بأن وقت الوضع قد حان، فأخذ يتابع عملية الوضع بالتليفون كل ربع ساعة، وقد حدث الوضع أثناء إحدى مكالماته، وقالت له الدكتورة إيزيس: «مبروك.. جالك ولد».

ولم يمض وقت طويل حتى كان المشير بيننا، وحمل ولده «عمرو» وهو سعيد غاية السعادة، ثم أرقده على السرير، وأخرج بطارية رفيعة، أضاءها ونظر بها فى عينى الطفل، وفى أذنيه، بل وراح يفحص كل بقعة فى جسده، وصاح عندما رأى «الوحمة» فى فخذ عمرو الشمال: «اللّه دى الوحمة بتاعتى» ثم يقول لى: «أهه شوفى»! وكان يعلق أثناء فحصة لعمرو «العينين دول عينيا» ـ الودان دى ماركة مسجلة فى العيلة.. دا فيه ملامح من أبى» وهكذا..

وفى تلك الأثناء، دخلت والدتى، ولما رأته يسلط ضوء البطارية إلى عينى «عمرو» قالت له مستنكرة: «لماذا تفعل ذلك.. إنه حرام.. لا يصح أن تضع الضوء فى عينيه هكذا، فقد يضر بصره».

واستمع «عبدالحكيم» إلى كلامها، فأطفأ البطارية، ثم حمله قليلا، وهو ظاهر السعادة والسرور، وقد أقمنا «السبوع» احتفالا بالمولود الجديد.. وقد أقام السبوع عدد من النساء يتألف منى ومن زوجة اللواء «عصام خليل» وبناتها السبع، والدكتورة «إيزيس خليل»، ووالدتى وإخوتى.

ثم انتقلنا إلى منزلى بالهرم - لأول مرة منذ شهور - وواصلنا هناك احتفالنا، وانضم إلينا «المشير» و«صلاح نصر» و«عباس رضوان» و«عصام خليل»، واثنان من حرس «المشير» هما «متولى»، و«أبو المعاطى».

وبهذه المناسبة قدم «جمال عبدالناصر» هدية لعمرو، وكانت «ماشاءالله» بيضاوية الشكل، لها إطار من ذهب يحيط بلوح صغير أخضر كتبت عليه «ما شاء الله» وكنت أعلقها فى عربة «عمرو».

أما «صلاح نصر»، فقد قدم لى ميدالية ذهبية على هيئة مصحف، وأرسل «أنور السادات» قطعة موبيليا بها راديو، وجهاز تسجيل، وبيك أب، وهى ماركة «سابا» وجدتها فى الصالون عند عودتى إلى البيت، وكانت تنبعث منها الموسيقى، وعدت إلى الحياة الطبيعية فى منزلى بالهرم، وخرجت من هذه الدوامة التى لم أفهم أسبابها. ولكن بعد الخروج ببضعة أسابيع، انتاب الحياة العامة نوع من الحمى، ففى أوائل شهر مايو من عام ١٩٦٧ بدأ الحديث فى الصحف، ووكالات الأنباء عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية».

انتهى أبرز وأهم ما جاء فى مذكرات «برلنتى» حول واقعة الزواج، والمؤكد فى كلامها أنها تزوجت «المشير» وأنها أنجبت منه ابنها «عمرو». وأن الزواج لم يكن سراً خافيا على الرئيس عبدالناصر أو أنور السادات.

❑

والآن إلى شهادة مهمة، وأهميتها تنبع من قائلها، وقائلها ظل بجوار المشير عامر منذ عام ١٩٥٤ وحتى أغسطس ١٩٦٧.

إنها شهادة «محمد متولى» سكرتير المشير وحارسه الخاص وكاتم أسراره وظله طوال ١٣ سنة.. شهادة سكرتير المشير حملت اسم «القصة الحقيقية: برلنتى والمشير» وسجلها بقلمه الكاتب الصحافى «سيد زهران».

شهادة سكرتير المشير جاءت على النحو التالى حرفياً:

«عاد المشير عامر من سوريا فى صيف عام ١٩٦١ ممزقا نفسيا ومحبطاً معنوياً وعزل نفسه عن العالم من حوله وفرض ستار العزلة حول نفسه وهو يعانى مرارة طعم الخيانة التى غص بها حلقه، طيلة شهور هو معتكف فى منزله وكلما تخيل مشاهد ضباط الانفصال عاوده الشعور باليأس.. حاول المحيطون بالمشير انتشاله من عزلته ورفع الحصار عنه دون جدوى.. حاول الرئيس «جمال عبدالناصر» ولم تفلح محاولاته وحاول صلاح نصر مدير المخابرات العامة ولم تفلح محاولاته لحين.. وفى نهاية عام ١٩٦٢ وعلى مشارف ليالى الشتاء المظلمة الطويلة نجح صلاح نصر فى إقناع المشير بالخروج من شرنقة العزلة وفك الحصار عن نفسه.

«فى البداية لاحظت تكرار خروج المشير بصحبة صلاح نصر على غير العادة على فترات متباعدة وفى أوقاف متأخرة من الليل.. وفى كل مرة ينصحنى المشير قبل خروجه إلى المجهول بأن أظل فى مكتبى لا أغادره إلى أن يعود.. وفى العادة لم أكن أترك المشير إلا بعد أن أطمئن إلى أنه قرأ بريده اليومى وأطفأ أنوار غرفة نومه.. فلقد كانت عادته قراءة البريد اليومى والصحف والمجلات العالمية والمحلية فى وقت متأخر قبل أن يذهب للنوم.. ولاحظت ظهور ملامح الارتياح والهدوء النفسى على المشير مع عودته بعد كل خروج مع صلاح نصر أو عباس رضوان أو على شفيق وكلهم من المقربين له. وكان من عادة «المشير» ألا يخرج إلا بعد أن يعود من منزل الرئيس «عبدالناصر» فى وقت متأخر من الليل وبعد أن يفرغ من مقابلاته، وكان «المشير» يشدد علىّ فى كل مرة يخرج فيها:

- «إذا طلبنى الرئيس فلا تخبره بخروجى وإنما قل له أننى مع أبنائى فى الطابق العلوى أو نائم».

وكان من عادة الرئيس «عبدالناصر» ألا يطلب «المشير» فى وقت متأخر من الليل إلا فى حالات نادرة جداً.

ـ لم أكن أجرؤ على سؤال «المشير» عن وجهة خروجه.. وأنا أعلم مدى الثقة التى يكنها لى خلال ارتباطى بالعمل معه من أول يوم لقيام ثورة يوليو.

وفى أوائل عام ١٩٦٣ وفى مساء أحد الأيام جاء صلاح نصر لزيارة «المشير» وبعد دقائق خرجا معاً فى السيارة الفيات الصغيرة ١٥٠٠ المعدلة للسيارة ١٣٠٠ وهى السيارة التى خصصها «صلاح نصر» لتنقلات «المشير» غير الرسمية حيث كان المشير لا يستخدم السيارة الكاديلاك سوى فى الرسميات الكبرى. ولا يحب المظهريات ولا يرتبط بالبروتوكول.

ولاحظت أن المشير بدأت تظهر عليه علامات الاهتمام بالمظهر أكثر مما هو معتاد... وفى تلك الليلة جاءنى صوت «المشير» ليقطع حبال الشك والحيرة التى تكاد تلتف حول عنقى قائلا عبر أسلاك التليفون:

«يا متولى احضر ومعك على شفيق إلى المكان الذى يعرفه لأن السيارة «معطلة» وكانت المرة الأولى والأخيرة التى تكلم فيها «المشير» بالتليفون من فيللا الهرم».

واتصلت فوراً بـ «على شفيق» فى شقته بجاردن سيتى وحضر مسرعا وتوجهنا معاً إلى حيث المكان المجهول حيث هناك «المشير».. وصلنا نهاية طريق الهرم ولأول مرة فى حياتى أرى الفيللا الواقعة خلف كازينو «التورنج» وبعد دقائق خرج «المشير» واستقل سيارة «على شفيق».

وفى حديقة الفيللا كان الضوء خافتا والسكون يلقى ظلاله على المكان وبين أغصان الشجر لمحت سيدة ترتدى بنطلوناً وبلوزة.. وجاءت حتى السيارة لتودع «المشير»...

التفت «المشير» ليقول لى: «فردة الكاوتش نامت» وقلت: «سأقوم باستبدالها» ورد المشير: احضر إلىّ بعد أن تنتهى من استبدالها.

انطلقت السيارة بالمشير وبقيت وحدى لاستبدال كاوتش السيارة وساعدنى بواب الفيللا «إسحق» وعدت إلى منزل «المشير» بالجيزة.

«عدت إلى منزل «المشير عامر» وذهنى يشتعل بالتساؤلات.. وعلمت من الحراس أن «المشير» فى غرفة نومه وفى انتظارى.. صعدت إليه وجدته جالساً خلف مكتب صغير مرتديا (البيجاما والروب) ويطالع بعض الأوراق وقبل أن أتفوه بكلمة واحدة.. بادرنى «المشير» قائلا:

«ثقتى بك مطلقة.. وكن عند ثقتى ولا تتكلم عما رأيته أو سمعته الليلة مع أى مخلوق على وجه الأرض خصوصاً المدام.. زوجتى».

ووعدت «المشير» تأكيداً لثقته فى كتمان أسراره ولكننى غرقت فى بحر من الحيرة لا قرار له. فماذا أنا فاعل إزاء هذا السر الغريب على شخصية «المشير» وطباعه؟

من ناحيتها ـ رحمها الله ـ كانت زوجة «المشير» السيد الفاضلة «زينب» دائمة السؤال عنه ولا تمل من سيل الأسئلة لتعرف كل شىء عن تحركاته وتأخره ليلاً وخاصة بعد ظهور اهتمامات ومظاهر جديدة على المشير أطلقت العنان للشكوك، وكانت تثق أننى أعرف كل شىء عن خفايا «المشير».. وهى لا تدرى أننى مثلها فى تلك اللحظة لا أدري شيئاً.. وبذلت قصارى جهدى للتهرب من حصار أسئلتها.

وكان «المشير عبدالحكيم عامر» حريصاً على كتمان أمر علاقته مع السيدة «برلنتى عبدالحميد» وحين يزورها كان يشار إليه ـ إمعانا فى السرية والتخفى ـ بلقب الدكتور، وكان يشار إليها بالاسم الكودى «أبلة بله».

وفى بداية علاقة «المشير» مع «برلنتى» لم يكن يعلم بأمر هذه العلاقة سوى مجموعة قليلة موضع ثقة «المشير» وهم: «صلاح نصر» و«عباس رضوان» و«على شفيق» و«عبدالمنعم أبو زيد» ومع تعدد الزيارات اتسعت الدائرة لتشمل المهندس «حسن عامر» شقيق «المشير»، وأخاه مصطفى عامر الذى كنا ندعى أمام الجميع أنه زوج «برلنتى» إمعاناً فى السرية، و«عبدالمنعم عامر» ابن عم «المشير» والملحق الثقافى المصرى فى «بون» وقتها، و«أنور السادات».

وصار «السادات» جليس «المشير» ونديمه ورفيقه فى رحلاته إلى سوريا أيام الوحدة وإلى اليمن أيام مساندة الجيش المصرى للثورة ضد حكم الإمام. ومن دلائل ثقة «المشير» فى «السادات» أنه كان الشخص الوحيد الذى يمنحه مفتاح فيللا الهرم فى فترات غيابه خارج مصر، وفى تلك الأثناء كانت «برلنتى» تذهب للإقامة عند والدتها أو فى شقتها بالعجوزة، وهى الشقة التى استأجرها لها «المشير».

وهكذا اتسعت دائرة الذين عرفوا سر الفيللا وأبلة بله، وانضم إليهم اللواء طيار «عصام الدين خليل» صديق «المشير» ومدير مكتبه ورئيس مخابرات سلاح الطيران ورئيس مكتب الخبراء الأجانب ورئيس الهيئة العربية للتصنيع.

ومن جانب السيدة «برلنتى عبدالحميد» كانت والدتها السيدة «سيدة إسماعيل فراج» وشقيقتها الصغرى «زهرة عبدالحميد» تعرفان تلك العلاقة وأقامت «زهرة» مع «برلنتى» بصفة دائمة بعد طلاقها من زوجها الأول وكان يعمل كاتب محامى.

وفيلـلا الهرم كانت مملوكة لتاجر عربى بحى الموسكى واستأجرها «على شفيق» سكرتير «المشير» العسكرى فى نهاية عام ١٩٦٢ تحت دعوى أنها لخبير أجنبى، وتحرر عقد الإيجار باسم «ممدوح إبراهيم البربرى» وهو موظف يمت بصلة قرابة لـ « على شفيق» وكان أحد العاملين فى مكتب «المشير» وكانت قيمة إيجار الفيللا ٣٠ جنيها فى الشهر.

والفيللا مكونة من غرفتين وصالة فقط، غرفة كبيرة ملحق بها حمام خاص وغرفة صغيرة بجوار المطبخ وتتوسط الفيللا حديقة كبيرة مساحتها أكثر من فدانين مزروعة بأشجار الفاكهه ؛المانجو والليمون وعند المدخل الرئيسى للحديقة يوجد مبنى ملحق لسكنى البواب والخدم. بعد تأجير الفيللا من مالكها تم تأثيثها من محلات محمد الصيرفى تاجر الموبيليا، وكان الأثاث عبارة عن غرفة نوم وأنتريه ولكن الأثاث لم يعجب السيدة «برلنتى» وقامت بشراء صالون «إيبسون» فرنساوى قديم اشترته من شقة فى حى مصر الجديدة بمبلغ ألف جنيه وقامت بتغيير غرفة النوم بأخرى اشترتها من تاجر موبيليا بشارع هدى شعراوى بوسط القاهرة يدعى عبده عوض، وكنت مرافقا لها عند الشراء ونقلت غرفة نومها السابقة إلى غرفة شقيقتها زهرة التى جاءت لتقيم معها إقامة دائمة داخل فيللا الهرم بعد طلاقها من زوجها السابق كاتب المحامى.

ومن جانبه كان «المشير» لا يمل من تكرار تشديده علينا نحن العاملين فى مكتبه ـ أنا و«على شفيق» و«عبدالمنعم أبو زيد» ـ بألا نتحدث فى أى أمر من أمور العمل معه وهو فى فيللا الهرم مع «برلنتى» وألا نتحدث عن تلك العلاقة مع أى مخلوق.

وفى بداية العلاقة كان «المشير» يذهب إلى فيللا الهرم مع «صلاح نصر» و«عباس رضوان» ثم اقتصر خروجه وذهابه إلى الفيللا للقاء «برلنتى» وأنا برفقته ومعنا «على شفيق» أو «عبدالمنعم أبو زيد».. وكنا نتبادل نحن الثلاثة الخروج مع «المشير» ويبقى أحدنا فى مكتب «المشير» بمنزله للرد على المكالمات التليفونية المهمة خاصة مكالمات الرئيس «عبدالناصر» وكان هناك خط تليفونى «خط ساخن» ربط بين مكتب الرئيس

«عبدالناصر» ومكتب «المشير عامر» بخلاف الخط الهاتفى العادى وعندما كان «المشير» يريد الذهاب إلى فيللا الهرم لا يحدث ذلك إلا بعد أن يفرغ من كل أعماله ويطمئن إلى أن الرئيس غادر مكتبه فى وقت متأخر من الليل، ولكن أحياناً كان الرئيس يتصل بـ «المشير» فى أوقات متأخرة للسؤال عن أمر أو إبلاغه تعليمات جديدة أو لمجرد الاطمئنان، وكانت تعليمات «المشير» لنا بأن يكون ردنا على الرئيس بأن «المشير» نائم أو فى الطابق الأعلى مع أبنائه أو فى الحمام هذا لو كان «المشير» هناك فى فيللا الهرم مع السيدة «برلنتى»، وكان قليلاً جداً ما يطلب الرئيس «المشير» فى مثل تلك الأوقات».

وبعيداً عن مئات التفاصيل الصغيرة يؤكد سكرتير «المشير»:

«كان «المشير» يبغض الحرام ملتزما بأخلاقه كرجل صعيدى، ولهذا حرر عقد زواج عرفى من «برلنتى» وأن شهود العقد: «صلاح نصر» والمهندس «حسن عامر» شقيق «المشير»، وفى مرحلة لاحقة علم بأمر هذا الزواج أخوهم «مصطفى عامر»، وكان العرف السائد بيننا نحن المقربين من «المشير» أن نقول بأن «برلنتى» زوجة «مصطفى عامر» أو «الدكتور» وكان «مصطفى» شديد الشبه بـ«المشير» وجر هذا التشابه على «المشير» الكثير من المتاعب وألصق به الكثير من الشائعات.

ولقد ظل عقد الزواج العرفى بحوزة «المشير» لم يعلم أحد مكانه حتى رحيله.

لم يعرف الرئيس «عبدالناصر» شيئاً عن علاقة «المشير عامر» بـ «برلنتى» إلا فى نهاية عام ١٩٦٥ وكانت صدمة المفاجأة عنيفة ومؤلمة، ولم يستطع الرئيس «عبدالناصر» أن يصدق من هول المفاجأة.. وأمر الرئيس «المشير» بأن يقطع علاقته وصلته مع «برلنتى» نهائياً وفوراً.

وطلب «المشير» من الرئيس أن يمهله بعض الوقت حتى يتوصل إلى طريقة يتخلص بها من «برلنتى» وبدأ «المشير» فعلا الإقلال من زياراته إلى فيللا الهرم.

ولكن الرئيس «عبدالناصر» من جانبه بدأ يراقب «المشير» بصفة شخصية، فلقد كان يدرك حجم الكارثة التى تهدد «المشير» إذا استمرت علاقته هذه مع «برلنتى» لأنه يرى أن مثل هذه العلاقات أو النزوات مدمرة لصاحبها، وخاصة إذا كان فى موقع مثل موقع «المشير» وبدأ «عبدالناصر» يثقل كاهل «المشير» بالمسئوليات ويشغل وقته ويستبقيه إلى جواره، وأصبح «المشير» يقضى معظم وقته بجوار «عبدالناصر» حتى ساعة متأخرة من الليل أو حتى ساعات الصباح الباكر.

ووجد «المشير» نفسه فى مأزق لا خروج منه إلا بتنفيذ أوامر «عبدالناصر» مهما كلفه الأمر.. وكان الرئيس قد كلف «صلاح نصر» بوضع حد حاسم ونهائى لعلاقة «المشير» و«برلنتى».

كان صلاح نصر أول من علم بأن برلنتى حامل وتعقد الموقف فماذا يفعل، الرئيس كلفه بإنهاء علاقة برلنتى و«المشير»، وها هى حامل من «المشير»، فماذا يفعل وهو يعلم صعوبة الأمر على «المشير» فى ظل الوضع الجديد.

وفى ظل تسارع خطى الأحداث فى المنطقة التى أصبحت أشبه ببركان يغلى تحت الأرض فى اللحظات التى تسبق انفجاره وإطلاقه حمم النيران والغضب، فى كل هذه الأجواء كان «المشير» غارقاً بجوار الرئيس «عبدالناصر» ولم يعد يزور «برلنتى» إلا نادراً.

من جانبها بدأت «برلنتى» تستفيد من هذا الموضوع، وبدأت تعلن زواجها من «المشير» وأنها حامل منه بكل الطرق والوسائل. حتى أقدمت على خطوة لا تتصف بالجرأة فقط. بل المغامرة وطبعت منشوراً مكتوباً على الآلة الكاتبة ووزعته على مجموعة منتقاة لإحداث ضجة.. وقد كان.

وفى أوائل عام ١٩٦٧ قررت «برلنتى» إشهار علاقتها بـ «المشير» سياسياً لكسر حاجز الصمت المفروض على هذا الزواج المهدد فى أى لحظة، ولجأت إلى كتابة منشور سياسى وهى كما قالت عن نفسها قد اكتسبت خبرة توزيع المنشورات من خطيبها الأول الماركسى مصطفى هيكل.

ووجدت «برلنتى» وسيلتها لكتابة المنشور إلى جوارها فى فيللا الهرم حيث توجد آلة كاتبة كنا قد أحضرناها عام ١٩٦٤ كرغبة «برلنتى» لتتدرب عليها شقيقتها زهرة الطالبة بالمدرسة الثانوية التجارية والتى تقيم معها بصفة دائمة ولأنه لا توجد مكاتب خاصة للتدريب على الآلة الكاتبة بالقرب من الفيللا وأحضرت الآلة الكاتبة بعد أن استعرتها من الرائد «عبدالسلام فهمى» رئيس السكرتارية الخاصة ومدير مكتب شكاوى «المشير» ونقلتها إلى فيللا الهرم وظلت هناك حتى أحداث عام ١٩٦٧.

وهكذا كتبت برلنتى منشورها الجرئ على الآلة الكاتبة وأعلنت فيه قصة زواجها من «المشير عامر» وأنها حامل منه وقامت بتوزيعه على مجموعة منتقاة بدقة وعناية من الشخصيات العامة وصل إليهم من خلال صندوق البريد، منهم «على عبداللطيف»

مسئول الاتحاد الاشتراكى بحى عابدين والناقد الفنى «حسن إمام عمر» والسيدة «سعاد القاضى» ومن خلال هؤلاء وغيرهم وصل المنشور إلى «على صبرى» و«سامى شرف» و«شعراوى جمعة» وزير الداخلية وأمين التنظيم الطليعى «طليعة الاشتراكيين» وهو التنظيم السياسى الخاص داخل الاتحاد الاشتراكى العربى ـ التنظيم السياسى لثورة يوليو.

وعندما وصل المنشور «منشور برلنتى» إلى «على عبداللطيف» أحد أعضاء التنظيم الطليعى أعلنه وسط أعضاء التنظيم وشاعت القصة حتى وصلت إلى وزير الداخلية شعراوى جمعة وكان «على عبداللطيف» أول ضحايا منشور «برلنتى»!

«كنا فى أوائل عام ١٩٦٧ وعلمت بحكاية منشور برلنتى وأبلغت «المشير» ولم يكن فى وسعه أن يفعل شيئاً والأحداث السياسية تتصاعد وتتأزم فى المنطقة، والتصعيد مستمر بين مصر وإسرائيل ويفرض على الرئيس «عبدالناصر» و«المشير عبدالحكيم عامر» نظاماً قاسياً فى العمل المتواصل الذى يبتلع كل وقتهما ولا يترك أى مساحة لهموم أخرى واضطر «المشير» إلى تأجيل أموره الشخصية وفى مقدمتها مشكلة السيدة «برلنتى» حتى وقعت هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧.

وسيطر حمل «برلنتى» على الاهتمام دون حسم علاقتها بالمنشور، وكانت فى شهور حملها الأخيرة، وبدأت أعراض الحمل والإرهاق تظهر عليها وطلبت من «المشير عامر» تدبير مكان سرى لولادتها، وزعمت أنها لا تأمن على نفسها وجنينها من احتمالات المستقبل الغامضة خاصة من محاولات «صلاح نصر» مدير المخابرات العامة، ولم يجد «المشير» بدأمن تلبية طلبها وكلفنى واللواء «عصام الدين خليل» بالبحث عن مكان غير معلوم لأحد وتأثيثه لبرلنتى حتى تضع مولودها، وبدأنا رحلة البحث حتى عثر اللواء «عصام الدين خليل» على فيللا مملوكة لمدير مكتبه الدكتور «على عطية» فى مصر الجديدة فى شارع الميرغنى وهى خالية وتصلح للغرض ووافق «المشير» على الفيللا وقمنا بإعدادها وتجهيزها بكافة المتطلبات الضرورية وكنا فى شهر مارس (آذار) عام ١٩٦٧ وبدأت برلنتى تنتقل إلى فيللا مصر الجديدة مع والدتها وشقيقتها زهرة ولم يعلم أحد بأمر هذه الفيللا.

من جانبها بدأت الدكتورة «إيزيس خليل» شقيقة اللواء «عصام الدين خليل» تشرف

على حالة «برلنتى» الصحية ومتابعتها فى شهور حملها الأخيرة وهى لا تدرى أن «برلنتى» زوجة «المشير عامر» فلقد أبلغها شقيقها أنها زوجة «مصطفى عامر» أخو «المشير».

بقيت «برلنتى» ووالدتها وشقيقتها «زهرة» شهراً فى فيلا مصر الجديدة والدكتورة «إيزيس» تتابعها بشكل دورى، وفى أوائل شهر أبريل عام ١٩٦٧ كان «المشير» قد سافر إلى باكستان فى زيارة رسمية وكلفنى بالبقاء فى القاهرة لمساعدة «برلنتى» ومتابعتها وتسجيل مولودها.

وظلت «الداية» تزور «برلنتى» فى فيللا مصر الجديدة أربعة أيام متتالية حتى يوم ٤ أبريل عندما وضعت «برلنتى» مولودها بمساعدة «الداية» ووالدتها وقمنا بإجراءات تسجيل المولود فى السجلات الرسمية بناء على تعليمات «المشير» وتم تسجيله باسم «عمرو محمد عبدالحكيم على» دون ذكر لقب الأسرة «عامر».

عاد «المشير» من باكستان واطمأن على مولوده من برلنتى «عمرو» وكلفنى بالتعاون مع «صلاح نصر» مدير المخابرات العامة فى بعض الأمور الخاصة بتسهيل مأموريات رسمية يطلبها منى واستفسرت من «المشير» عن الموضوع فقال بنبرة حزينة، برلنتى ووالدتها يتعرضان للرئيس «عبدالناصر» بالسب والقذف أمام بعض معارفهما، وبلغ ذلك مسامع الرئيس وطلب منى وضع حد لهذا التصرف فضلا عن لومه لعدم حسمى الموضوع كما وعدته».

وحسب ما يقول «محمد متولى» فإن زيارات «المشير «لبرلنتى» كانت نادرة وللحظات معدودة وتكاد تكون معدومة للاطمئنان على ابنه «عمرو»!.

بطبيعة الحال كان زواج «المشير عبدالحكيم عامر» الثانى من السيدة الفنانة «برلنتى عبدالحميد» سراً مكتوماً ومحجوباً عن أسرة المشير وأبنائه.

نجح «المشير» تماما فى إخفاء أمر هذا الزواج عن زوجته - وهو طبيعى - فهى رفيقة مشوار العمر وأم الأولاد والتى كانت محل تقديره واحترامه طوال سنوات عديدة. ولم تعرف أسرة «المشير» بأمر هذا الزواج إلا بعد هزيمة ١٩٦٧ وتداعياتها العديدة، والتى كان على رأسها تحديد إقامة «المشير» نفسه، وانتهاء العلاقة التاريخية بينه وبين الرئيس «عبدالناصر».

وحسب كلام أكبر أنجال «المشير عامر» وهو «جمال» من الزوجة الأولى قوله:

«هزنا خبر زواج أبى وإنجابه «عمرو» كما صدمت أمى صدمة كبيرة لأنها الزوجة والأم، وابنة العم وقد راعينا شعورها».

كانت مفاجأة مذهلة لأن «المشير عامر» أيضاً وحسب كلام ابنه الأكبر «إن أبى لم يجعلنا أبداً نشعر أن هناك شيئاً جديداً فى حياته».

لكن الأهم فى كلام «جمال» هو قوله بكبرياء شديد وشهامة ابن بلد:

«لم أشعر بأى ضيق لسماع هذا الخبر، وشعرت وقتها بحجم تضحيات أبى الكبيرة، فقد كان يحرم نفسه من كل شىء ومن أى متعة فى سبيل العمل وكان يجهد نفسه كثيراً».

ثم يضيف لما سبق قوله: «أنا لم أغضب من زواجه بل قدرت مشاعره وموقفه جيداً، ولكن ربما كان اختياره (زوجة فنانة) وهو الشخصية العامة المشهورة ذات التاريخ العسكرى هو الذى جعل البعض يستاء من تلك الزيجة وساعدت أعداءه على التشهير به».

ولا يعيب الرجل أن يتزوج. فالذى يعيبه بالفعل أن تكون له علاقات غير شرعية وهو ما كان مرفوضاً تماماً بالنسبة «للمشير»، ويكفى أن أبى كما قالت زوجته (السيدة برلنتى) هو الذى أصر أن يكون له أبناء منها، فهو رجل بمعنى الكلمة».

وعلاقتنا «بعمرو» شقيقى علاقة طيبة فهو أخى وأراه كثيراً، لقد احترمنا كلمة أبى وقراره ورغبته فى أن تكون السيدة «برلنتى» زوجة له، وهذا ابنه وشقيقنا منها، كما أن علاقتى بالسيدة «برلنتى» علاقة طيبة ويكفى أننا اعترفنا بالزواج فور معرفتنا بالخبر بعد وفاة أبى(!!) بالرغم من أن الزواج كان بعقد عرفى فقد كان يمكن التلاعب به ، إلا أننا جميعاً اعترفنا فوراً به وأعطينا شقيقنا «عمرو» ووالدته حقهما كاملاً من الميراث».

❑

من النادر أن نرى صورة فوتوغرافية منشورة للسيدة الفاضلة زوجة المشير عامر الأولى!.. وربما كان من المهم أن نقرأ عنها صورة بالكلمات يصوغها «محمد متولى» سكرتير «المشير» وحارسه الخاص ، حيث يقول:

«.. وزوجة «المشير» وأم أولاده هى رفيقة رحلة عمره وسنده أيام الكفاح قبيل

الثورة. عاشت معه وتحملت مشقة الحيـاة راضية قبل أن تعيش معـه أيام الحكم والمجد.
وقصة زواجها من المشير ترتبط بتقاليد صعيد مصر الراسخة. ففى قرية أسـطال التابعة لمحافظة المنيا حيث مسقـط رأس «المشير عامر» التى لـم يغادرها إلا بعد حصـوله على دراسته بمراحـلها حتى الثانـوية العامة ومجيئه إلى القاهرة لـلالتحاق بكليـة الزراعة ثم بالكلية الحربية، ولم تفارقه والدته وجاءت برفقته لتكون بجواره ترعى شئونه.

فور التخـرج «للمشير عـامر» من الكليـة الحربية سعت الـسيدة الفاضلـة والدته إلى تزويجه مـن إحدى قريباتها مـن قرية «قلوصنا» الـقريبة من أسطال وهـكذا كان زواجاً تقليديا فى سن مبكرة، وكانت زوجة «المـشير» وأم أولاده تمتلك بعض الأفدنة أصبحت مصدر عون لحياتهمـا فى بداية ارتباطهما وأنجب «المشير» كبرى بـناته السيدة «آمال» ثم السيدة «نجـيبة»، و«جمال» ثم «نـوال» وأصبح لديه أربعـة أطفال قبل قيـام الثورة ولولا مساعدة وعـون والدته له لما استطـاع تحمل أعباء الحيـاة ونفقات أسرته فضـلا عن إقامة والدته بجواره بعد زواج والده الحاج «على» (عمدة أسطال) بزوجة أخرى.

وبعد قـيام ثورة ٢٣ يوليو أنجـب «المشير» ثلاثة أبـناء هـم: «ناصر» الذى جـاء مولده عقب الثـورة مباشرة وأسماه ناصر تـفاؤلا بنجاح الثورة وتخـليدا لكلمة السـر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم «سوسن» وبعدها «صلاح».

وفضلا عن وقـوفها بجوار «المشيـر» وتحملها شظف العـيش كانت السيدة الـفاضلة زوجة «المشـير» مثالا للإخلاص والـتفانى والسـهر على رعايـة زوجها وخدمة أبنـائها، وكانت ربة منزل من الطراز الأول وقصارى أملها إسعاد أبنائها وتلبية مطالبهم والتفانى فى خـدمة زوجها وتـوفير سبـل الراحة له.. وعـندما تغـيرت الظروف بـقيت كمـا هى الزوجة الوفـية والأم المتفانيـة ولم تبهرها أضـواء السلطة والمجد، وظـلت على طبيـعتها الريفية وبساطتها وتواضعها راضية بدورها داخل منزلها ووسط أبنائها ولـم تقحم نفسها وسط أجواء الـعمل العام بـاستثنـاء تفانيهـا فى إعداد مآدب الغـذاء والعشاء لـضيوف «المشير» لدرجة أنها رفـضت قيام أحد الطباخين من عمال المصانع الحـربية بتولى شئون المطبخ إلا تحت إشرافهـا المباشر وتعمل دون كلل ولم تعرف الهـدوء أو الراحة بوصفها زوجة «المشير» الرجل الثانى فى دولة الثورة.

وظل الوفاء والولاء صفة لصيقة بالسيـدة الفاضلة «زينب» زوجة «المشير» وأم أبنائه

لم ينل منها ما طرأ على «المشير» من تغيير وحتى بعد وفاته وحين وصل أسماعها خبر علاقته مع «برلنتى» ظلت كما هى وفية لذكرى زوجها الراحل.

❑

ونتتقل إلى شهادة «محمود الجيار» وكما جاءت فى مذكراته!

بوضوح قاطع يؤكد الجيار قوله كان «جمال عبدالناصر» آخر من سمع فى مصر بقصة زواج المشير عامر من ممثلة السينما... برلنتى عبدالحميد.. وتفاصيل الحكاية وكما رواها الجيار لكاتب مذكراته وقتها الصحفى «ضياء الدين بيبرس» جاءت على النحو التالى:

«تحالف اثنان من أخلص رجال عبدالناصر (أحدهما سكرتيره الوفى محمد أحمد) على كتمان القصة عنه، وكان السبب هو الطريقة الدرامية المزعجة التى وصل بها النبأ إليهما، فذات يوم طرق باب أحد الرجلين، كاتب معروف على أبواب الخمسين من العمر يطلب مقابلة الرئيس عبدالناصر لأمر هام ، وعندما سئل عن هذا الأمر الهام بدأ يروى قصة غريبة:

قال إنه تزوج من نجمة سينمائية شابة، وإنه دعى مع زوجته إلى نزهة خلوية فى إحدى استراحات الفيوم التى كانت خاصة بالملك السابق فاروق وأنه ذهب ليجد أن السهرة تضم عددا من الضباط والفنانات(!!!) وليجد فى مقدمة المدعوين المشير «عبدالحكيم عامر» والفنانة «برلنتى عبدالحميد»!

وقال الكاتب إن أحد الضباط بدأ أثناء السهرة يغازل زوجته ويمازحها بطريقة لا تليق، فلما اعترض على ذلك زجره المشير زجرا مؤلما وأفهمه أن مجرد إعجاب الضابط بزوجته شرف كبير، فلما واصل الاعتراض أمسك به الرجال والنساء جميعا وضربوه علقة ساخنة ثم طردوه خارج الاستراحة بدون زوجته.(!!!)

وكان تعليق الجيار إنها «قصة مذهلة تشبه المسلسلات التى اعتاد هذا الأديب كتابتها للإذاعة والتليفزيون، وكان محالا أن تروى لجمال عبدالناصر».

ثم يروى «الجيار» ما حدث بعد ذلك قائلا:

«طيب الرجلان (الجيار ومحمد أحمد) خاطر الأديب، ووعداه بإبلاغ عبدالناصر بتفاصيل شكواه الفادحة ولكنهما بعد انصراف الرجل اتفقا على عدم التبليغ، ثم قررا

أن يذهب أحدهما ـ وهو الجيار ـ لمقابلة المشير ومصارحته بما حدث ومطالبته بتفسير المسألة خاصة أن تقارير المخابرات وقتها كانت تتحدث عن علاقة بينه وبين «برلنتى عبدالحميد»!

وذهب الجيار ـ كما يقول ـ لمقابلة المشير، وإذا بالمشير يقلب المائدة ويفاجئه بمالم يخطر له على بال، يعنفه بكبرياء الصعيدى الأصيل:

عيب الكلام ده... أنا راجل صعيدى لا يقبل الخنا، وبرلنتى زوجتى على سنة الله ورسوله!!

وفيما يبدو فقد كان اعتراف المشير بزواجه من السيدة برلنتى دُشاً بارداً ومفاجأة مذهلة لم يستوعبها الجيار والذى مضت لحظات طويلة قبل أن يدخل فى صلب الموضوع الذى أتى من أجله ويسأله:

وحكاية الأديب هذه، وزوجته السينمائية، والضابط الذى...

وقاطع المشير الجيار وأخذ يشرح له أصل الحكاية قائلا:

هذه حكاية ألفها تأليفا، لقد طرد من الاستراحة حقا، ولكن ليس لأن أحدا قد غازل زوجته، لقد كان يعرف مابين زوجته وبين هذا الضابط، وكان مدعوا إلى هذه الجلسة للتفاهم على الطلاق، وكنا نقوم بالوساطة لإتمام الطلاق بهدوء... ولكنه عندما عرض شروطه طلب ثمنا باهظا، فكان ما كان!!!

وفى النهاية ـ وكما يقول «الجيار» ـ فإنه بعد أن سمع هذا الكلام من المشير فقد تنفس الصعداء فقد ثبت أن المشير زوج للفنانة برلنتى عبدالحميد وليس عشيقا لها، كما ثبت أن شكوى الأديب ليست فوق مستوى الشبهات، وعندئذ فقط أمكن إبلاغ جمال عبدالناصر».

انتهت شهادة الجيار عن قصة اكتشاف زواج المشير من برلنتى لكنها تطرح من الأسئلة وعلامات الاستفهام مالانهاية له ؟!

❑

ربما فى الشهادات القادمة محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة، ولتكن البداية مع شهادة السيد «حسين الشافعى» الذى يقول :

«عبدالناصر إنسان فى النهاية... والكل يعرف أنه كان عاطفيا جدا مع الضعفاء

والمحرومين. وفي المجال السياسي كان يهتم دائما بالحفاظ على الواجهة لأنها تعطيه قوة سياسية داخليا وخارجيا... وفي مجال المحافظة على الواجهة كان يقبل أوضاعا فيها نوع من التضحية بمسائل أساسية.

ولكن بعدما تزوج «عامر» من الممثلة برلنتي عبدالحميد ـ ولو أن البعض يعتبرها مسألة شخصية ـ كانت فترة من أسوأ الفترات على «جمال عبدالناصر» لأن لها انعكاسا على الناحية العامة... ومن ذلك الوقت لم تعد العلاقة بينهما كما كانت، لقد كان«جمال» يغطي على «عامر» قبلها لأن أخطاءه كان ممكن تداركها ولكن بعد برلنتي خرجت عن هذا النطاق».

ويعترف أيضا السيد «فؤاد المهداوى» (محافظ مرسى مطروح) والذى كان على اتصال مباشر بمكتب المشير منذ عام ١٩٥٦ قائلا:

لم يكن المشير يصرح بطبيعة خلافاته مع«عبدالناصر» وإن كان الإنسان المراقب يستطيع أن يلحظ الابتعاد النسبى فى علاقتهما وخاصة بعد أن تزوج المشير«برلنتى عبدالحميد».

ولقصة زواج المشير عبدالحكيم عامر من السيدة برلنتى عبدالحميد وجه آخر يرويه من قلب مكتب المعلومات«منير حافظ» الرجل الثانى بعد «سامى شرف» فى هذا المكتب. فى البداية يقول«منير حافظ»:

«القصة بدأت، فيما أذكر فى فبراير١٩٦٧،كان«سامى شرف» مكلفا بمهمة خارج البلاد وكالعادة جاء السفرجى الخاص بالرئيس الراحل حوالى الثالثة بعد الظهر، يحمل البريد اليومى بعد أن أطلع عليه الرئيس ، ومضيت أراجع كومة الأوراق والرسائل، واستخراج ماعليها من تأشيرات الرئيس وتعليماته... لأكتب بها خطابات إلى الجهات المختصة بالتنفيذ، واسترعى انتباهى مظروف أبيض صغير معنون بإسم سيدة فى مكتب تنفيذى عابدين. وكان المظروف مفتوحا وبداخله قصاصة ورق من كراريس المدارس عليها ثلاثة أسطر مكتوبة بخط اليد تهاجم المشير عامر، وتنسب إليه أنه تزوج فنانة معروفة وأنهما ينتظران حادثا سعيدا.

وعلى هذه القصاصة كانت مذكرة من مكتب تنفيذى عابدين تقول إن نسخا من هذا المنشور«قد وزعت على منطقة عابدين، ودفعت من تحت أبواب بعض الشقق».

ويعلق منير حافظ قائلا: تأملت القصاصة بدهشة ثم لاحظت أنها لا تحمل أية تأشيرات من الرئيس، فوجهتها للحفظ فى الملفات وكنا قد تعودنا على مثل هذه المنشورات التى كنا نسميهاعادة «بالمنشورات السرية» وتصورت وقتها أن ما جاء فيها مغالاة غير مستساغة .

وأنهيت البريد، وتأهبت للانصراف، ولكننى فوجئت بعد قليل بعربة المشير«عامر» وقد فتحت لها أبواب بيت عبدالناصر، فخلعت سترتى وجلست من جديد إلى المكتب، ومرت دقائق، دق بعدها التليفون الخاص بالرئيس الراحل وألقى تحيته المعتادة ثم سألنى:

البوستة جت لك؟!

أيوه يافندم.

شفتها؟!!

أيوه يافندم!!

طيب...فيها ورقة كده...!!!

ويقول منير حافظ أنه لم يدر ما الذى دفعه بلا وعى إلى أن يسارع بقول أيوه يافندم عارفها...!

فقال الرئيس الراحل: طيب حطها فى ظرف، وحابعت لك السفرجى تديها له.

وانتهت المكالمة، وأحسست بالقلق، ماذا دهانى؟! لماذا لم أنتظر حتى يقول لى الرئيس عن صفة الورقة التى يطلبها؟! ومن أدرانى أنه يقصد هذه الورقة بالذات؟!

إن إحساسى بأن المشير موجود جعلنى أتصور أن هذه هى الورقة المقصودة، فلم يكن بالبريد شئ آخر يخصه، ولكن من أدرانى أننى لم أخطئ التقدير؟

يقول منير حافظ بعد هذه السلسلة من التساؤلات وعلامات الاستفهام:

أرسلت المظروف مع السفرجى وانتظرت، ومرت ساعة ونصف، خرجت بعدها عربة المشير، فاطمأنت نفسى إلى أننى لم يجانبنى الصواب!

ولكن بقيت فكرة زواج المشير تلح على ذهنى، وتبدو مستحيلة!».

لكن أغرب ما يرويه «منير حافظ» فى مذكراته هو أن «عبدالناصر» كان قد شكل لجنة خاصة للبحث فى السلوك الشخصى لرجال الثورة بما فى ذلك ظاهرة «الزوجة الثانية» بوجه خاص.

كان ذلك ـ طبقا لما يرويه «منير حافظ» ـ عندما استغل بعض العاملين فى سكرتارية المشير موقعهم، واستخدموا الطائرات الحربية لنقل بضائع من الخارج لحسابهم، وعندما أمر «عبدالناصر» بالتحقيق مع فريق السكرتارية هذا، وجدها «شمس بدران» فرصة لفريقه هو، وتصدى للتحقيق بنفسه، وأطاح بـ «على شفيق» ومجموعته وقدمهم للمحاكمة ثم السجن.

ولم يسعد المشير بهذا طبعا، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا لمساندتهم فى وجه غضبة عبدالناصر التى نجح شمس بدران فى استغلالها، واكتفى المشير مضطرا بأن يسبغ على المحكوم عليهم رعاية خاصة فى سجنهم جعلت السجن بالنسبة لهم متعة، أما عبدالناصر فأسرع بعد هذه التجربة يستدعى «شمس بدران»و«عبدالمجيد فريد» و«سامى شرف» وربما«محمد أحمد» لا أذكر بالضبط، وعقد معهم جلسة طويلة حول التصرفات الشخصية التى أصبحت تسئ إلى سمعة النظام كل يوم، وتكلم طويلا عن قضية «النقاء الثورى» وضرورة المحافظة عليه، ثم طلب منهم أن يقوموا بإجراء حصر شامل لأمثال هذه التصرفات «التى أصبحت تزكم الأنوف» وأن يقدموا إليه تقارير بها أولا بأول.

ويؤكد«منير حافظ» أن مكتب المعلومات شهد اجتماعا طويلا لوضع الخطة اللازمة لإنجاز المهمة التى طلبها عبدالناصر، كما ساد الاجتماع تلميحات وغمزات وافتقر إلى الصراحة. وفى النهاية قرر المجتمعون تأجيل الاجتماع إلى موعد آخر، ولم يحدث أن جاء هذا الموعد، فقد كان هذا الاجتماع هو الأول والأخير.

ويعلق «منير حافظ» على القصة السابقة بقوله:

«إن عبدالناصر حين كلف هذه اللجنة بمهمتها، وضع فى مقدمة التصرفات المطلوب رصدها وإبلاغه عنها ظاهرة الزوجة الثانية. والآن هذا تقرير مفاجئ يخطر«عبدالناصر» بأن المشير شخصيا له زوجة ثانية، ولم يكن هذا النبأ سهلا على عبدالناصر.

فالصداقة بين «عبدالناصر» والمشير قد امتدت وتعمقت فى روابط عائلية وثيقة جعلت الأسرتين كأنهما أسرة واحدة، ومن هذه الناحية وحدها، وبصرف النظر عن أى شئ آخر كان الوضع محرجا لعبدالناصر».

ويمضى «منير حافظ» إلى القول بعد ذلك:

«تحول بما تثيره التأويلات والاحتمالات من قضية شخصية، تثير حرجا نفسيا وعائليا

عند عبدالناصر، إلى قضية تمس الأمن القومى، وكان أخطر هذه التأويلات أن السيدة التى تزوجها المشير كانت لها هوايات إيطالية قديمة وأن هناك احتمالا أن تكون مدفوعة إلى الارتباط به من مخابرات أجنبية».

ثم يلى ذلك فى الخطورة تحليل لزواج المشير، وثارت أسئلة من نوع:

كيف تعرف المشير على هذه السيدة ؟!فى أية ظروف؟!

وهل هو «صلاح نصر» الذى قدم هذه السيدة للمشير؟! وهل كانت تعمل لحسابه ودفع بها إلى عالم المشير كوسيلة للسيطرة عليه؟!

وإذا كان الأمر كذلك فما هو الهدف الذى يسعى إليه صلاح نصر؟! وماهى دوافعه لمتابعة المشير فى أدق تفاصيل حياته الشخصية؟!

عشرات من التساؤلات والتحليلات والاستنتاجات، جميعها وجدها عبدالناصر مطروحة أمامه، تثير فى نفسه أخطر المخاوف على أمن البلاد، متجاهلة الحجم الواقعى لرغبة المشير فى أن يتخذ له زوجة ثانية.

ومن الطبيعى أن كل هذه التحليلات والأبحاث لم تصل إلى نتيجة محددة فلم يثبت أن السيدة زوجة المشير الثانية لها صلة بمخابرات أجنبية ولم يقم دليل على ذلك، ومع ذلك فقد كان لهذه الضجة التى أثيرت حول زواج المشير بالإضافة إلى ضيق «عبدالناصر» الشخصى من الزواج الثانى سبب فى ذلك الصدع الكبير الذى وقع بين عبدالناصر تجاه «المشير» إذ تغيرت نظرة عبدالناصر تجاه المشير، ولم تكن هناك فرصة أمام عبدالناصر لمداواة هذا الموقف الشخصى، فسرعان ماوقعت أحداث يونيو ١٩٦٧ .

ولعل أغرب ما تم نشره عن الكيفية التى علم بها جمال عبدالناصر قصة زواج المشير عبدالحكيم عامر هو مانشرته مجلة «صباح الخير» فى فبراير ١٩٧٧ .

وأشارت «صباح الخير» فى تقديمها للموضوع بسطور جاء فيها «تفاصيل غريبة ومثيرة تفسر كثيرا من الأحداث التى جرت فى الماضى... تنقلها «صباح الخير» من واقع التسجيلات والوثائق التى تنفرد بنشرها للحقيقة والتاريخ ودونما تعليق كما حصل عليها «سيد الباز».

ولم تشر «صباح الخير» بحرف واحد عن هوية «سيد الباز» أو من هو؟! أو كيف حصل على هذه الوثائق والتسجيلات... أو كيف وصلت إلى المجلة؟.

والآن نقرأ معا ما جاء منشورا فى «صباح الخير» واختارت له عنوانا مثيرا هو «تفاصيل المناقشة السياسية حول زواج المشير من برلنتى عبدالحميد».

وكتبت «صباح الخير» تقول:

«..أما الزواج الثانى للمشير من الفنانة برلنتى عبدالحميد فقد كان فصلا مثيرا فى تاريخ العلاقة بين الرجلين، ونظرتهما المتعارضة للعلاقة بين الحياة الخاصة والحكم، ويحسن أن نترك المجال لحوارهما من واقع التسجيل الرسمى:

يبدأ عبدالناصر اللقاء:

أهلا«عُبد» (بضم العين).

المشير: أهلا ياريس.

عبدالناصر: أخبارك؟!

عبدالحكيم (ضاحكا) تمام كله تمام. تمام يافندم!

عبدالناصر: أخبارك ياعم أنا باسألك عن أخبارك تقول لى كله تمام: أنا عارف إن كله تمام، لكن عايز التمام ده بالتفصيل!

عبدالحكيم: بالتفصيل؟! هو استجواب ولا إيه ياريس، مش كنت تدينا علم بكده علشان نيجى مستعدين.

عبدالناصر: هو حد يقدر يستجوبك يا «عُبد» أنا بقصد تفصيل أخبارك... يعنى أخبارك المالية إيه مثلا ؟!

عبدالحكيم: ماليا مستورة والحمد لله، إلا إذا كان معاك قرشين زايدين عليك وعايزنى أشيلهم لك!!

عبدالناصر:(ضاحكا) لا ياعم، فى دى أنا عارف إنك أحسن واحد تشيل فلوس، فاكر ياسيدى قبل الثورة لما كنت أديلك الفلوس تشيلها، أنت كنت بتشيلها صحيح بس من معانا خالص. وإذا كان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين فأظن أنا ما أتلدغش منك فى دى المرة الألف.

عبدالحكيم: لكن ماتنساش إنى كنت بأروح وأجيب فلوس تعوضنا وتفك الأزمة ثم إن حكاية اللدغ دى خاصة بالمؤمن، والحكاية دى فيها قولان!!

عبدالناصـر: تعرف ياعبدالحكيم ممكن تقول فى الأديان أى حاجة لكنك ماتقدرش تنكر أن التدين ده طبيعة فينا، كتير بأقعد بينى وبين نفسى وأقول ليه حكاية التدين دى؟! هل لأننا ضعفاء فى وسط العالم فعايزين قوة أكبر مننا ننتمى إليها ؟! هل لأن كل واحد فينا مابيقدرش يحقق كل أحلامه ويحاول يعوض الفشل ده فى أنه يؤمن بأن هناك دنيا أخرى سوف يحقق فيها كل أحلامه ؟! أسباب كثيرة لكن مش مقتنع بالكلام اللى بيقوله الشيوعيون إن الإنسان ممكن يعيش بدون دين، صحيح الدين لدى الروس مثلا أستغل بطريقة بشعة لفرض الاستسلام على الناس، ورضاهم بالظلم كواقع وعدم مقاومتهم له!!! لكن احنا ظروفنا تختلف قوى، ديننا عمره ما كان فيه كهنوت ...

ياسلام يا أخى عليك إحنا إيه اللى دخلنا فى الكلام ده.. شوف ياعبدالحكيم. أنا باستريح جدا لما بأصلى. ماتتصورش العملية النفسية اللى بتحصل للواحد فى الصلاة والطمأنينة والسكينة اللى بيعيش فيهم.. والقوة اللى بيستمدها من إيمانه...بقية أخبارك إيه..

عبدالحكيم: أنهى أخبار تقصد؟! السياسية؟!

عبدالناصر: لا ياأخى: أخبارك الشخصية؟! الفنية مثلا؟!

عبدالحكيم: أخبارك الفنية (؟!) فنية إيه؟! هو أنا بشتغل بالفن وما أعرفش؟ قول أنت ياعم؟!

عبدالناصر: أخبارك العاطفية ياسيدى(!!!) وبلاش الفنية!!

عبدالحكيم: عادية، أنت عارف أن المسئوليات والمشاغل بتنسى الواحد حكاية العواطف دى، وبعدين العواطف دى ينسئل عنها الأولاد مش إحنا لأن السن والزواج له تأثيره على الحاجات دى!!

عبدالناصر: يادكتور... أنهى جواز، العواطف مش مخددة بسن معينة دا شئ بيعيش فى دمنا!

عبدالحكيم: ايه الحكاية النهارده؟! دكتور؟! وأخبارك الفنية؟! والعواطف؟! أنت عايز إيه بالضبط؟!

عبدالناصر: يا أخى هو حرام إننا نتكلم فى الحاجات دى إحنا طول عمرنا مابنخبيش

حاجة على بعض، وما اعتقدش إن وجودنا فى الحكم هيغير من طبيعتنا دى، أنا طبعا باتكلم عن نفسى، مش عارف انت رأيك إيه؟!

عبدالحكيم: انت تقصد إيه بالضبط؟! انت فيه حاجة معينة عايز تقولها ؟!

عبدالناصر: ده لأنك حاسس بأن فيه حاجة معينة عندك ماقلتهاش،وعلى كل حال خد الورقة دى اقرأها.. وقل لى رأيك فى الكلام ده إيه؟!

عبدالحكيم: ده منشور بخط اليد بيتكلم عن زواج فنانة مشهورة بـ...

عبدالناصر: أنت عارف ياعبدالحكيم الناس بتقول إيه؟! بتقول إنك اتجوزت«برلنتى» إيه رأيك؟!

عبدالحكيم: طب ودى حاجة تستحق منشور يعنى؟! واستجواب زى اللى عامله لى ده..؟!

عبدالناصر: غريبة ياعبدالحكيم. الحكاية بسيطة عندك للدرجة دى، على كل حال الحكاية عندى مش بالصورة دى لأسباب كثيرة أهمها ياعبدالحكيم هى الطريقة اللى أنا عرفت بيها الخبر... أنا كنت أتمنى كل شئ إلا إن الخبر مايكونش صحيح!!

عبدالحكيم: أنت مكبر الحكاية قوى، وعاطى لها حجم كبير، مع أن الحكاية أننى استعملت حقا لى فى الزواج بأكثر من واحدة.. أنا مش شايف غيركده إلا إذا كان فيه حاجة أنا مش فاهمها.

عبدالناصر: الحكاية مش إنك استعملت أحد حقوقك، فمحدش يملك الاعتراض على إنك ماتستعملش حقوقك، لكن أنا بأتكلم من منطق صداقتنا وأخوتنا لبعضنا ياعبدالحكيم، ودى أهم حاجة عندى ياعبدالحكيم مكنتش أتصور أبدا ياعبدالحكيم أننى أكون آخر من يعلم؟! ليه؟! ليه كده يا عبدالحكيم؟ أنا عايز أسألك سؤال أنت تعرف أنى بحبك وأحب سعادتك ولا..لأ؟!

عبدالحكيم: دى مفيهاش شك، ويمكن علشان كده أنا مارضيتش أقول لك الحكاية دى وخليتها سر؟!

عبدالناصر: سر علىَّ أنا ياعبدالحكيم... ماهو واحدة من اثنين، إما أنك لاتثق فى حبى لك وفى الحالة دى يبقى كل شئ بيننا انتهى، والثانية أنك تتصور أن ده بيزعلنى وغلط! طب وليه تعمل الغلط (؟!)

عبدالحكيم: طبعا لا ده... ولا ده.. وأنت عارف كده كويس. لكن أنا حسيت إن الحكاية دى ممكن تزعلك فقلت بلاش تعرف. يعنى دا كله كان من منطق حبى لك وحرصى على عدم زعلك!!

عبدالناصر: ياعبدالحكيم أنت عارف إنى رئيس الدولة ومفيش حاجة تستخبى فى البلد فما بالك إذا كنت أنا رئيس جمهورية، أنت شاورت مين ياعبدالحكيم؟!

عبدالحكيم: شاورت نفسى أولا... وبعدين الناس اللى حواليه؟!

عبدالناصر: طيب ياسيدى ماكنش ممكن تعتبرنى من الناس اللى حواليك.. اسمع ياعبدالحكيم أنت أزمتك أنك بتشاور ناس مابيحطوش فى الاعتبار حاجات كثيرة... كان يجب يحطوا اعتبارهم الحكاية دى.

عبدالحكيم: أنت عامل الحكاية دى كلها على إيه.. على أننى أتجوزت. طيب يا سيدى وفيها إيه لما أستعمل حق من حقوقى، أنا راجل مسلم ودينى سمح لى بأربعة.

عبدالناصر: يا عبدالحكيم بالإضافة للإعتبار الأول، لازم توضع فى اعتبارك أننى فى قمة المسئولية وده بيفرض علينا مسئوليات، أولها أن سلوكنا يجب أن يكون قدوة للناس كلهم.

عبدالحكيم: اللى يسمعك كده يتصور أن فيه انقلاب وقع فى البلد، مش أنى اتجوزت الكلام دا كان ممن يتقال لو كنت ماشى معاها ودا شىء أنت عارف أنه مش من طبعى وما أقبلوش!

عبدالناصر: يا عبدالحكيم أنت عارف أن فيه حاجة اسمها التقاليد، وأن الطبقات بتقلد بعضها البعض وأن اللى تحت منك فى المسئولية هيتطلع إلى تقليدك فى سلوكك. وأنت باللى عملته دا أتحت الفرصة لناس كثيرين أنهم يعملوا زيك وفى الحالة دى ما نقدرش نكلمهم، لأن شبابيكنا من قزاز!

عبدالحكيم: شوف أنا ما أخطأتش، أما حكاية التطلع الطبقى اللى كل مرة تتكلم فيها دى فأنا ماليش شأن بيها، الحكاية أننى أعجبت بواحدة أعمل إيه. أمشى معاها وألا أجوزها (؟!)

عبدالناصر: الحكاية مش بالصورة دى، أولاً لأنك مش راجل عادى، ده حتى يا أخى لما راجل عادى بيعملها ما تبقاش حكاية عادية أبداً يا عبدالحكيم.

عبدالحكيم: أنت عاوز توصل لإيه بالضبط؟! قلت لى كنت أعمل إيه وأنا فى الموقف ده؟!

عبدالناصر: أنت جاى تأخذ رأيى بعد ما نفذت! ويا ريت جيت قلت لى على اللى حصل بل بالعكس فيه نقطة أساسية يجب أن تحطها فى اعتبارك، أن الحكم مش مميزات وبس الحكم كمان سلوك ومسئوليات!

عبدالحكيم: يا أخى، «ينعل» أبو ده حكم إذا كان الواحد يرافق الواحدة بدل ما يتجوزها ثم إيه اللى حصل يعنى لما اتجوزت انهد الكون خلاص، انتهى العالم، أنت اللى مكبر الحكاية علشان توصل لأشياء معينة أنا عارفها كويس.

عبدالناصر: أشياء إيه يا عبدالحكيم؟!

عبدالحكيم: والحكام دول مش بشر، ثم ليه ما عملتش كده مع «صلاح سالم» أهو ده بقى كان عشيق الأميرة، وكانت حكايته على كل لسان واستغلته فى مساعدتها فى حاجات كانت ضد نظام الحكم!

عبدالناصر: أنت ناسى أننى أرغمته على الخروج من الحكم!

عبدالحكيم: إمتى.. لما اختلف معاك وبدأت تجمع له أسباب علشان تعزله بيها ؟!

عبدالناصر: دى كانت من ضمن الأسباب ولا.. لأ؟

عبدالحكيم: أنت لم عُزت تشيله جمعت له الأسباب. أنت فاكر لما كانت تيجى لنا الأخبار عن علاقة «صلاح» و«فايزة» (الأميرة) كنت بتقول طالما محدش حاسس بيها ما لناش شأن.. يعنى إيه.. يعنى إذا كان الغلط يحصل فى السر وما حدش يكشفه يبقى كويس؟! الغلط هو الغلط فى السر أو العلن. لكن السياسة وخاصة عندك أنت ليها أساليب تانية، ومن ضمن أساليبها استخدام الأشياء الشخصية فى المعارك السياسية.

عبدالناصر: يا عبدالحكيم، إحنا مش فى معركة سياسية مع بعض، بلاش الأفكار دى شيلها من دماغك، ثم أن حكاية «صلاح» و«فايزة» أنا كنت متصور إنها مجرد نزوة وتنتهى بسرعة، لكن تتحول إلى الصورة اللى كانت وصلت إليها.. لا.. أنت عارف كويس يا عبدالحكيم أن فيه حاجات معينة طبيعتى ما تقبلهاش!

عبدالحكيم: لا.. أنا فاكر كويس أنك استعملت علاقة «صلاح» و«فايزة» سياسياً لإذلال «صلاح» كويس قوى وأنت حكيت لى عن اللى قلته بالحرف الواحد قلت له: يا

صلاح أنا كنت ساكت لما كانت الحكاية مش معروفة، لكن أن الأمور توصل للصورة دى، أنا ما أقبلش الكلام ده !! حصل ولا لأ؟!

عبدالناصر: يا عبدالحكيم الوضع أيامها كان مختلف، وضعنا فى البلد والقوى المضادة لنا كانت قوية، ثم أن صلاح أيامها مكانش له وزنك النهارده، والظروف بتفرض نفسها علينا، وأحياناً بتكون أقوى مننا.

عبدالحكيم: الحكاية أننى ما عملتش حاجة غلط! دى حكاية عادية جداً.. لكن تحولها لى لسياسة بقى لا، لا وما أتصورش أن لها أى أثر سياسى زى ما أنت بتتصور، أو على الأقل عايز تفهمنى كده!

عبدالناصر: يا عبدالحكيم يبدو إننا وصلنا لطريق مسدود فى المناقشة، أنت مسيطرة عليك حكاية أننى باستخدم الحكاية دى سياسياً ليه، بقى هى دى مالهاش أثر سياسى على البلد على الأقل، وعلى كل بلاش مناقشة فى الموضوع ده دلوقتى، لأن أعصابنا مشدودة.. بلاش علشان تستريح يا سيدى».

انتهى ما نشرته «صباح الخير» ولم تنشر بعدها كلمة واحدة تعلق أو تنفى شيئا مما روته!!

❑

ثم ننتقل إلى رواية الأستاذ «محمد حسنين هيكل» حول قصة زواج المشير من السيدة «برلنتى عبدالحكيم» وكما رواها فى كتابه «الانفجار».

كتب «محمد حسنين هيكل» ما يلى:

«فى يوم ٢٠ فبراير ١٩٦٧ قرأ «جمال عبدالناصر» تقريراً كان بمثابة صدمة بالنسبة له، كان التقرير من إدارة المباحث العامة وكان يتحدث عن إشاعات تجرى فى الأوساط الفنية عن زواج المشير «عبدالحكيم عامر» بالممثلة السيدة «برلنتى عبدالحميد» زواجاً عرفياً وأن هذا الخبر تأكد بحقيقة أن السيدة «برلنتى عبدالحميد» تنتظر مولوداً نتيجة لهذا الزواج. وطلب «جمال عبدالناصر» مزيداً من التفاصيل، واتصل بنفسه بوزير الداخلية يطلب أن تصله معلومات وافية فى هذا الموضوع على الفور، وأن تراعى أقصى درجات الحيطة والحذر فى تقصى المعلومات حتى لا تحدث إساءة لا لزوم لها لأى طرف من الأطراف قبل الوثوق من الحقيقة.

وتأكد الخبر، ورأى «جمال عبدالناصر» أن ينتظر أياماً قبل أن يفاتح «عبدالحكيم عامر» فى هذا الموضوع حتى لا تملكه انفعالات الغضب وتصعب المناقشة الجادة فى تصرف يصعب الكسوت عليه.

والواقع أن هذه الحادثة التى بدت لجمال عبدالناصر نوعاً من الانحراف الخطير، استدعت إلى ذاكرته مشكلة حدثت قبل سنة بالضبط ـ مارس ١٩٦٦ ـ حين عرف أن بعض العاملين فى مكتب المشير من الضباط وغيرهم يجيئون ببضائع ثلاجات وأجهزة تكييف وتليفزيونات من عدن عن طريق اليمن ويبيعونها فى السوق السوداء فى القاهرة، ووقتها أثار «جمال عبدالناصر» هذا الموضوع مع «عبدالحكيم عامر» قائلاً له: إنه لا يريد أن يدخل فى هذه القضية بسلطته أو بسلطة الحكومة حتى لا يحرج المشير، ولهذا فهو يطلب منه شخصياً تصفية هذه الانحرافات ومعاقبة المسئولين عنها فوراً.

ثم قال «جمال عبدالناصر» لعبدالحكيم عامر بالحرف:

«إننى أريد أن تأمر بنفسك بالتحقيق فى هذه الموضوعات، ولا أريدك أن تتصرف بمنطق «الصعيدى» الذى يتصور أنه مكلف بحماية رجاله فهذا منطق «مشايخ غفر» لا يليق بك».

وبالفعل جرى التحقيق وتم حساب الذين ثبتت مسئوليتهم فيه، ولكن «جمال عبدالناصر» ظل على اقتناعه بأن أشياء كثيرة تجرى من تحت ذقن حكيم، والآن فإن أمامه ما هو أخطر!

وكان شعور «جمال عبدالناصر» لأول وهلة أن «عبدالحكيم عامر» يجب أن يبتعد عن منصبه، وما دام قد اختار أن يغلب ضعفه الإنسانى على شعوره بالواجب فإن الأمور أصبحت تقتضى حسماً. وقام «جمال عبدالناصر» باستدعاء «عبدالحكيم عامر» لمقابلته يوم أول مارس ١٩٦٧، وكانت مشاعره مختلطة بين الأسى والغضب».

وراح «هيكل» يشرح كيف كان «عبدالحكيم عامر» من أقرب الناس إلى «جمال عبدالناصر» منذ كانا فى عز الشباب ضابطين بالقوات المسلحة إلخ. إلى أن يقول:

«وحين وصل «عبدالحكيم عامر» إلى مكتب «جمال عبدالناصر» فى بيته فى منشية البكرى فإنه أحس على الفور بأن هناك شيئا غير عادى فى الجو، وبدا من بعض تصرفاته أن لديه فكرة عن الموضوع الذى استدعى من أجله»!

ويقول هيكل: بعد ذلك «كان أسلوب عبدالحكيم عامر» المعتاد عندما يوجه إليه أى تساؤل عن تصرف من تصرفاته أن يبدأ بإثارة زوابع صغيرة، ويتخذ مظهر الغاضب المجروح المعتدى عليه، وهكذا عندما سأله «جمال عبدالناصر» فى موضوع زواجه السرى بدا غاضباً ومتألماً وقائلاً: إنه سئم من هذه الحملات الموجهة ضده والتى تثور من وقت لآخر وأنه لم يعد يطلب غير أن يبتعد ويستريح، وأنه يفضل أن يعود إلى قريته فى أسطال «بالمنيا» ويعيش هناك فلاحاً عادياً، يزرع ويقلع، ولا يكون نائباً لرئيس الجمهورية، أو نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة.

وانتظره «جمال عبدالناصر» حتى أفرغ ما لديه ثم كان تعليقه أن كل ما سمعه من المشير خارج الموضوع، وأن سؤاله كان سؤالاً محدداً وليس هناك جدوى من تجنب الرد عليه مباشرة، وهكذا هبط «عبدالحكيم عامر» فوراً من الغضب أو التظاهر به دفاعاً عن النفس، واعترف بعلاقته مع السيدة «برلنتى عبدالحميد» ولم يجد ما يبرر به تصرفه سوى أنه وجد أخيراً إنسانة تستطيع أن تفهمه، وكانت الدموع تلوح فى عينيه وهو يحاول أن يكتمها (!!) ثم لم يتمالك نفسه وراحت دموعه تجرى على خديه فى صمت، وسأله «جمال عبدالناصر» عن الظروف التى تعرف فيها عليها.

وكان رد «عبدالحكيم عامر» أنه تعرف بها عن طريق «صلاح نصر» (!!)

وحين حاول «جمال عبدالناصر» أن يسأله إذا لم يكن قد فكر فى الثورة وفى أسرته وفى أولاده وهو يسلم نفسه لعواطفه تتحكم فيه، قال «عبدالحكيم عامر» إنه تعذب فى الشهور السابقة بما فيه الكفاية، وأنه الآن على استعداد لأن يقبل ما يراه الرئيس بما فى ذلك أن يترك موقعه، وكان رأى «جمال عبدالناصر» أنه مع الأسف الشديد لا يجد سبيلاً آخر».

يضيف هيكل فى روايته:

«وساد صمت فى المكتب لعدة دقائق وكلا الرجلين لا يعرف ما هى الخطوة التالية، وقطع «عبدالحكيم عامر» الصمت وقال إنه يقبل أى قرار يراه الرئيس ولكنه يريد أن يقول شيئاً ولو حتى لمجرد تسجيل الحقائق، فهو يعترف بأنه أخطأ، ولكنه يعرف أن الاتحاد الاشتراكى «هو الذى كان وراء عملية التشهير به، وأنه واثق أن هناك منشورات طبعت فى مقر هذا الاتحاد، ثم إنها وزعت بعد ذلك على نطاق واسع بقصد الإساءة إليه».

وطبقاً لما يرويه هيكل بنصوص كلماته، فإن «عبدالناصر» كان يصغى «لعامر» وهو يفكر فى الخطوة التالية، واستقر رأيه على أن الأمر يقتضى مواجهة تتم على مراحل حرصاً على اعتبارات كثيرة، ولم يذكر «هيكل» ما هى هذه الاعتبارات لا تصريحاً ولا تلميحاً.. لكن «عبدالناصر» قال لـ «عبدالحكيم عامر» إنه يرى أن عليه الآن أن يقوم بإجازة طويلة يبتعد فيها عن الضوء العام!

وكان رد «عبدالحكيم عامر» عليه أنه يستطيع أن يفهم حكمة هذا القرار ولكنه يسأل ما إذا كان من المستحسن أن يقضى فترة الابتعاد هذه خارج مصر؟! ورد عليه «عبدالناصر» بأنه لا يمانع فهو يقدر أن الأيام القادمة سوف تكون صعبة على «عبدالحكيم عامر» من زاوية شخصية ومن زاوية عامة، واقترح جمال عبدالناصر أن يسافر «عبدالحكيم عامر» إلى يوغسلافيا وأن يقضى هناك شهراً يكون فيه «جمال عبدالناصر» قد اتخذ قراره بشأن الخطوة التالية!

وحاول «عبدالحكيم» أن يناقش فكرة أن يكون سفره إلى يوغسلافيا، وكان رد «جمال عبدالناصر» أن هذه نقطة فرعية، والمهم أن يبتعد «عبدالحكيم عامر» شهراً على الأقل!!

ويمضى «هيكل» إلى القول بأن الجلسة طالت بين الرئيس والمشير وشهدت لحظات انفعال إنسانى مؤثر، وعلى أية حال فإن النتيجة لم تتغير، وفور خروج «عبدالحكيم عامر» طلب «جمال عبدالناصر» من مكتبه إعداد قرار بسفر «عبدالحكيم» وبالفعل أعد القرار.

وكانت صيغة قرار السفر ـ وطبقاً لما نشره محمد حسنين هيكل ـ كما يلى:

المادة الأولى: ووُفق على سفر السيد المشير عبدالحكيم عامر للعلاج فى الخارج على أن يرافق سيادته كل من الدكتور «أحمد عفت عبدالوهاب» والسيد «محمد محمد أبو نار» وعلى أن تتحمل الحكومة جميع نفقات العلاج ومصاريف الإقامة والسفر لسيادته ولجميع المرافقين، خصماً على الاعتماد المدرج لميزانية وزارة الخزانة لعلاج المواطنين.

المادة الثانية: على وزير الخزانة تنفيذ هذا القرار.

صدر برئاسة الجمهورية فى مارس ١٩٦٧.

ولابد أن يلفت الانتباه فى صيغة قرار سفر المشير إلى الخارج هو خلوه تماماً من

تاريخ صدوره، لقد اكتفى «هيكل» بالقول إنه صدر فى مارس ١٩٦٧، أما فى أى يوم من مارس فلا يهم أن تعرف أو نعرف؟!

ثم نمضى مع سطور الأستاذ «هيكل» التى يوضح فيها ما كان يجول بخواطر ومشاعر الرئيس «جمال عبدالناصر» فى تلك الأيام فيقول:

«كانت مشاعر «جمال عبدالناصر» موزعة فى اتجاهات شتى، فقد كانت هناك أولاً صداقته الطويلة لـ «عبدالحكيم عامر» والدور الذى قام به فى تنظيم الضباط الأحرار ثم خلال خمسة عشر عاماً من الثورة، مع التسليم بأنه فشل فى عدد من المسئوليات التى كلف بها، لكنه من ناحية أخرى كانت هناك اعتبارات عملية هى التى دعت «جمال عبدالناصر» إلى القرار بحل المشكلة على مراحل بدءاً بالسفر لمدة شهر ابتعاداً عن الضوء العام، ثم النظر فى الخطوة التالية!

وكانت الاعتبارات العملية التى تدور فى فكر «جمال عبدالناصر» وكما سجلها «هيكل» عقب لقاء مع الرئيس (يوم ٧ مارس ١٩٦٧) كما يلى:

١ـ إن إخراج «عبدالحكيم عامر» لابد أن تستتبعه تغييرات واسعة فى القيادة العليا للقوات المسلحة. ومثل هذه التغييرات آن أوانها منذ وقت طويل ، لكن السؤال الذى لابد أن يطرح الآن هو: «ماهو تأثير تغيير القيادات بالجملة فى هذا الوقت على القوات الموجودة فى اليمن؟» وكانت المعارك قد تجددت بعد الفشل الكامل لاتفاقية جدة.

٢ـ إن «جمال عبدالناصر» كان قد كلف القوات المسلحة بأن تتولى مواجهة بعض القضايا فى الجبهة الداخلية وذلك عن قصد مقصود. وكانت أهم هذه القضايا: التحقيق مع تنظيمات الإخوان المسلمين ونشاط لجنة تصفية الإقطاع. وكان الهدف من تكليف القوات المسلحة بهذه المهام هو أن تعرف كل العناصر المضادة للثورة أن القوات المسلحة موجودة بالقرب من أمن الوطن ومن المكاسب الاجتماعية لجموع شعبه. وكانت تجربة الانفصال فى سوريا وما تلاها فى المنطقة العربية قد زينت لبعض القوى فى المنطقة وخارجها أن القوات المسلحة فى العالم العربى كله تميل فى اتجاه المحافظة والرجعية.

٣ـ ثم كانت هناك إلى جانب ذلك مشكلة بالغة الدقة، فقد حدث قبل شهور أن «عبدالحكيم عامر» قدم تقريرا إلى الرئيس «جمال عبدالناصر» يفيد بأن الضباط المصريين الذين يدرسون فى المعاهد العسكرية العليا فى الاتحاد السوفيتى يتعرضون لضغوط عقائدية. وقال «عبد الحكيم عامر» فى تقريره لـ «جمال عبدالناصر» «إن البرامج التى تعد لهؤلاء الضباط قد جرى تغييرها فى الفترة الأخيرة بحيث أدخل عليها علم الاجتماع باتجاه واضح يتجه إلى تأكيد، أن التحول إلى الشيوعية هو ضرورة حتمية للمجتمعات الساعية للتقدم». كما أن منهج علم الاجتماع الذى يدرس لهؤلاء الضباط يحتوى على مقررات عن اللينينية ـ الماركسية. وعلى أثر هذا التقرير فقد بعث الرئيس «جمال عبدالناصر» بتعليمات مباشرة منه إلى الدكتور «مراد غالب» سفير الجمهورية العربية المتحدة فى موسكو يطلب منه أن يثير هذا الموضوع بحزم لا تردد فيه مع الماريشال «جريتشكو»، وأن عليه أن يصل فى الأمر إلى نهايته، فإذا ظلت المناهج كما هى فإن الجمهورية العربية المتحدة سوف تجد نفسها مضطرة إلى سحب جميع بعثاتها العسكرية من موسكو.

ثم قام «جمال عبدالناصر» بإثارة نفس الموضوع بنفسه مع السفير السوفيتى قائلاً: إنه يدرك أن هذا الأمر من اختصاص وزارة الدفاع، وأنه كلف مراد غالب بإثارته مع الماريشال جريتشكو، لكنه مع ذلك رأى أن تكون القيادة فى الكرملين على علم باتجاهات فكره حتى لا تحدث مضاعفات لا لزوم لها.

ورد الدكتور «مراد غالب» بأنه أثار الموضوع على أعلى المستويات فى موسكو، وقد قيل له «إن الضباط المصريين يدرسون كل العلوم جنباً إلى جنب مع الضباط السوفيت، فإذا كانت رغبة القاهرة هى كما شرحها، فمعنى ذلك أنه إما أن يوضع برنامج خاص بالضباط المصريين، وإما أن يتغيبوا عن بعض الدروس». وفى تقرير الدكتور «مراد غالب» وردت عبارة منسوبة إلى نائب وزير الدفاع السوفيتى قال فيها: إن هذه الحساسية المفرطة لا تفسير لها إلا أن الضباط المصريين «بورجوازيون». وكان القرار الذى استقر عليه «جمال عبدالناصر» فى النهاية هو أن الضباط المصريين الدارسين فى موسكو عليهم أن يتغيبوا عن حضور محاضرات منهج اللينينية ـ الماركسية. وكانت القضية لا تزال موضع أخذ ورد بين القاهرة وموسكو».

ويؤكد هيكل على أن إحساس «جمال عبدالناصر» بشكل مبهم هو أن إقصاء «عبدالحكيم» مرة واحدة فى هذه الظروف قد يفسر خطأً فى موسكو، وربما فى القاهرة، ولقد شعر «عبدالناصر» أن إحساسه كان سليماً عندما قرأ تقريراً بعث به الدكتور «مراد غالب» سفير (ج. ع. م) فى موسكو عن خلاصة حديث دار بينه وبين «سيميونوف» وكيل وزارة الخارجية، وقال «مراد غالب» إن «سيميونوف» أبدى اهتماماً ظاهراً بالأوضاع فى الجيش وتساءل عن احتمال وجود عناصر يمينية ورجعية وإخوانية (من الإخوان المسلمين) فى صفوفه، وعن مدى ما وصل إليه الاتحاد الاشتراكى من قوة، وهل يستطيع أن يصمد ضد أية ثورة مضادة ؟! وكان سؤاله الأخير عما إذا كان هناك «تنظيم حزبى داخل الجيش» ورد عليه «مراد غالب» بأنه لن يكتب هذا الكلام للقاهرة، فلو كتبه فإن البعض قد يساورهم شك فى أن الدروس العقائدية للضباط المصريين كانت أمراً مقصوداً، وهو يعرف «وسيميونوف» كذلك أن القاهرة شديدة الحساسية تجاه مثل هذه المسائل».

❑

ولم يكن كل ذلك هو سطور النهاية فى قصة زواج «المشير» و«برلنتى»، بل جاءت المفاجآت فى أواخر عام ١٩٨٧ أثناء نظر قضية «برلنتى عبدالحميد» ضد الكاتب الصحفى الأستاذ «عبدالله إمام»، وأمام المحكمة برئاسة الأستاذ «عماد حسنى» جاءت هذه الشهادات المثيرة فى جلسة ٢١/ ١٢/ ١٩٨٧.

فى البداية استمعت المحكمة لشهادة «شعراوى جمعة» وزير الداخلية الأسبق وجاءت كالتالى:

من دفاع المتهم: إبان عملك كوزير للداخلية هل تناهى إلى علمك وجود زوجة أخرى لـ «المشير عبدالحكيم عامر»؟

حتى فبراير ومارس ١٩٦٧ لم أسمع شائعة، وفى مارس ١٩٦٧ جاء إلىَّ أحد الأفراد السياسيين ومعه منشورات مكتوبة وقال: هل تعلم أن «المشير عبدالحكيم عامر» متزوج من «برلنتى عبدالحميد»؟ ولم أصدق هذه الشائعة وحولت الأمر للتحرى عن هذا الموضوع للمباحث العامة فعرفت أن المنشور يوزع بواسطة إحدى السيدات بعابدين وقامت المباحث العامة بتفتيش المنزل، وطلبت الاتصال بالنيابة العامة للحصول على الإذن بالتفتيش ، ولما كان الموضوع حساساً أنا أشرت على المنشور بتأشيرة للسيد الرئيس «جمال عبدالناصر» وأرسلنا إليه وانتهى الأمر.

من دفاع المتهم: ما الأمر الذى انتهت إليه التحريات؟

التحريات كانت موجهة إلى معرفة مصدر هذا المنشور لأنه كان يرسخ فى ذهنى أن الأمر لا يعد شائعة ليس لها دليل على أساس أن هذا الأمر يسىء لـ «المشير عامر».

من دفاع المتهم: بصفتك كنت وزيراً للداخلية هل تعلم أن السيدة «نفيسة عبدالحميد» كانت تسافر وتعود بوصفها زوجة «للمشير عبدالحكيم عامر»؟

كان يشاع أنها كانت تسافر إلى الخارج مع شقيق «المشير عامر» على أنها زوجته.

وفى نفس الجلسة أيضاً استمعت المحكمة إلى شهادة الشاهد الثالث «سامى شرف» وجاءت كما يلى:

من وكيل المدعية: هل لديك ثمة معلومات عن علاقة المدعية بالحق المدنى بـ «المشير عامر»؟

تقريباً حتى شهر أغسطس ١٩٦٧ لم يكن عندى أدنى علم عن هذا الأمر.

من وكيل المدعية: هل تناهى إلى علمك عقب هذا التاريخ أمر بهذا الخصوص؟

تقريباً فى شهر أغسطس ١٩٦٧ عرفت أن السيدة المدعية بالحق المدنى كانت محتجزة آنذاك فى مبنى المخابرات العامة بعد أن نسب إليها توزيع منشورات تطلب مقابلة القائد والزعيم «جمال عبدالناصر» وأنا علمت بهذا الأمر بصفتى مديراً لمكتب القائد «جمال عبدالناصر».

ما طبيعة المنشورات التى نسبت للسيدة المدعية بالحق المدنى بتوزيعها؟

استقالة «المشير عامر» فى نهاية ١٩٦٢ ، ١٩٦٣.

هل تمت مقابلة المدعية بالحق المدنى بالسيد رئيس الجمهورية آنذاك؟

لا.. ولكن أنا كلفت من الرئيس «عبدالناصر» بمقابلتها وقابلتها فعلاً فى مبنى المخابرات.

هل دار بينكم حوار بخصوص الدعاوى المطروحة أمام المحكمة؟

أنا كانت أول مرة أعرف أنها زوجة «للمشير عامر».

ما طبيعة هذا الزواج؟

معرفش.

من دفاع المتهم: هل لديك ثمة معلومات حول قيام الرئيس «عبدالناصر» بمباركة هذا الزواج؟

كلا.

كلا.

من دفاع المتهم: كيف بدأت العلاقة بين السيدة «برلنتى» و«المشير»؟

معرفش، لكن على ما أذكر أن هذه الأمور تناولها التحقيق فى قضية انحراف جهاز المخابرات.

أما الشاهد الأول الفريق أول «محمد فوزى» فجاءت كما يلى:

من وكيل المدعية بالحق المدنى: ما هى وظيفة سيادتكم وقت أن كان «المشير عبدالحكيم عامر» قائداً للقوات المسلحة؟

رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة من عام ١٩٦٤، ١٩٦٧ وعقب ذلك القائد العام للقوات المسلحة اعتبارا من ١١/ ٦/ ١٩٦٧.

ما العلاقة التى كانت تربطكم «بالمشير عامر»؟

علاقة عمل فى حدود الوظيفة.

من وكيل المدعية: هل كانت تربطكم بـ «المشير» علاقة خاصة؟

كلا.

من وكيل المدعية: هل تعلم كيف تعرف السيد «المشير عامر» على المدعية بالحق المدنى؟

كلا.

من وكيل المدعية: هل كنت تعلم كيف تم الزواج بين السيد «المشير عامر» والسيدة المدعية بالحق المدنى؟

كلا.

من وكيل المدعية: هل علمت أن السيدة المدعية بالحق المدنى أنجبت من «المشير»؟

كلا إلى أن أذيع ذلك رسمياً بعد الهزيمة.

من وكيل المدعية: هل علمت أن السيدة المدعية بالحق المدنى أنها كانت زوجة «المشير عامر»؟

عقب وفاته أذيع هذا الأمر وأنا علمت به.

انتهت الشهادات المهمة، وكما نشرها الأستاذ «عبدالله إمام» فى كتابه «عامر وبرلنتى»!

أما شهادة السيد «أمين هويدى» وزير الحربية الأسبق فجاءت ضمن فصول كتابه «مع عبدالناصر» وفيه يقول:

«لن أتعرض لتفاصيل هذا الموضوع لأنه أولاً يمثل جانباً من حياة «المشير»

الشخصية، ولأنه أمر عادى يجرى فى كل الأوقات وفى كل الطبقات، ولكن كان «المشير» حريصا كل الحرص على إخفاء هذه العلاقة بالرغم من أن السيدة «برلنتى» كانت لا ترضى أن يكون زواجها سرا بل كانت تلح فى إعلانه وتوثيقه ولكن كان الرجل يخشى تأثير ذلك على حياته الزوجية وعلى حياته العامة. كان يعرف أنه بمجرد زوال سلطاته فإن أموراً كثيرة سوف تتكشف وتظهر الأمر الذى بذل جهده فى السنوات الماضية لكى يظل سراً مكتوماً.

وقد حدثنى الرئيس «جمال» أن «المشير» كان يحضر له دوماً ليشير عليه أن يكون له «أبواب خلفية Back doors » فكيف يمكن للرئيس أن يعيش هكذا داخل أربع حيطان لا يتمتع بالدنيا ولا يروح عن نفسه، وكان «المشير» يضرب أمثله بالعديد من رؤساء الدول والشخصيات الكبرى وكيف أن لهم «أبوابا خلفية متعددة» فالمرء يحتاج دائماً إلى التفريج عن نفسه فساعة لقلبك وساعة لربك.

كان يخشى مثلا أن ينكشف أنه اشترى منزلا فى «إيكنجى مريوط» مركز القسم الشرقى بالعامرية محافظة الصحراء الغربية بحوض برنجى وإيكنجى مريوط رقم ٣ ضمن القطعة رقم ٢٠٩ وهو المنزل الذى اشتراه من السيدة أنطوانيت جريك واختار اسما له «محمد عبدالحكيم على بن على حفيد عامر» أثناء إتمام الإجراءات الرسمية، كان هذا المنزل هو الأقرب إلى قلبه للاختلاء بزوجته وبعض الأصدقاء، كانت هذه العلاقة سرية تماماً لا يعرفها إلا القليلون جداً من دائرة المشير الضيقة ومطبخه الداخلى، ولا أظن أن أحدا من المسئولين كان يعرف ذلك إلا المرحوم الرئيس أنور السادات الذى كان يحضر بعض المناسبات بين وقت وآخر.

❑

لقد بدأت حكاية زواج المشير وبرلنتى قبل هزيمة يونيو ٦٧، لكن فصولها توالت عقب الهزيمة بكل تداعياتها وتوابعها!!.. ولايمكن إغفال التضارب فى أقوال المجموعة اللصيقة بالرئيس عبدالناصر بشأن تاريخ الزواج. فإذا كانت محاكمة أعدت فى منزل المشير وقرار أعد بالابعاد وفق رواية هيكل فى مارس ٦٧ ودون تحديد لتاريخ يوم فكيف يدعى سامى شرف رجل الرئيس للمعلومات بأنه لم يعرف بأمر هذا الزواج إلا فى أغسطس ٦٧ ولقد سجل ذلك على نفسه فى شهادته أمام القضاء؟!

حياة المشير.. محمد عبد الحكيم عامر

5

الصلح المستحيل !

دار الخيّال

كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ نتاج أخطاء سياسية وعسكرية ضخمة ولم يكن هناك مستوى واحد يمكن تحديد المسئولية عن الهزيمة تجاهه، وقد كانت القيادة السياسية لها اهتمام قومى من الدرجة الأولى أدى إلى خلافات حادة مع القوى الكبرى المهيمنة والتى كانت تنتهز الفرصة لاقتناص الديك الرومى (وهو اللفظ الدارج للرئيس عبد الناصر فى أروقة الإدارة الأمريكية) وكان الصراع مع القوى الخارجية فى سبيل الهدف القومى يأخذ الكثير من وقت الرجل ومن جهود وإمكانات مصر حيث كانت القوات المصرية تستنزف فى اليمن والحرص على التأييد المادى والمعنوى شرقاً وغرباً.

وأدى انشغال الرئيس إلى منح سلطات واسعة لنائبه المشير عبد الحكيم عامر الذى استغل هذه السلطات فى الانفراد بالسيطرة على الجيش وجهات عديدة أخرى من الدولة، ومن هنا نشأت مراكز القوى وتكالب المريدون ليشغلوا المناصب العليا بلا تأهيل أو علم، حيث تصاعد شعار مريب وقتها هو أهل الثقة خير من أهل الخبرة واعتبر النقد - أياً كان - هو نوع من الخروج عن الشرعية يؤدى بقائله إلى المحاكمة أو الاعتقال بلا محاكمة.

ومن هنا فعندما بدأت بوادر الأزمة على الحدود السورية - الإسرائيلية ارتكبت القيادة العسكرية ستة أخطاء متتالية خلال أسبوعين فقط كانت هى حجر الزاوية فى الهزيمة.

الخطأ الأول: فى الاندفاع وراء المعلومات الواردة دون التأكد من حقيقتها وتقدير

الموقف الذى يضع مصلحة مصر فى المقام الأول وكانت هذه المعلومات عن حشود العدو على الجبهة السورية الذى ثبت أنها خداع.

الخطأ الثانى: فى الاعتماد على دعم لم يتحقق والذى أساء فهمه السيد «شمس بدران» من وزير الدفاع السوفييتى أثناء وداعه فى مطار موسكو ولما وصل إلى مصر نقل ـ خطأ ـ إلى قيادتها أن الدعم والتأييد السوفييتى للموقف المصرى كاملاً. علماً بأنهم فى المباحثات الرسمية نصحوا بعدم الاستمرار فى الأزمة.

الخطأ الثالث: الذى ينبع من نظرية أهل الثقة وأهل الخبرة ، حيث تم استبدال معظم قادة تشكيلات القوات المسلحة قبل الحرب بأيام معدودة بقادة آخرين أقل كفاءة ولا يعلمون عن وحداتهم الجديدة إلا القليل .. ولكنهم بتوع المشير عامر وشمس بدران.

الخطأ الرابع: الانفراد بقرار السلطة العسكرية، وانعدام ديمقراطية القرار على المستوى الاستراتيجى حيث انفرد المشير عامر بفكره عن تحديد اتجاه هجوم العدو المنتظر ورفض أن يستمع لأى آراء أخرى. هذا السبب قضى على الخطة الدفاعية السابق تأكيدها فى سيناء، وأرهقت الوحدات المقاتلة فى الذهاب والمجئ إلى مواقع جديدة تتغير بصفة شبه يومية، دون الوصول إلى قرار أو تصور لشكل الحرب القادمة ـ وشعر العدو بالقرار المصرى ـ وعمل هيكلياً ـ على تأكيده وقام الهجوم الفعلى من اتجاه مغاير تماماً.

الخطأ الخامس: انفصام القيادات على المستويات العليا، حيث لم يأخذ المشير عامر بتقدير الرئيس «جمال عبد الناصر» عندما أبلغ القيادة العامة فى مؤتمر يوم ٢ يونيو باحتمال الهجوم الإسرائيلى يوم ٥ يونيو. بل إن تقييد نيران الدفاع الجوى، ووجود قادة التشكيلات الميدانية بالكامل فى أحد مطارات سيناء لاستقبال المشير ترتب عليه النجاح المطلق للضربة الجوية الإسرائيلية.

الخطأ السادس: خطأ تاريخى، وهو أن صورة حرب ١٩٥٦ كانت مسيطرة على عقل القائد العام وكان تقديره أنها مقياس لكل حرب. لذلك فإن قرار الانسحاب كان شيئاً عادياً يصدره دون ألم. أو دون أن يتحقق ـ كقائد عام ـ أن التشكيلات أدت واجبها العكسرى أولاً.

وهكذا فإن حرب يونيو ١٩٦٧ انتهت بهزيمة للعرب وأثمرت عن نتائج قاسية

للوطــن العربى مـتمثلـة فى احتلال إسـرائيل لأراضٍ عربـية بلغـت حوالى ثلاثـة أمثال مسـاحتها.

هـذه الأخطـاء الستة الـقاتلة الـتى أدت إلى هزيـمة يونيـو ٦٧ رصدها كتـاب اسمه «صفـحات مضيئة من تاريخ مصر العـسكرى: حرب الاستنزاف» وقامت بـإعداده هيئة البحـوث العسكرية بوزارة الدفاع.

وبعيداً عما جاء فى هذا الكتاب فإن كل الظـواهر كانت تؤكد قبل الخامس من يونيو أن مصر لـن تخوض حرباً مع إسـرائيل تحت أى ظرف، ومـا كان يجرى فى الكـواليس كان يؤيد هذا المنطق.

❑

وهذه بعض الوقائع المثيرة التى حدثت فى كـواليس القيادة أيامها والتى تعطى صورة مختلفة ومكملة أيضاً للصورة التى وردت فى الكتاب السابق الإشارة إليه.

يروى السيد «محمـود رياض» واقعة مثيرة ولافتة للانتباه، جـرت الواقعة فى أعقاب إعتـداء إسرائيل جواً وبراً على قرية «السموع» الأردنية يوم ١٣ نوفمبر، وكبدت سكانها خسـائر جسيمة فى الأرواح، وأعلنت إسرائيل يومـها أنها تقوم بهذه الغارة الانتقامية رداً على أعمال فدائية فلسطينية تنطلق من سورية.

فى ذلـك الوقت كـان «محمـود رياض» متواجـداً فى مطـار القاهـرة للاشتـراك مع الرئيس «جمال عبد الناصر» فى إستقبال أحد رؤساء الدول.

وفى أثنـاء ذلك تحدث «محمـود رياض» مع المشيـر «عبد الحكـيم عامر» عن تـوقعه لاستمرار الاعتداءات الإسرائيلية وأشار إلى الاتفاقية العسكرية التى وقعناها مع سورية مؤخراً، وأننا قد نجد أنفسنا فجأة فى حرب مع إسرائيل.

ويقـول «محـمود ريـاض»: «.. وطمـأننى عبـد الحكـيم عـامر إلـى الاستـعدادات المصرية».

ويستطرد «محمود رياض» فيروى تفاصيل الواقعة المثيرة، قائلاً:

«. . وعـندما انتهيت من حديثى مع عامر فاجأنى عبد الناصر بإخراج ورقة من جيبه قائلاً إن عـبدالحكيم عـامر لديه كشـف بأسماء عـشرة ضباط لنـقلهم لوزارة الخـارجية وقرأت الأسماء ثم أجبته بأننى سأدرس الموضوع.

فأدرك عبد الناصر أنى معترض وقال ضاحكاً:

ـ مالك مش متحمس لنقل الضباط للسلك الدبلوماسى، أنت نسيت إنك كنت ضابط، على العموم أنا أقدر أصدر قرار جمهورى، إيه رأيك؟

وعلقت باقتضاب بأننى فى سبيل إعادة تنظيم وزارة الخارجية.

وأخذ عبد الناصر بوجهة نظرى، إلا أننى شعرت بالقلق فى ذلك الوقت فقد كنت أعرف معظم الضباط المطلوب نقلهم وهم من القادة الأكفاء وكان فى مقدمتهم اللواء «أحمد إسماعيل» والذى كنت على صلة وثيقة به وأعهد فيه الخلق الرفيع وعلمه الواسع فى الشئون العسكرية، وكان نقلهم للخارجية خسارة مؤكدة للجيش فى فترة حرجة تحتاج فيها القوات المسلحة إلى القادة ذوى الخبرة.

وقد أصبح أحمد إسماعيل فيما بعد وزيراً للحربية وهو الذى نفذ خطة عبور الجيش المصرى إلى سيناء عام ١٩٧٣».

ويختتم وزير الخارجية وقتها «محمود رياض» سطوره قائلاً:

«.. وبقى هذا الأمر يلح على فكرى كمثال يتبعه عبد الحكيم عامر فى اختيار قيادات الجيش، وجاءت نتيجة حرب ١٩٦٧ تشير بوضوح إلى عدم توفيقه فى اختياره للقادة ووضع كل منهم فى مكانه المناسب».

❑

وطبقا لما يرويه «السيد صلاح نصر» فإن فكرة سحب القوات الدولية كانت تراود «جمال عبد الناصر» منذ أواخر عام ١٩٦٦ لسببين:

أولا: الرد على دعاية السعودية والأردن التى كانت تتهم عبد الناصر بالاحتماء وراء قوات الطوارئ الدولية وبأن أقواله أكثر من أفعاله.

وثانيا: الرد على استفزازات الغرب وخاصة الولايات المتحدة.

ثم يروى «صلاح نصر» فى الجزء الثالث من مذكراته «العام الحزين» ـ الصادر عن دار الخيّال ـ واقعة غريبة ومثيرة فى الوقت نفسه حدثت فى خريف عام ١٩٦٦ ومؤداها كالتالى:

«كنت عضوا فى الوفد الذى زار الباكستان برئاسة المشير «عبد الحكيم عامر»

لتحسين العلاقـات، وكان عبد الناصر قد طلب من «عامر» قبـل السفر فى حضورى أن يرسل إشارة من البـاكستان بواسطة الجهاز اللاسـلكى الموجود بالسفارة المصـرية يقترح عامر فيها سحب قوات الطوارئ الدوليـة، وكانت وجهة نظره (أى عبد الناصر) أن هذه الإشارة ستلتـقطها أجهزة (تحديد الاتجاه) الغـربية ومن ثم تكون بمثابـة نوع من المناورة السياسية.

وأثناء وجـودنا فى الباكـستان حاولت أن أثـنى «عبدالحـكيم عامر» عـن إرسال هذه الإشارة مبرراً ذلـك بأن الأمريكيـين ليسوا بالسذاجـة التى تجعلهـم يبتلعون هـذا الطُعم ويتأثرون بمثـل هذه الإشارة، ولكن عامر أصر علـى تنفيذ ذلك قائلاً: «إنـه وعد الرئيس بإرسال الإشارة».

وفعـلاً استدعى «عـبدالحكـيم عامر» ضـابط الإشارة المـرافق وهو الـضابط «مسـعد الجنيدى» وسلمه الإشارة».

ثم يضيف «صلاح نصر» بعد أن انتهى من رواية هـذه القصة الغريبة واللافتة للانتباه فيقول مؤكداً:

«ولذا لم يكن قرار سحب القوات وما تبعه نتيجة دراسة، ولا سيما أنه لم يطلب من أى أجهزة دراسة أو بحثاً لما يترتب عليه سحـب هذه القوات، بل اجتمع مع «عبدالحكيم عامر» و«زكـريا محيى الديـن» و«حسين الشافـعى» و«أنور السادات» و«علـى صبرى» و«صدقى سليمان» وأبلغهم بقراره الخاص بسحب القوات.

وفوجئت كرئيس جهاز المخابرات بصـدور هذا القرار، ولذا كان أول عمل قمت به أن أصدرت توجيهاتى لعمل تقدير موقف سريع لأثر هذا القرار السياسى».

❑

وتفاصـيل الحكايـة القادمة ربمـا تصلح كـما يقول صـاحبها السـيد «أميـن هويدى» لتجسيم طبيعة المشير عامر.

وقائع الحكاية جـرت فى أوائل عام ١٩٦٥ وكان «أمين هويدى» وقتهـا سفيراً لمصر في الجمهورية العراقية، وهذه وقائع ما جرى بالضبط طبقاً لرواية «أمين هويدى»:

«حضر المشير عامر على رأس وفد إلى بغداد للزيارة وذلك رداً على زيارات متعددة قام بها الرئيس «عبد السلام عارف» رئيس الجمهـورية العراقية وقتئذ إلى القاهرة. وقبل

إتمام الزيارة حضرت إلى القاهرة للترتيب لها، وأرسلت فى الوقت نفسه إلى «المشير» مذكرة مختصرة عن الأوضاع فى العراق، والموضوعات المهمة التى يمكن أن تثار ومعلومات عن الشخصيات التى سيقابلها عند وصوله إلى بغداد.

وذهبت لمقابلة المشير فاستقبلنى ببشاشته ولطفه ورقته التى يعرفها عنه كل من احتك به، وسألته عما إذا كان قد قرأ المذكرة التى أرسلتها له!

فقال: مذكرة إيه! لم تصلنى مذكرات!

واستدعى «على شفيق» وسأله عن المذكرة فقال له:

آه دى وصلت من زمان!

فرد عليه: طيب يا (.....) لِمَ لم تعرضها علىّ؟!».

ولا يحتاج الأمر إلى تعليق فقد أغنت النقط التى وضعها «أمين هويدى» عن أى تعليق يمكن أن يقال، أو بتعبير «أمين هويدى» نفسه «وانتهى الأمر عند ذلك».

ويضيف أمين هويدى بعد ذلك فيقول:

«.. وكان من ضمن البرنامج إقامة حفل استقبال كبير على شرف الزائر الكبير، وهنا استدعى «عامر» على شفيق مرة أخرى وقال له:

هات ألف استرلينى لأمين لأنه حيصرف على الحفلة منين؟

وأحضر «على شفيق» المبلغ فى لمحة عين وأنا فى غاية الدهشة مما يتم، واعتذرت عن قبول المبلغ شاكراً وقلت:

«سيادة المشير لا تحمل هم أى شىء.. الماهية كفاية للصرف على مثل هذه المناسبات»!.

فقال لى: «والنبى أنت ساذج وأول واحد يرفض.. أنت حر»!!

ومرة أخرى لا تعليق على الموقف السابق (!!)، ونكمل مع «أمين هويدى» ما جرى بعد وصول عبد الحكيم عامر إلى بغداد، ونقرأ ما يلى:

«أقام المشير فى قصر بغداد هو ومرافقوه. وفى الصباح الباكر لليوم الثانى من الزيارة اتصل بى تليفونيا فى منزلى عضو السفارة الذى خصصته للإقامة مع الوفد فى قصر بغداد وطلب منى الحضور فوراً إلى القصر، ورفض الزميل أن يزيد حرفاً واحداً على

ذلك. وحينما وصلت إلى هناك كان أحد ضباط القصر فى انتظارى على الباب ومعه عضو السفارة وسلمنى مظروفاً ذكر أن به أوراقاً وجدوها متناثرة بالأمس على سرير المشير أثناء وجوده بالقصر الجمهورى ورأوا من الأمانة أن يعيدوها داخل مظروف مغلق، وفتحت المظروف وكدت أصعق!! كان بداخله عدة تقارير اصطحبها المشير معه من القاهرة ليقرأها وهو فى بغداد تمس وتسئ إلى العلاقة بين عبد الناصر وعارف وتتحدث عن «عارف» حديثاً شائناً مشككاً.

كانت التقارير - كما يقول أمين هويدى - سرية للغاية ومع ذلك تركت هكذا دون اهتمام ليطلع عليها من يشاء (!!) كان من المؤكد أن الرئيس عارف اطلع عليها وقد يكون المختصون - وهذا مؤكد - قد احتفظوا بصورة منها وأعادوا لنا الأصل.

وذهبت - هويدى - إلى المشير لأقص عليه ما حدث، لم ينزعج الرجل (!!) بل قابل الموضوع بمنتهى السخرية والاستهزاء (!!) ولم يكن فى يدى أكثر من أن أعنف المسئول عن جمع أوراق المشير ولما ذهبنا للاجتماع مع الرئيس عارف كان الرجل بادى التأثر وأخذ فى حديثه يرد على ما أثير فى التقارير. مما يؤكد اطلاعه عليها - وأخذ يحذر بين وقت وآخر ممن يحاولون الوقيعة بين بغداد والقاهرة».

ويمضى «أمين هويدى» فى سرد باقى وقائع ما جرى أثناء زيارة المشير «عبدالحكيم عامر» لبغداد أوائل عام ١٩٦٥ فيقول:

«لم تكن هذه نهاية مفاجآت تلك الزيارة إذ حدثت المفاجأة ليلة إقامتى حفل استقبال «المشير». كان الحفل كبيراً فخماً أقيم فى «دار السفير» وحضره أكثر من ألف مدعو من رجالات العراق وأعضاء السلك الدبلوماسى العربى والأجنبى ودعوت الرئيس عارف للحضور فوعد بذلك تكريما للمشير الذى يمثل «عبدالناصر» وعندما وصل ركب الرئيس عارف إلى دار السفير دعوت المشير، وكان بالداخل، لنخرج سوياً لاستقبال الضيف الكبير «عارف» وفوجئت بأنه يرفض ذلك رفضاً باتاً مصراً على الاكتفاء باستقباله فى إحدى القاعات الداخلية فى الدار، وهرولنا لاستقبال «عارف» الذى دخل معنا إلى الدار ليحيى «المشير عامر» حيث شاء أن يبقى، وبعد فترة من الوقت دعوت الجميع للخروج لتحية الضيوف فى حديقة الدار إلا أننى فوجئت برفض المشير أن يغادر محله.

ولم يجد الرئيس عارف بداً من أن يخرج وحده إلى الضيوف ونحن معه تاركين المشير حيث هو بالداخل مما أحدث استياء عميقاً لدى المدعوين الذين حضروا خصيصاً لتحية مندوب عبد الناصر».

وفى النهاية يعلق أمين هويدى على ما جرى بقوله: «وكنا فى موقف لا نحسد عليه وعجزنا أن نجد تبريراً لما حدث» (!!)

❑

وقصة أخرى، أو موقف آخر، تكشف بعض ملامح العلاقة بين الرئيس والمشير، وقائع القصة جرت فى أبريل عام ١٩٦٦ يوم وفاة الرئيس العراقى «عبد السلام عارف».

ومع تفاصيل ما جرى يومها نعرفه من «أمين هويدى» الذى يقول:

«كنت يؤمئذ وزيراً للإرشاد القومى واتصل بى الرئيس عبدالناصر تليفونيا فى الصباح الباكر. كان الرجل شديد التأثر على وفاة «عارف» وأخبرنى بأنى سأسافر إلى بغداد كعضو فى بعثة يرأسها المشير لتقديم التعزية الواجبة.

وذكر لى الرئيس أن المشير سيحضر لمقابلته الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم قبل السفر إلى بغداد وكان علىّ بناء على حديثه أن أمر عليه فى منزله بمنشية البكرى قبل ذلك بنصف ساعة للتحدث فى أمر علاقتنا مع بغداد على ضوء التطورات المحتملة بعد وقوع الحادث.

وذهبت فى الموعد المحدد وكان لدى الرئيس كثير من المعلومات والتعليمات، وكان مما ذكره، «إننا لا نريد من بغداد شيئاً إلا العلاقة الأخوية والكلمة الأخيرة ستكون لك عند حدوث أى تطورات هناك وأرسل لى بشفرتى الخاصة عن أى أشياء تريد إبلاغها أو أخذ الرأى فيها».

وحان وقت حضور المشير واستأذنت من الرئيس لكى أذهب إلى المطار حتى أترك الرجلين وحدهما. إلا أن الرئيس استمهلنى ومرت الدقائق ولم يحضر المشير فى الوقت المحدد. وعبدالناصر ينظر فى ساعته وقد قطب جبينه وبدت الحيرة فى عينيه، ولما تجاوز وقت التأخير الحد المعقول وقف الرئيس وهو يقول:

«أعمل إيه فى المشير بتاعكم، حتى الموعد الذى أحدده أصبح لا يحترم» وخرجت لأنتظر المشير فى المطار لكى أسافر فى صحبته إلى بغداد».

وفى بغداد حدثت قصة لا بد أن تحكى ـ هكذا يؤكد «أمين هويدى» ويضيف:

كان الوفد الذى يصحب المشير يتكون من الأخوين «فتحى الديب» و«عبدالمجيد فريد» علاوة على شخصى. وفى الطائرة فوجئنا «بعبدالحميد السراج» نائب رئيس الجمهورية أيام الوحدة إلى جوار «عبدالحكيم عامر». وتعمد عبدالحميد أن ينفرد بالمشير طوال الرحلة ويبدو أنهما كانا يتحدثان فى موضوع مهم.

وعند الوصول إلى بغداد وجدنا أن محاولات تبذل ليخلف «الدكتور عبدالرحمن البزاز» المرحوم الرئيس عارف إلا أن الأمور تطورت بعد ذلك ليخلف اللواء «عبدالرحمن عارف» أخاه فى رئاسة الجمهورية، وكان عبدالرحمن (أبوقيس) فى زيارة لموسكو ولم يعد بعد إلى بغداد.

ولكن قبل أن تستقر الأمور إلى هذا الاتجاه كنا فى حركة دائبة مع أصدقائنا فى بغداد وكنت ألح على «المشير» أن يستقبل الإخوة وكان يوافق على مضض وكأنه كان يضمر شيئاً! رجعت إلى قصر بغداد فى الليلة التالية لوصولنا حوالى منتصف الليل وهناك أخبرنى القائم بالأعمال أنه أرسل برقية من المشير إلى الرئيس بحضور الأخ عارف عبدالرازق إلى بغداد فى طائرة تصل فجر نفس اليوم لتولى السلطة. إذ إن كل شئ جاهز ومرتب لذلك. وعرفت أن هذا تدبير عبدالحميد السراج وربما استقروا على ذلك قبل تركهم القاهرة.

كانت الأخبار التى وصلتنى تعتبر كارثة. فإن حضور عارف عبدالرازق من القاهرة هكذا دون ترتيب.. رغما عما قيل لن يمكنه من النجاح على الإطلاق، علاوة على أن «أبا رافع» لم يكن محل رضاء إخوانه الذين كانوا فى السلطة فضلاً عن رد الفعل المضاد له من الرأى العام بعد فشله فى القيام بانتداب ـ وهو رئيس وزراء العراق وفى غيبة الرئيس عبدالسلام عارف فى أحد المؤتمرات فى الخارج.

وذهبت مع القائم بالأعمال إلى مبنى السفارة، وكانت فى «كرادة مريم» وهناك اطلعت على البرقية التى أمر المشير بإرسالها. ولم أتردد أن أرسل برقية أخرى إلى «الرئيس» مقترحاً إلغاء كافة الترتيبات لحضور «عارف» موضحاً أن الأمور ستسير

سيرها الطبيعي وأن غالبية الآراء قد اتفقت على تعيين عبدالرحمن عارف خلفا لأخيه وكنت أدعو الله ألا تحول الظروف غير العادية دون وصول البرقية قبل قيام الطائرة فجرا فكنا بذلك فى سباق مع الزمن. إذ كان لابد من «تشفير» البرقية فى بغداد بشفرة مكتب الرئيس الخاصة التى كانت فى جيبى والتى استلمتها يوم سفرى إلى بغداد. هذا وحده يستغرق وقتاً طويلاً. ثم عند وصول البرقية إلى القاهرة كان لابد من فك شفرتها ولن يتم ذلك إلا بعد وقت طويل أيضا. كان تقديرى أن الأمور لو سارت فى طبيعتها فإن وصول برقيتى إلى الرئيس سوف يستغرق ثلاث ساعات وهذا ما حدث فعلاً. وحينما قرأ «السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات» البرقية أصابته الدهشة الشديدة وكانت المشكلة التى واجهته هى: هل يوقظ الرئيس من نومه فى مثل هذه الساعة المبكرة وهو يعرف أنه يذهب إلى فراشه فى ساعة متأخرة من الليل؟ ولم يتردد وأيقظ الرئيس إذ كان «عارف» قد تهيأ للسفر والطائرة جاهزة فى مطار ألماظة ولم يبق على الفجر إلا ساعتان. وكان لابد من قرار».

ويمضى «أمين هويدى» قائلاً بعد ذلك:

«.. وحينما قرأ «سامى» البرقية على الرئيس أمر بإلغاء سفر «عارف عبدالرازق» آخذاً بوجهة نظرى. علق الرئيس بعد ذلك على ما حدث أمامى بأنه كان يستبعد أن المشير يتخذ مثل هذا القرار ويرسل برقيته قبل أخذ رأيى فى الموضوع كما نبه عليه ولذلك فإنه وافق على البرقية وحمد موقفى على أننى أرسلت برقيتى الثانية.

وفى الصباح استدعانى «عبدالحكيم عامر» لأتناول طعام الإفطار فى حجرته بقصر الضيافة ولم أكن قد ذقت للنوم طعماً طول الليل. وأثناء تناول الطعام كان الرجل يركز نظراته على وجهى فى شك قاتل وسألنى «إنت تعبان جدا ويظهر إنك لم تنم طوال الليل. كنت مشغول والا إيه؟» ورددت بكلمات غامضة إذ كنت أستعد للسؤال الحاسم. وجاء السؤال سريعاً «يا أخى أنا أرسلت أمس للرئيس آخذ رأيه فى موضوع مهم كان المفروض أن يتم الآن ولكن القاهرة لم ترد علىّ بالنفى أو الإيجاب. أنا شامم إن واحد «ابن....» عمل ملعوباً ألغى ما دبرناه».

ورددت عليه أيضاً بجمل غامضة محاولا توجيه الحديث وجهة أخرى. وانتهى تناول الطعام وبدأنا نعد أنفسنا لمهام اليوم الجديد ولم يعلم أحد بما دار ولا أظن أنهم يعلمون حتى الآن».

ويختتم «أمين هويدى» رواية الواقعة السابقة بهذه الكلمات فيقول:

«هكذا كان المشير مغامراً فى كل شيء! متدخلا فى كل شيء، مهتما بكل شيء عدا شيء واحد لم يلق اهتماماً منه وهو الاطمئنان على كفاءة قواته المسلحة وقدرتها القتالية حتى يؤمن الأمن القومى للبلاد».

❑

كانت مصر غارقة فى ظلام الهزيمة، وضباب التساؤلات والشائعات والأسرار والهمهمات. كان السؤال الوحيد الذى يشغل بال الجميع وقتها:

ـ ماذا جرى بالضبط؟! ولماذا؟! وكيف؟! ومن المسئول؟!

لكن لم يخطر ببال أحد أن يتطرق إلى تلك العلاقة الفريدة والمعقدة بين الرئيس و«المشير»!! ولم يجرؤ أحد على مجرد التفكير بصوت عال فى أمر تلك الصداقة.

وبعد حوالى شهرين بالضبط (فى ٣/ ٨/ ١٩٦٧) وفى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى روى الرئيس «جمال عبدالناصر» بعض اتصالاته مع «المشير عامر»: بعد الهزيمة مباشرة، والعدول عن قرار التنحى، وكان «شمس بدران» وزير الحربية قد اتصل بـ «جمال عبدالناصر» وأبلغه بوجود تجمع من حوالى خمسمائة ضابط حول منزل «المشير» يصرون على عودة «عبدالحكيم عامر» قائداً عاماً وأن طلب هؤلاء الضباط من «عبدالناصر» هو البت فوراً فى هذا الموضوع.

وقال عبدالناصر لـ «شمس بدران»: سأبت فى الموضوع باكر !!

وعندما عاود «شمس بدران» الاتصال بـ «عبدالناصر» لمعرفة رأيه قال له الرئيس: إذا كنا عايزين بصدق نصلح الحال علينا أن نختار قائداً محترفاً للعسكرية، على أن يبقى «عبدالحكيم» فقط نائباً أول لرئيس الجمهورية.

ومضى عبد الناصر يشرح لأعضاء اللجنة التنفيذية «زكريا محيى الدين»، «أنور السادات»، «حسين الشافعى»، «على صبرى»، و«صدقى سليمان»، فقال:

«حاولت شخصياً إحضار «المشير» إلى مكتبى فى المنزل لمحاولة إفهامه واستعنت بصلاح نصر لإحضاره ولكنه رفض الحضور، بعد ذلك قابلت «عبدالحكيم» وحاولت دون جدوى إقناعه بأنه ليس منطقياً أن يبقى بعد الهزيمة العسكرية قائداً عاماً، ويكتفى

بأن يكون نائباً لرئيس الجمهورية، رفض «المشير» كلامى رفضاً باتاً وسافر غضباناً إلى بلدته فى المنيا، ثم اتصل بهيكل من هناك وأبلغه استنكاره التام لجميع تصرفاتى!! بعدها حضر «شمس بدران» إلى منزلى وأبلغنى أن الموقف العام يزداد سوءاً يوماً بعد يوم وأن البلد كله ضدى وأن الجيش ضدى وأن الحل الوحيد هو إعادة «عبدالحكيم عامر» لمنصبه القديم من أجل استقرار الأوضاع(!!).

ومضى «عبدالناصر» يقول (حسب ما جاء فى محاضر اجتماعاته العربية والدولية ـ إعداد «عبدالمجيد فريد») يوم الاثنين الماضى حضر «المشير» إلى المنزل وتناول العشاء معى، وكان حديثنا العام ودياً ولكنه قال إنه يقترح أن يذهب إلى أمريكا للتفاهم معهم وأن الروس خونة، لم أعلق على هذا الكلام غير المتزن وقلت له: نبقى نفكر.

❑

وفى ذروة أزمة ما بعد خمسة يونيو قرر «المشير عامر» فجأة أن يترك مصر كلها لا ليسافر إلى بلدته «أسطال» بالمنيا بل مغادرة مصر!!.. كان شاهداً على هذا القرار المفاجئ «عبدالصمد محمد عبدالصمد» أحد أقرب أصدقاء «المشير» ورئيس المجموعة البرلمانية لمحافظة المنيا، والحكاية باختصار تقول:

«قرر «المشير» قراراً مفاجئاً وشجاعاً ونبيلا مهما كانت الدوافع التى دعت إلى اتخاذه؛ قرر أن يقابل «عبد الناصر» ويفاجئه بقرار سفره إلى إيطاليا ومعه «شمس بدران» وأن يبقيا هناك إلى أجل غير مسمى وعليه أن يعتبر الأزمة انتهت ولا يكون فى نفسه أى مخاوف من جهته.

وذهب «عبدالحكيم» ـ كما يقول «عبدالصمد» ـ وقابل «جمال» فعلا وفاجأه بالنبأ وعاد يقول إن جمال فوجئ بهذا القرار وعاتبه على اتخاذه فيما يشبه عزومة المراكبية!.

وبدأ فى إعداد العدة للسفر وبحث الشئون الخاصة به وبأسرته وكذلك فعل «شمس» ومضت بضعة أيام فى هذا الاستعداد للسفر ثم فوجئ «المشير» بـ «جمال» أثناء حديث تليفونى بينهما يقول له إنه لا يوافق على سفره إلى إيطاليا فى هذه الظروف وأنه يقترح عليه السفر إلى يوغسلافيا!!.

ولم يستطع «عبدالحكيم» التحكم فى أعصابه التى أفلتت فوجه لـ «جمال» ألفاظاً عنيفة جداً، وقال له: كمان حسيب مصر بلدى وبلد أبويا وأجدادى ومش عاجبك

وعايز تحدد إقامتى عند تيتو (رئيس يوغسلافيا وقتها) طيب ما الأحسن تقول لى أعيش فى سيبيريا!! مش مسافر وح اتحداك لآخر نفس فى حياتى.. وألقى سماعة التليفون منهيا المكالمة العاصفة.

وتوجد تفاصيل أكثر إثارة لفكرة سفر «المشير» خارج مصر، يرويها وزير الدولة البريطانى «أنتونى ناتنج» فيقول:

«.. ولكن مراعاة لصداقته الطويلة مع «عبدالحكيم عامر» بعث إليه «عبدالناصر» برسالة مع «أنور السادات» يبلغه فيها أنه إذا غادر البلاد على الفور فلن يلقى القبض عليه بل عرض عليه، (أى على المشير) أن يرسل إليه أى نقود قد يحتاج إليها لكى يعيش فى المنفى، لكن «عبدالحكيم عامر» رفض العرض بازدراء وقال أنه سوف يبقى فى مصر ويبرئ نفسه أمام محاولات الحكومة والصحافة لإلقاء اللوم كله عليه، ورفض «عامر» عرض العفو الذى أرسله إليه «جمال عبد الناصر».

❑

كان الحزن يجتاح مصر كلها!! وأحس كل مصرى بالذل والمهانة والانكسار، فلم يكن أى مصرى يستحق ما جرى له صباح خمسة يونية!

أما ما كان يجرى ويدور فى كواليس الحكم والنظام فقد كان يدعو للعجب مرة وللدهشة مرات!.

بعد دقائق من انتهاء الرئيس «جمال عبد الناصر» من إذاعة بيان التنحى أو الاستقالة مساء ٩ يونيو ٦٧ اتصل الأستاذ «محمد فائق» وزير الإرشاد بالأستاذ «محمد حسنين هيكل» ليبلغه أن المشير «عامر» اتصل به صاخباً ومهتاجاً وقائلا إن لديه بيان يريده أن يذاع على الناس، وأنه - أى فائق - رد عليه بعدم استطاعته إذاعة أى شىء إلا بعد الاتفاق مع «هيكل»، وأضاف فائق يقول لهيكل: إنه يرجح أن المشير سوف يتصل به الآن ولا بد أن يلاحظ أن أعصابه فى آخر درجة من الهياج!!.

باقى ما جرى من المشير «عامر» يرويه «هيكل» على النحو التالى:

«صدق ما توقعه السيد «محمد فائق»، فلم أكد أضع سماعة التليفون بعد حديثى معه إلا والمشير «عبد الحكيم عامر» على الخط مهتاجاً بطريقة لا يبين منها كلام مفهوم،

وحاولت تهدئتـه قدر ما أستطيع بأن طلبـت منه أن يبعث إلىَّ بالبيـان الذى يريد إذاعته، مع رجائى له بأن يكون ما فيه مساوياً لحرج الموقف كله».

.. و.. دق جرس التليفون ثانية وكـان المتحدث هو «المشـير عبد الحكيـم عامر» مرة أخرى يقول إنه يفضل إملائى البيان بدلا من إرساله اختصاراً للوقت، وكان البيان الذى يريد إذاعـته هو إعلان بأنه قـدم استقالتـه من جميع مـناصبه ابتداء مـن الساعة السـابعة والنصف مـساء وأن استقالتـه قبلت (!!) وسألته: مـن قبلها (؟!!) واسـتغرب السؤال وقلت له إن الرجل الذى كان فـى اختصاصه قبول الاستقالة أعلن علـى الناس استقالته فى الساعة السابعة، ولم يعد فى إمكانه أن يقبل شيئاً أو يرفضه(!!).

وفوجئ «المشير» وقال إنه سوف يعود إلى الاتصال بى بعد دقائق وعاد وكان اقتراحه أن يصدر إعلان عنه بـ «أنه ابتداء من الساعة السابعة والنصف تخلى عن كل مسئولياته» ورجوته فى صياغة ما يريده وإرساله مبـاشرة إلى الإذاعة اختصاراً للوقت، وأننى سوف أتصل بالسيد «محـمد فائق»، والواقع أن هدفى كله فى تلك السـاعة كان كسب الوقت بأقل قدر ممـكن من دواعى التفجـير، وكان غضبه قد بدأ يـتزايد ولكنى أشهـد أن كلمة خارجة لم تصدر عنه».!

كان الموقف على النقيض تماماً فى مكتب معلومات «جمال عبد الناصر» الذى يرأسه «سامى شرف» ويعترف «منير حافظ» ـ الرجل الثانى فى المكتب ـ قائلاً:

دق التليفون ورد «سامى» (شرف) عليه فإذا به «عبد الحكيم عامر» يصرخ ثائراً:

بقى أنت يابن (الـ...) على آخر الزمن تمنع إذاعة بيان لى؟!

ويرد سامـى: أنا يافندم!! أنـا يكون لى ميـت سنة فى القـبر لو أرفع عيـنى فى وش سيادتك.. ده أنا تلميذك يافندم، ولو جيت ضربتنى بمسدسك مش حارفع عينى فى وش سيادتك!!

ولم توقـف هذه الاعتذارات سيـل الشتائم المـريرة التى تـدفقت فى أسمـاع «سامى شرف» والقريبين من مكتبه!!

ومن أغرب ما جرى وقتها أيضاً ما يرويه «أحمد حمروش» قائلا:

«كان «عبد الحـكيم عامر» ينتظر أن يشير «جمال عبد الـناصر» إلى استقالتـه معـه، ولـما لـم يسـمع ذلـك اتصـل تليفونياً بـ «محمـد أحمد» السكرتير الخاص لـ «جمال

عبدالناصر» وطلب منه أن يدخل ورقة إلى «عبد الناصر» وهو يذيع البيان يبلغه فيها أن «المشير» سوف يذهب إلى الإذاعة لإعلان استقالته، وقد أشار «عبدالناصر» بعدم الذهاب، وقد اختفت صورة «عبدالناصر» عن شاشة التليفزيون فى هذه اللحظات القليلة».

ويضيف الأستاذ «حمروش»: وتصادف أن كنت مع زميلى وصديقى «صلاح حافظ» نائب رئيس تحرير «روزاليوسف» فى ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثاً عن مسئول نعرف منه حقيقة الموقف، ومررنا على وزارة الإرشاد طلباً لمقابلة «محمد فائق» الذى كان قد اتجه إلى منزل «عبدالناصر»، ووجدنا «على خشبة» وكيل وزارة الإرشاد عند الباب الخارجى لمدخل الوزير منتظراً حضور «المشير عامر»، ثم حضر إليه بعض ضباط الجيش وأبلغوه أن «المشير» لن يحضر ولن يسمح له بإذاعة استقالته بنفسه.

ويؤكد الفريق أول «عبدالمحسن مرتجى» قائد جبهة سيناء فى حرب ١٩٦٧ أنه فى حوار له مع الرئيس «جمال عبد الناصر» قال ما يلى:

عندما كان ـ الرئيس ـ يذيع بيان التنحى مساء ٩ يونيو أرسل «المشير» له ورقة بخط يده طالباً إيقاف الإذاعة، فلم أستجب لهذا الطلب، وأمرت «محمد فائق» وزير الإعلام بألا يذيع أى شخص أى بيان بعد بيانى، ولما رفض «محمد فائق» بناء على أمر الرئيس إذاعة بيان «المشير» غضب وثارت حفيظته عليه!!.

لكن الرئيس «جمال عبد الناصر» وأمام أعضاء اللجنة التنفيذية العليا يؤكد قائلا:

حدث أثناء إلقائى البيان فى مكتبى بقصر القبة أن طلب «شمس بدران» سكرتيرى «محمد أحمد» ليبلغنى فوراً بضرورة عدم استمرار إلقائى باقى البيان، طبعاً كان ذلك كلاماً خيالياً».

كان كل هذا يجرى وكنا آخر من يعلم بكل ما يدور فى الكواليس!!.

رغم قسوة الهزيمة ومرارتها، فقد ظلت العلاقة بين الرئيس والمشير «بنفس درجة القوة والمتانة!! وكان كلاهما حريصاً على مشاعر الآخر!!

وكأن الهزيمة التى حدثت كانت بمثابة هزيمة فى مباراة لكرة القدم!!

وعندما عاد «جمال عبدالناصر» إلى الحكم يوم ١٠ يونيو ٦٧ حدثت أكثر من مفاجأة مذهلة.. ولعل أخطر هذه المفاجآت هو ما يتعلق «بشمس بدران» وزير الحربية

المهزوم، وفيما بعد كشف «عبدالناصر» هذه الأحداث فقال أمام أعضاء اللجنة التنفيذية العليا:

بعد يومين طلبنى «شمس بدران» تلفونيا وأبلغنى أن هناك تجمعاً من ضباط الجيش يقدر عددهم بحوالى خمسمائة ضابط حول منزل «المشير» فى حلمية الزيتون وبمبنى القيادة العامة، يصرون على عودة «عبد الحكيم» قائداً عاما ويطلبون منى أن أبت فى هذا الموضوع فوراً، قلت له إنى سأبت فى ذلك باكر، فطلبنى فى اليوم التالى فقلت: يا «شمس» أنت تعرف رأيى فى القيادة العامة.. وإذا كنا عايزين بصدق نصلح الحال علينا أن نختار قائداً محترفا للعسكرية، على أن يبقى «عبدالحكيم» فقط نائباً أول لرئيس الجمهورية، حاولت شخصياً إحضار «المشير» إلى مكتبى فى المنزل لمحاولة إفهامه، واستعنت بـ «صلاح نصر» لإحضاره لأنه لم يكن مقيما فى مقره وإنما كان فى شقة أحد الضباط الموالين له (شقة عصام خليل)، ولكنه رفض الحضور، وفى نشرة الإذاعة الثانية والنصف لهذا اليوم أذعت تعيين «فوزى» قائداً عاماً (الفريق محمد فوزى) ثم أمرته باعتقال الضباط المعتصمين والمعترضين.

بعد ذلك قابلت «عبدالحكيم» وحاولت دون جدوى إقناعه بأنه ليس منطقياً أن يبقى بعد الهزيمة العسكرية قائداً عاماً، ويكتفى بأن يكون نائباً لرئيس الجمهورية، رفض كلامى رفضا باتا وسافر غضبانا إلى بلدته فى المنيا، ثم اتصل بهيكل من هناك (محمد حسنين هيكل وزير الإعلام) وأبلغه استنكاره التام لجميع تصرفاتى، بعدها حضر «شمس بدران» إلى منزلى وأبلغنى أن الموقف العام يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وأن البلد كله ضدى وأن الجيش ضدى وأن الحل الوحيد هو إعادة «عبدالحكيم عامر» لمنصبه القديم من أجل استقرار الأوضاع.

بعد يومين قابلت «شمس بدران» مرة أخرى، وكنت قد اعتقلت ضباط التنظيم السرى الذى أقامه داخل القوات المسلحة، وأغلبهم من ضباط دفعته العسكرية خريجى العام ١٩٤٨، وقلت له: يا «شمس» منحتك ثقتى بالكامل ولكنك للأسف اشتغلت لمصلحتك ومصلحة «المشير» من خلف ظهرى.. ولو كنت مخلصا حقا وصادق النية فى تكوين تنظيم داخل الجيش لكنت فى حينه أبلغتنى شكله وأسماء أعضائه، ولكن لم تكن أمينا! عامة، أنا أمرت باعتقال جميع أفراد التنظيم. فارتجف وارتبك كثيراً.. يوم

الاثنين الماضى حضر «المشير» إلى المنزل وتناول العشاء معى، وكان حديثنا العام ودياً ولكنه قال إنه اقترح أن يذهب إلى أمريكا للتفاهم معهم، وأن الروس خونة.. لم أعلق على هذا الكلام غير المتزن وقلت له: نبقى نفكر!».

❑

وكان هناك الكثير الذى لم يروه «عبدالناصر» فى ذلك الاجتماع، لكنه فى جلسة فضفضة مع «الدكتور ثروت عكاشة» راح يحكى له ما يلفت الانتباه ويدعو لطرح عشرات التساؤلات!

قال «عبد الناصر» لـ «ثروت عكاشة» ما يلى:

«فى اليوم العاشر من يونية ١٩٦٧ اتصل بى «شمس بدران» وأنهى إلىَّ أن جمعاً من الضباط يجتمعون فى بيت عبدالحكيم يريدون أن يحملوه على العدول عن استقالته، ومطالبين بعودته قائداً عاماً للقوات المسلحة كما كان، وأن المشير مازال عند رأيه الأول بالتخلى وقبول استقالته، فقلت لشمس «كم كنت أحب أن ينهى إلىّ ذلك عبدالحكيم نفسه» وأسرعت فى اليوم التالى لأعرف ما كان على لسان عبدالحكيم نفسه فلم أجده، فاتصلت بشمس لأستوثق مما كان فلم أجده هو الآخر فرأيت أن أتصل بصلاح نصر لأستجلى منه حقيقة الموقف، فأخبرنى أن هناك محاولات لعقد اجتماع من ضباط الجيش بمقر القيادة العامة وأن الذين أنهى إليهم خبر هذا الاجتماع ومكانه كانوا سبعمائة من الضباط، كما أخبرنى أن «المشير» يقيم لدى ضابط يدعى «عصام خليل»، وأنه قد طلب إليه لقائى فرفض».

وتابع «جمال عبد الناصر» حديثه فقال: «وكانت الإسماعيلية خالية من أية قوات تدافع عنها، فبادرت بإرسال الحرس الجمهورى للدفاع عن غرب القناة بعد أن غدا الجيش فلولا متناثرة هنا وهناك، ثم كان أن علمت من الفريق «محمد فوزى» رئيس هيئة أركان حرب الجيش أن هذا الجمع من الضباط المجتمع بمقر القيادة العامة كان فى ثورة عارمة لا يستمعون معها إلى نصح وبين أيديهم عريضة موقعة منهم يطالبون فيها بعودة «المشير عامر» وكذا «شمس بدران» الذى كان قد أبعد هو الآخر، وفهمت من «محمد فوزى» أيضاً أن كثرة هؤلاء الضباط من الإداريين غير المحاربين، وكان بينى وبين فوزى بعد أن علمت هذا النبأ حديث حاسم كشفت فيه عن تخوفى من أن ينتهى

البلد إلى الحضيض بهذه المطالب فقد جربناهما (يعنى عبد الحكيم وشمس) فنال البلد على أيديهما ما نال وما نريدها نكسة أخرى، من أجل هذا فاجأته بقولى: «من أجل هذا عينتك من الآن قائداً عاماً للقوات المسلحة على أن يذاع هذا النبأ فوراً، وما أظنك إلا معى فى الرأى لا معهم، وبلغ عنى لقيادات الجيش أنى شاكر لهم ما كان وأنى راض بتنحيهم، ثم عليك أن تأمر الضباط المتجمعين بأن يفضوا جمعهم ويعود كل منهم إلى حيث كان».

واتصلت بأخى الطيار «حسين عبد الناصر» لأسأله هل ثمة ضباط من سلاح الطيران قد احتشدوا كما احتشد إخوانهم من ضباط الجيش، فأخبرنى بأن الحال مستتبة لا يشذ إلا ضابط برتبة اللواء استحكم فى غرفة العمليات الجوية، بالجيوش، فبادرت بإرسال قوة إلى حيث هو، وحذرت الفريق فوزى من أن يكون ثمة تراخ بين قوات الجيش.

وسألت عن «المشير» و«شمس بدران» فوجدتهما مختفيين، وعلمت أن القاهرة خلو من الدبابات غير ثمانية، إذ سائرها كان بالإسماعيلية فطلبت من الليثى ناصف و«ممدوح إسماعيل» (وكانا من الحرس الجمهورى) أن يتسلما هذه الدبابات الثمانية، وكذا علمت أن هناك قوة أخرى على رأسها قائدا المباحث الجنائية بالبوليس الحربى تطوف هى الأخرى شوارع الحلمية هاتفة بعودة «المشير» و«شمس بدران» غير أنها تحاشت المرور أمام بيتى، فاتصلت باللواء «محمد أحمد صادق» (مدير المخابرات الحربية) أستفسر منه عما كان فحكى لى الأمر كما انتهى إلىّ فحذرته من عواقب الأمر، وأن هذا سيجر البلد إلى حرب أهلية دموية، ثم كان أن علمت أن ثمة قوة ثالثة من تنظيم «الفتوة» برئاسة «جمال نظيم» قصدت بيت «شمس بدران» تهتف بعودته، وعندها طلبت نظيم أسأله عن الهدف من وراء هذا التجمهر، فأخبرنى أنه ما خرج إلى هذه المسيرة إلا عن دافع وطنى، وأنه تلقى الأمر من كاتم الأسرار الحربية وهو من أتباع عامر، فأمرته أن يفض هذا التجمهر وأن يعود إلى بيته.

وعند الساعة الثالثة اتصل بى حسنين هيكل وأخبرنى أن المشير قد اتصل به وأنه يرغب فى أن يلتقى وإياه معى فى بيتى بعد قليل، وكان هذا الاجتماع الذى بادرت فيه «عبد الحكيم» قائلا: «أظننى قد أوضحت لك الأمر توضيحاً لامجال لزيادة فيه، وقد حذرتك من المصير الذى سوف ينتهى إليه البلد إذا بقينا على تلك الحال، ثم ما هذا

الذى فعلته أنت و«شمس بدران» من إثارة الضباط ليتجمهروا ويتجمعوا، وهل مثل هذا الذى تفعلان لخير البلاد أم لشرها، لقد عجبت لهذا الذى حمله إلىّ الضباط من عريضة ممهورة بإمضائهم يطلبون بها عودتك وعودة «شمس بدران» وكأنكم تريدون أن تجعلوا منى توفيقا آخر (يعنى الخديو توفيق وموقفه من الضباط بقيادة «أحمد عرابى»).

فرد «المشير» علىّ قائلا: وماذا يضيرك فى هذا مادمت قد اتخذت قرارك وانتهى الأمر؟ فقلت له: وهل كنت تريد منى أن أسلم رقبتى لحمزة البسيونى وأمثاله من الضباط المدنسين؟ لقد كنت جد متعب مبلبل الفكر حين جاءنى الضباط بمطالبهم فنزلت إليهم وحدى دون حراسة، فرد «عبد الحكيم»: أما عنى فلقد أخليت لك الميدان فافعل ما تشاء.

وعندها وصل «حسنين هيكل» وحضر بقية ما دار بينى وبين المشير، وعدت أقول للمشير: أنت تعرف رأيى فى تصرفاتك فى القوات المسلحة منذ أمد بعيد، وحسبك أنك تركت الحبل على الغارب للفريق «صدقى محمود» يمرح فى سلاح الطيران كيف شاء وكأنه ضيعته، وكان ما يصلك منه عن سلاح الطيران باطل فى باطل، الأمر الذى أودى بالسلاح.

فقاطعنى عامر ليبلغنى بأن تفكيرى فى إقصاء صدقى يدل على إصرارى على إقصائه من القوات المسلحة.

فقلت له: ما أحوجنا إلى جيش صلب شأن الجيوش الأخرى على رأسه قيادة مدربة يظفر بالنصر على يديها، وليس عندى ما يحول دون عودتك على أن تكون نائباً أول لرئيس الجمهورية فقط، فعاد عامر يؤكد إصراره على التمسك بمكانه على رأس القوات المسلحة.

«غادرنى «المشير» بعد ذلك وإذا هو يتصل بى ليلا تليفونيا ليخطرنى بأنه فى حل مما ارتبط به معى إزاء ما فعلته من إحالة بعض الضباط إلى المعاش واعتقال لبعض آخر، فأجبته بأن هذا لم يكن، وليس ثمة ضابط معتقل ولا آخر أحيل إلى المعاش غير الذين سبق أن أحلتهم إلى المعاش من قبل وأنه يعرفهم، وبدا لى أن أحتط لما قد يكون، فأرسلت «زكريا محيى الدين» إلى القيادة العامة، وأخذت ألم شتات الوحدات، وأنظر فى أمر نفر من القادة الذين لاهم لهم إلا ملء بطونهم فخليت بينهم وبين أعمالهم

ليحل محلهم قادة يعتمد عليهم، وإذا «شمس بدران» هو الآخر يتصل بى يشكو من مراقبتنا منزله ويدعى أن هذه المراقبة لن تفيد شيئاً، وأنه إذا كان فى نيته أن يدبر انقلابا فما أقدره على أن يفعل ذلك وهو ملازم بيته، فطمأنته وأخبرته أن ما يدعيه من مراقبتنا إياه فى منزله أمر لا حقيقة له، فإذا هو يرد علىَّ بأن بين يديه مدفعاً رشاشاً وأنه سيحمله على كتفه وينزل إلى الشارع ليثير معركة، فأجبته أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن وهم وخبل وضعف، وأن تلك العبارات هى عبارات الوَجل الذى هزه الموقف.

وطلبنى «المشير» تليفونيا محتجا على أن إذاعة صوت العرب تطالب بمحاكمته، وأن الغرض من استدعائه إلى القاهرة هو وضعه تحت المراقبة، فهدأت خاطره، ومحاولة منى فى المحافظة على علاقة قديمة رجوته ألا يقع تحت سيطرة فئة كانت مستفيدة من الأوضاع القديمة.

وأرسلت إليه صلاح نصر فى المنيا ليبلغه أنى أوافق سلفا على أى شىء يريده باستثناء أمرين: أولهما عودته إلى الجيش محترفا، وثانيهما عودة أى ضابط تقرر إبعاده، وعاد إلىَّ «صلاح نصر» من المنيا ليبلغنى أن «المشير» لم يقبل بديلا عن القوات المسلحة.!!».

□

وبعد الهزيمة دار بين «عبد الناصر» و«عبد الحكيم» حوار ساخن وملتهب، نشرته مجلة «صباح الخير» بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٧٧، وجاء الحوار بين الرئيس و«المشير» على هذا النحو:

«عبدالناصر»: الموقف اللى إحنا فيه ده لا يمكن يستمر يا «عبدالحكيم»، أنا كل يوم أعصابى بتتحرق، فيه ساعات بأقعد لوحدى أسأل نفسى: صحيح اللى إحنا فيه.. ده كابوس.. كابوس مخيف، يا«عبدالحكيم» كفاية اللى حصل للبلد، وكفاية إننا النهارده فى موقف مكانش يخطر على بالى حتى مجرد خاطر، شوف يا«عبدالحكيم» كل شىء وله نهاية، لكن يتبقى لنا شىء واحد! تعرف إيه؟ صفاء الضمير، أى كل واحد فينا يحس بأنه راضى عن ضميره!!.

«عبدالحكيم» :أنت تعرف مشاعرى ناحيتك، وما أقدرش أنكر إنها من فترة اتغيرت، لكن عمرى ماحا كرهك، شىء أصبح فى دمى، زى ما بيقول صاحبك «هيكل» قدرى

كده.. وإذا كنا بنحب بعض فعلا زى ما بتقول، ومش عاوزين ننهى حياتنا بما يسيء إلينا إحنا الاثنين، فالحل بسيط وبإيديك أنت يا عبد الناصر، إلا إذا كنت بتشتغل معايا سياسة ومش حاكون، ولو كنت مع الناس كلها مش حاكون معاك ، الحل إنى أرجع القوات المسلحة، والناس اللى انت شايفهم وحشين حوالىّ أشيلهم مش مشكلة».

«عبدالناصر»: البلد نقول لها إيه؟! نقول لها إيه عن المصيبة اللى حصلت لها؟!

«عبدالحكيم»: قصدك نقدم لها ضحية مين أكثر من القائد العام للقوات المسلحة، ويبقى ده كبش الفدا للنظام (؟!).

«عبدالناصر»: يا«عبد الحكيم» شيل من دماغك كلام الناس اللى حواليك، وبدون كده ممكن نصفى لبعض تانى، الوضع النهارده أن البلد هزمت وأنت كنت القائد العسكرى للبلد فى المعركة دى، أقله إنك تسيب الجيش؟!

«عبدالحكيم»: قصدك تقول إن القائد المهزوم لابد يترك الحكم، أمال انت قاعد فى الحكم ليه، انتصرت فى المعركة؟!

«عبدالناصر»: الشعب هو اللى طالب بى يا عبد الحكيم، ثم إن دى مش القضية؟!

«عبدالحكيم»: لا هى دى القضية، أنا طول عمرى ساكت وأنت عاملنى شماعة لأخطائك حرب ٥٦ أنا المسئول عن خسائرها، الانفصال أنا المسئول عنه، ثم إيه حكاية الشعب دى اللى انت بتتكلم عنه، تقصد الشعب المصرى خرج فى ٩ و١٠ يونيو يطالب بيك، أمال التنظيم الطليعى بيعمل إيه؟! شوف سبب معقول شوية ممكن أصدقه غير حكاية الشعب، أما إذا كنت مصر عليها، فأنا أول واحد يطالب بمحاكمة علنية لتحديد المسئول عن اللى حصل، والشعب يحكم صحيح، أنت فاكر كلامك فى القيادة العامة لما قعدت أتحايل عليك وأقول لك إذا كنا ناويين حرب صحيح، يبقى لازم نهاجم وفاكر كان رأيك إيه، اسمع إذا كنت خايف من تجمع الضباط زى اللى حصل فى القيادة يوم عشرة فما تخافش، عمرى يا«عبدالناصر» ما حاعمل انقلاب ضدك، وحافضل طول عمرى وفى ليك، دى تأكد منها.

«عبدالناصر»: يا «عبدالحكيم» الحكاية مش حكاية انقلاب من عدمه، المسألة هى العلاقة اللى بينا، يا«عبدالحكيم» أنت مش بقالك كذا شهر بتقول لى عايزين نسحب قوات الطوارئ الدولية من سينا ونسترد حقوقنا فى خليج العقبة والمضايق، فاكر لما

جيت بعد رحلة باكستان «وألحيت علىّ وقلت لابد ننهى الحكاية دى، لأن دول الرجعية العربية وذكرت الأردن قاعدين يعايرونا ويقولوا إذا كانوا فالحين ياخدوا حقوقهم اللى إسرائيل واخداها منهم من سنة ٥٦، ما حصلش الكلام ده يا«عبدالحكيم» فاكر لما أتخذ القرار فى الاجتماع وسألتك جاهز يا«عبدالحكيم»؟! قلت لى برقبتى يا ريس.. مش ده كله حصل يا «عبدالحكيم»؟!

«عبدالحكيم»: صح.. طب ولما الأمور فى صالحك كده خايف ليه من المحاكمة العلنية، الشعب لابد يعرف كل حاجة ويحكم علينا!!.

«عبدالناصر» أنت بتتكلم إزاى يا«عبدالحكيم»؟! دى قضية عسكرية، وأسرار البلد كلها فيها، فازاى تكون محاكمة علنية؟

«عبدالحكيم»: هى البلد بقى فيها جيش لما يبقى فيها أسرار عسكرية، والحل الوحيد هو إجراء المحاكمة دى!!».

❑

وفى نهاية الحوار رفض المشير أن يعود إلى السلطة فى منصب نائب رئيس الجمهورية، فقال له عبد الناصر: إذا كنت مش عاوز تكون نائب رئيس جمهورية، إيه رأيك تمسك الاتحاد الاشتراكى؟!

ورفض المشير كل عروض الرئيس لأسباب لم تستبن إلى الآن!!

❑

وفى مذكرات الفريق أول «محمد فوزى» يقول:

«سافر «المشير» إلى قريته «أسطال» وبقى هناك لمدة أسبوع تقريباً، حيث لحقه «شمس بدران» و«عباس رضوان»، وبعض الضباط الكبار، والمحالين إلى المعاش وحتى تلك اللحظة كانت العلاقة العاطفية من الرئيس «عبد الناصر» تجاه «المشير» ما زالت موجودة. هذه العلاقة التى استمرت طوال عمر الثورة مع «المشير» فقط دون بقية أعضائها، وكان الرئيس يود أن ينتهى موضوع «المشير» بسلام».

❑

ونقترب من مذكرات «عبد الصمد محمد عبد الصمد» الذى عايش تلك اللحظات المثيرة بحكم موقعه من المشير عامر، فيقول:

«ذهبت فى الساعة السابعة مساء - ١٠ يونيو - إلى بيت المشير القريب من بيتى ورأيت الحديقة صفراء! فقد كان مئات من ضباط الجيش من مختلف الرتب يملأون الحديقة فاخترقت هذا الحشد بصعوبة وصعدت إلى حيث مكتب المشير وقاعات الاستقبال وكان الحشد أشد تكدساً ومن كبار قادة الجيش وكان بينهم الفريق محمد فوزى، وخرج المشير من مكتبه ومن خلفه حسنين هيكل (الذى انصرف) وكان رابط الجأش لا يبدو عليه أثر اضطراب أو هذيان (كما كتب أحد الصحفيين) ولكن مظهر الحزن العميق كان أمراً طبيعياً وقال للمجتمعين أشكركم كل الشكر وأرجو أن تتفضلوا بالعودة إلى مواقعكم وإن شاء الله بكره الساعة عشرة نتقابل فى القيادة.

وعدت إلى بيتى حيث جاء حسن عامر وابن عمه الزميل المرحوم عامر والزميلان المرحوم حسن سعداوى.. ومحمود عبد الله والأول النائب السابق لـ «أبو قرقاص» والثانى النائب الحالى ثم حسن حسين زوج شقيقة المشير وابن خال السيدة حرم عبدالناصر. وتناولوا معى العشاء وأمضينا جميعا السهرة وكل واحد منا يعتقد أن المسألة سويت وقد عاد الجميع إلى مناصبهم (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت!!). واتصل بى عدد كبير من الأصدقاء فأخبرتهم باعتقادنا فأظهروا سعادة كبيرة وأقسم أحدهم أن يأتى إلينا ماشياً على قدميه!! وبعد هذه الليلة لم يكلمنى أحد ولم أر وجه أحد حتى اليوم!

فى صباح ١١ آثرت البقاء فى بيتى هرباً من رؤية من يعرفونى!

وتناولت طعام الغداء وبينما أنا ذاهب للنوم كعادتى وبعد حرمانى منه لمدة أسبوع سمعت نشرة إذاعة الثانية والنصف وفيها إعلان تعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاماً للقوات المسلحة، وأدركت أن شيئا ما حدث لعبدالحكيم أو معه وأنه أخلف وعده أو أجبر على عدم الذهاب للقيادة. وعلى الفور ارتديت ملابسى وذهبت إلى بيته بشعور الصعيدى الريفى يجامل أصدقاءه وهو لم يكن مجرد صديق يكفى أنى نائب بلده ودائرته!! ووجدت البيت وكأنه أطلال زمن غابر وأنه لم يسكنه أحد منذ ولى هذا الزمن!! ووجدت نفسى وحدى مع ضابط ملازم ذراعه مقطوعة فى إحدى الحروب ويجلس أمام سويتش التليفون الذى لم أسمع له أى رنين ولا أرى أو أسمع غير الصمت المخيف والاكتئاب فى وجه هذا الضابط الحزين!!

عدت إلى أهل بيتى واجما. وبحثت فى كل مكان فلم أعثر على المشير أو شقيقه

حسن أو شمس بدران.. وفى المساء جاء الزميل عامر والصديق حسن حسين وكانا مثلى أخفقا فى العثور على الثلاثة!! وذكرا لى أنهما أخبرا منزليهما بأنهما عندى.. ثم جاءتنا مكالمة بأن الثلاثة فى سمالوط فاتفقنا على أن يجيئا فى الصباح ونسافر معاً بالسيارة!

ووصلنا ظهر يوم ١٢ يونيو إلى أسطال بلدة المشير ولكن لم نر ما يدل على وجوده وقيل لنا إنه فى منزل أخيه الأصغر مصطفى على بعد ثلاثة كيلو مترات فى عزبة اسمها عزبة خديجة. ولما وصلنا وجدته وشقيقه حسن وشمس يجلسون معا وفاجأنى قبل أن أسلم عليهم بسؤال فيه بعض التهكم قائلاً (شفت صاحبك سعد)؟ وفهمت أنه يقصد سعد متولى وقلت لا ما شفتش حد إيه اللى حصل؟ وقد تبادر إلى ذهنى أن سعد تصرف تصرفاً يسيء إلى المشير وبسبب صداقتى له فقد يكون اسمى أقحم فى هذا التصرف وأكون ارتكبت خيانة من أول يوم فارق فيه المشير الحكم وأصبح (بروتس) الأول!!

لكن المشير كان يقصد بهذا السؤال فتح باب الحديث من بدايته فقال.. أنا فت على جمال إمبارح الصبح وقلت له طبعاً هيكل وفوزى قالوا لك على اللى حصل إمبارح؟!

أنا كنت بره ورجعت أنا وأخويا حسن ودخلت بصعوبة شديدة. وفوجئت بوجودهم (يقصد وجود ضباط الجيش فى بيته مساء يوم ١٠ يونيو) لكن التفصيلات دى طبعاً ما توصلكش وما قدرتش أمنع تأثرى العاطفى أو أتجاهل هذا الوفاء وكنت عارف أنهم مش حيسبونى إلا لما أعلن لهم عدولى عن الاستقالة فقلت لهم أنا رايح القيادة بكره الساعة عشرة ومن فضلكم كل واحد يروح موقعه لأن ده مش وقت تظاهر من أجل المناصب.. ده وقت استعداد للأخذ بالثأر وشكرتهم وانصرفوا.. ولم يشك جمال فى كلامى بالطبع لأنى لو كنت عايز أرجع كنت بالغت فى وصف شعورهم وقلت مثلاً إنهم متمسكون بعودتى وما قدرتش أرجع فى كلامى لكن قلت له أنا جاى أشوفك وأودعك لأنى مسافر البلد أرتاح شوية ومش حاروح القيادة.. اللى قررته إنك ما دمت تحملت المسئولية كاملة يجب أن تصلح الموقف بحرية كاملة فى التصرف.. أنا يا جمال القدر حدد نهايتى والحمد لله راضى بحكمه وأنت ربنا يوفقك وتمحو هذا العار.

وقال جمال برضه (يا حكيم) تسيبنى وحدى فى الظروف دى وتمشى.. خلاص مش

عايز تشتغل معلهش!! لكن ما تسبشي أخوك وحده وتروح تقعد في أسطال هو احنا بيننا مناصب؟ أو دي مهمة يقدر عليها حد لوحده؟ خليك (يا حكيم) إحنا ما نستغناش عن بعض حاحتاج لك وتبقى قريب مني.

قلت له أنت عارف لما بلدى تعوزني أقاتل في الميدان كجندي يبقى ده الشرف اللي باتمناه؛ أموت وأنا باقاتل لكن أنا شايف إن دي المصلحة وإن حبيت تاخد رأيي أنا بارشح لك محمد فوزي تعينه قائد عام وبعدين ترتبوا أموركم زي ما تشوفوا، وتعانقنا بحرارة وقبل ما أمشي افتكر حاجة فقال لي سمعت باللي قالوا لي شمس إمبارح؟

يقول المشير ـ مستطرداً ـ وقلت له:

عبدالحكيم: أيوه قال لي شمس على كل حاجة.

جمال: عاجبك كلامه؟

عبدالحكيم: انت عارف شمس (مبرشم) وما يعرفش يعبر أحسن من كده؟ وبتشكي لي شمس ليه ده ابنك الروحي المناكف اللي اديته لي هدية؟!

جمال: أنا باسألك عن معنى كلامه.

عبدالحكيم: المعنى ده هو اللي اتفقنا عليه وأنت اللي رجعت فيه.

جمال: أنا رجعت غصب عني بضغط الشعب!

عبدالحكيم: أيوه صحيح.. أنا نسيت ضغط الشعب!!

جمال: انت بتتكلم جد وللا بتتهكم؟!

عبدالحكيم: وإيه الفرق؟ المهم إنك رجعت وربنا يوفقك.

ثم يستطرد المشير قائلاً: ولما بان على وشه إنه كان عايزني أكلمه بغير أسلوبي معاه وبغير المواجهة الصريحة قلت له أوعى يا جمال تفتكر أنه حييجي يوم أغير أسلوبي معاك وفي معاملتي لك؟ أنا قلت لك مش رايح القيادة.. يعني مش رايح.. مش علشان خاطرك؟ لأ بالعكس أنا مازلت باشوف إن مصلحة البلد ومصلحتك أنت كمان إنك تسيب الحكم ولو كنت بافكر في مصلحة خاصة كنت لا طلبت منك تسيبه ولا أنا كمان كنت سبته، وزي ما قلت لك أنت أقرب واحد لي.. لكن مصر أقرب منك.. وكان يجب تفكر أن رأيي مجرد عن الهوى لأنه إزاي أفضّل زكريا عنك؟ وانت عارف اللي بيني وبينه؟

ويستطرد المشير قائلاً: ويظهر أنه خاف رغم كلامي ده أني أرجع في رأيي وأروح القيادة لأنه راح متلاعب بعواطفي وهو عارفني كويس وأنا كمان أكتر واحد فاهمه فقال جرى إيه يا (حكيم)؟ أنت طول عمرك قلبك أبيض وطيب إيه اللى خلاك تتصور أن العلاقة بيننا تتغير فى أى يوم. ثم احتضنني وقبلني.. فتأثرت تأثراً كبيراً وبادلته عواطفه (ولو إنى عارفه) بأحر منها وانصرفت؟!

ويتكلم شمس فيقول: أنا ما قلتلوش حاجة لما طلبته أول إمبارح (يوم ١٠ يونيو) وقلت له ومستعجل على إيه؟ مش كنت تستنى شويه لما تشوف زكريا ح يعمل إيه؟ وأنت فى أى يوم تقدر ترجع وزكريا مش ح يتمسك بالحكم أو يقاومك لو ما نجحش.. زكريا كان ح يتصل بالأمريكان ويقول لهم أنا جيت بشرط إنكم تحلوا المسألة وتعلنوا موقف حازم وحاسم بإصراركم على انسحاب إسرائيل زى ما عمل أيزنهاور ونبدأ صفحة جديدة من العلاقات الطيبة والتعاون على حل القضية وإحلال السلام فى المنطقة.. وإذا ما عملتوش كده وأعلنتم موقفكم فى خلال أيام أنا ح أسيب الحكم ويرجع جمال يتفاهم مع روسيا وفى الوقت نفسه يتصل بالروس ويقول لهم إما أن تقفوا موقفاً حاسماً وتتفقوا مع الأمريكان بوسائلكم بإعلان تدخلكم إذا لم تجلو إسرائيل أو أنى ح أتفاوض مع الأمريكان وحدهم.

لكن أنت رجعت وأنت عارف إنك لا ح تأخد حاجة من دول ولا من دول!! آدى اللى قلته! فيه إيه الكلام ده؟ أنا مش عارف زعلان من إيه؟ هو ح يعمل إله علىّ أنا كمان؟

واستطرد المشير قائلاً: طلعت من عنده وشعورى إنى ودعت خمستاشر سنة فاتوا واحنا فى مسئولية الحكم.. لكن كنت حاسس أن احنا أخيراً ودعنا الشكوك والخلافات والأجواء الفاسدة اللى سببها الحكم وأن صداقتى مع جمال أتولدت من جديد ورجعت بريئة نظيفة زى ليلة قيام الثورة وكنت فاكر إنه كمان أخيراً وجد صاحبه عبدالحكيم.. ولو أنها مناسبة تعسة لكن العواطف الإنسانية بتعيش فى أى مواقف.

ورحت بيت شمس وقلت له يتصل بالقيادة ويقول لهم إنى مش رايح ويطلب من الضباط الانصراف وكل واحد يروح شغله.. وراح شمس اتكلم فى التليفون وطوّل شوية ورجع يقول لى مافيش فايدة الضباط ما صدقوش وفيه ألف ضابط فى القيادة بيقول بعضهم إنى باخدعهم وفاكرين إنى مش معاك فقلت له أنا ح أكلمهم بنفسى.

وكلمت اللواء على عبدالخبير وقلت له أنا اللى قلت لشمس يكلمكم وكلامه صحيح قول للإخوان كتر خيركم وأشكركم وأن قرارى لمصلحة البلد والجندى ما بيختارش قائده فيه قائد جديد ح يتعين وأنا معاه ومعاهم بروحى وحياتى والعلاقات الشخصية باقية بيننا وأنا وجمال شخص واحد والعسكرية ما فيهاش عواطف وآخر ما أطلبه منك تعمل لهم انصراف.

ثم طلبنا مصطفى نقول له احنا جايين فى الطريق يعمل ترتيب مكان ننزل فيه أنا وشمس والجماعة اللى صمموا يبقوا معايا من جنود الحرس لغاية كام يوم نبقى نتصل بفوزى يعتبرهم فى إجازة.. وسكت المشير فترة وطلب لنا وله قهوة وأشعل سيجارة وراح ينفثها فى ألم ومرارة وقال:

«أنا رميت المسدس فى الأرض ومشيت، وأنا ماشى راح واخده وضاربنى بيه!! تماما زى أفلام (الكاوبوى) ؟! طيب ليه؟ فيه حاجة تانى كان يمكن أعملها علشان يطمئن. وما عملتهاش؟ وأنا لسه فى السكة لهنا كان شكل لجنة برياسة زكريا محيى الدين وعضوية محمد فوزى وسعد متولى ومهمتها تطهير الجيش من أصدقاء وأنصار عبدالحكيم! يبقى لازم يسرحوا الجيش كله؟! واحنا فى حاجة لكل جندى وضابط.. لكن أنا عارف ح يفصلوا مين؟.

بعد تناول الغداء فى هذا اليوم الذى وصلنا فيه (يوم ١٢ يونيو) بقينا فى صمت وحزن إلى أن قال المشير وهو يشير إلى راديو كبير بجوار شمس كان لا يفارقه وأخذه معه فى السجن! قال له شوف لنا إسرائيل بتقول إيه يا شمس؟ وكانت نشرة الأنباء انتهت وبدأ التعليق وأخذ المذيع يزهو بالنصر فقال المشير فى ضيق.. كفاية يا شمس!

وذهبت إلى بيتى فى بلدى القريب وعدت فى المساء لأجد جلسة الظهر لم تتغير وقد ازدادت الكآبة والحزن وكان كل واحد منا يفكر تفكيراً خاصاً ونشعر بآلام نفسية وأحزان متفاوتة ولكن هذا الرجل كان يحمل أثقالاً من الهموم والآلام لا تتحملها الجبال.. كان يدفع ضريبة المناصب السياسية العليا وهى ضريبة تصاعدية تصل إلى فقد الحياة وما هو أسوأ من فقد الحياة؟!

وكان من التفاهة أن يتحدث أحد فى غير السياسة ولا يفتى ومالك فى المدينة!! فإذا لم يتكلم المشير الذى يعرف كل الأسرار فسنبقى فى هذه المحزنة إلى أن نختنق.. وبدأ كلامه بالحديث عن خطبة عبدالناصر التى قيل إنها خطاب استقالة!

قال: يمكن حد يكون فاكر إنى فوجئت بخطبة الاستقالة وباللى حصل بعدها؟ ده أنا باعتقد أن اللى صدق حكاية الاستقالة مش بس ساذج ده يبقى عبيط؟! هو أول ما اقترح ترشيح شمس للرئاسة كان واضح لأغبى إنسان إنه عايز يضمن ألف فى المائة أن الناس ح يثوروا ويتظاهروا حتى الطفل فى بطن أمه ح يصرخ ويحتج! ودى من الغلطات القليلة لجمال لما يتكلم معايا ويفتكرنى واحد من بتوع الاتحاد الاشتراكى! وبالطبع فوتها له علشان ما يشعرش أنى بأشك فى جدية استقالته.

وتأكدت شكوكى لما بدأ يكتب الخطبة لوحده.. أيقنت أن اللعبة بدأت! وأنه مش ح يجيب سيرة على أن الاستقالة جماعية ونتيجة دراسة ولصالح البلاد.. وواضح بدون حاجة لأى ذكاء أنه لو كان عايز يستقيل (بجد!!) لا كانت عايزة خطب ولا بكاء ونحيب من المذيعين والمذيعات كمقدمة جنائزية للخطبة!! ولو حد سألنى عن الخطبة قبل ما أسمعها كنت قلت له على اللى فيها؛ فجمال يكرر نفسه فى كل حاجة!! كل تنظيم سياسى أزفت من اللى سبقه! وكل برلمان (أنيل) من اللى قبله!

وفى آخر الخطبة بيقول إن قلبى كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم معى؟! فحين يقول إن دى خطبة استقالة ؟! ده واحد بيقول امسكوا فىّ وأوعوا تسيبونى؟! أنا عارف إزاى أطرد اليهود وباحبكم وعايزكم تحبونى!!

واستطرد «المشير» يقول: كان لاجتماعنا الثلاثى معنى واحد لا معنى غيره وهو أننا نتحمل مسئولية الهزيمة فمافيش حد له صلاحية القرار السياسى غير جمال والقرار العسكرى غير هو وأنا وشمس ده راح فى الرجلين باعتباره وزير الحربية ولو أن ترك الحكم مش عقوبة لأننا لا اشتريناه ولا ورثناه.

وبهذا القرار قررنا أننا نمشى وإلا أصبحت الهزيمة كالانتصار!! ولكن ظهر معنى جديد لتحمل المسئولية وهو تجديد الثقة بالمسئول الأول عن الهزيمة واستمراره فى الحكم لغاية ما تيجى هزيمة ثانية ويتحمل المسئولية مرة ثانية! ومش بس الاستمرار ولكن زيادة الانفراد بالحكم والتحكم باسم إزالة آثار المصيبة الجديدة!! وبهذا يكون معنى تحمل المسئولية هو المكسب من تحمل المسئولية.

والأدهى وأمر إنه بيقول فى خطبته (وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها!) يعنى إيه قد أكون؟! ده أنت لازم تكون ونص! لازم تكون عملت ألف حساب وألف دراسة لقرار مصيرى مثل قرار

الحرب. فعوامل النجاح والفشل لازم تحسب وتدرس بدقة وعمق وروية قبل فتح فمه بوعيد أو تهديد ويقول أهلا وسهلا بالحرب ويبدأها بالخطب والكلام وبعد ما ترك المصريين لا يتصورون احتمال أى مخاطر يقول لهم (كنا فاكرين اليهود ح ييجوا من الشرق جاءوا من الغرب!!).

وإنى على استعداد! استعداد إيه؟! أنت استقلت واللا لسه على استعداد لتحمل المسئولية؟! ولكن كم واحد حلل هذا التحليل وسأل هذه الأسئلة ؟! وما تأثيرهم؟ ويختم كلامه فى أسى قائلا على كل حال ده مش وقت الحساب!

يقول «عبدالحكيم عامر»: حتى حقى فى إذاعة استقالتى عايز يلغيه؟! وأقول لنفسى، انت عرفت دلوقتى بس أن مافيش حد فى البلد له حقوق؟! وإمتى حد غيرك استقال وحد عرف باستقالته؟! وربما خطر على باله لحظة أن يذيع استقالتى واستقالة «شمس» ويصهين هو عن حكاية استقالته والتمثيليات لزوم الاستقالة المزعومة ويخطب ويقول أنى أنا و«شمس» المسئولان عن الهزيمة وقدمنا استقالتينا، وبالطبع الموقف ده أصلح موقف لخروجه من الأزمة.

إذن كان لا بد من تمثيلية الاستقالة لأنه إما أن يقول إن احنا الثلاثة مسئولين ولا يجيش سيرة لاستقالته أو استقالتنا ويبقى موقف بارد ويقابل بهجوم وبدل المظاهرة تبقى جنازة!! أو يقول إن احنا الثلاثة استقلنا وفى الحالة دى يمكن يحدث صدمة للناس ويبان حجم الهزيمة وإنها مش ولعة فى شوية عفش وجردل ميه يطفيها ونفسد الزفة للى راسمها!! أو لا تحدث الصدمة وتمشى الزفة زى ما هو عايزها لكن فى الحالة دى ح نمشى فيها!! فالناس ح يهتفوا بعدم التغيير وفى الحالة دى يرجع (الفرسان الثلاثة) لقواعدهم!! وتبقى المسألة كأنه لا حد حارب ولا حصل حاجة ولا فيه غالب ولا مغلوب!! واللى يتكلم بعد كده يأخد على رأسه!.

ويستمر المشير فى تحليله للأحداث فيقول: انتظرت إذاعة استقالتى قبل أن تطلب الإذاعة انتظار خطاب خطير لرئيس الجمهورية، وألقى خطابه ولم يذكر استقالتى فيه وكان ممكن أطلبه وأقول له أنت ما ذعتش استقالتى معاك ليه؟ ثم أطلب منه الأمر بإذاعة استقالتى ولكن سببين منعانى من هذا التصرف.. الأول أنه كان ح يقول لى.. أنت قدمت استقالتك قبل ما أستقيل ودستوريا أذيع استقالتى وحدى!.

والسبب الثانى هو عارف إنى لا أرجو أو أطلب حق لى! حقى آخده بنفسى إذا قدرت وإذا ما قدرتش خلاص غار ولا أترجاش!.

وانتظرت بعد الخطبة وبرضه ما ذاعوهاش وقلت لـ «شمس» تـأخير الإذاعة أفقدها قيمتها لأن الناس ح يقولوا ده استقال لما وجد رئيس الجمهورية بيستقيل وكان مستميت في مناصبه ومش عايز يسيبها فلازم حد يروح يذيعها حالا لأن كل تأخير فيه مظهر الاستماتة فى الحكم.. فابعت يا «شمس» حد من مكتبى يروح يذيعها.. وانتظرت إن الإذاعة تقطع إذاعتها وتذيع النبأ.. لكن ما حصلش.. لغاية ما رجعوا اللى راحوا الإذاعة وواضح من منظرهم فشلهم فى مهمتهم فقلت لهم إيه؟ ماوافقوش؟ قالوا طلبوا أمر من الوزير!! قلت لهم ما دام الاستقالة لم تعلن فمعكم أمر من نائب رئيس الجمهورية.. هل الأكبر هو واللا الوزير؟ الظاهر أن المسألة أكبر من كده.. أنا رايح بنفسى أذيع الاستقالة!!.

ولكنهم ترددوا وتلعثموا وأخيراً قالوا إن سامى شرف أصدر لهم أمر بأنك لو رحت الإذاعة يمنعوك من الدخول!! قلت ما شاء الله! هى وصلت لحد «سامى شرف»؟! وجن جنونى وقلت لازم أروح فورا، ولو مت هناك الناس ح يعرفوا على الأقل أنا رحت الإذاعة علشان إيه؟ لكن خطر لى خاطر تعقل فقلت أسأل «جمال» فى الأول وأشوف الحكاية إيه؟ ولما طلبته ورد قلت له:

«عبد الحكيم»: والله هزلت يا «جمال»؟

«جمال»: إيه بس مالك يا «عبدالحكيم»؟

«عبدالحكيم»: وصل الأمر أن «سامى شرف» يصدر أمر يمنع «عبدالحكيم عامر» من دخول الإذاعة ليذيع استقالته؟ «سامى شرف»؟ «سامى» هو اللى يصدر أمر علىّ؟ يبقى هزلت واللا ما هزلتشى يا «جمال»؟ أنا رايح الإذاعة وأشوف اللى يمنعنى مين!.

«جمال»: اهدأ بس يا «عبدالحكيم» وقول لى عايز إيه؟!

عبدالحكيم»: لسه مش عارف عايز إيه؟! أنا مش قدمت لك استقالتى ماذعتهاش ليه؟

«جمال»: مش يمكن نعيد حساباتنا ومافيش داعى لإذاعتها ؟

«عبدالحكيم»: إعادة الحسابات شيء وإذاعة الاستقالة اللى فى عدم إذاعتها مساس بكرامتي وكرامة العسكرية المصرية شيء آخر.. ويامـاناس بيستقيلوا ويسحبوا استقالتهم!!

«جمال»: حاضر ح نذيع الاستقالة حالا.

عبدالحكيم»: وما دام «سامى شرف» بيأمر يبقى على صبرى بيشنق! ولازم هو كمان أصدر أمر للجرايد ماتنشرش الاستقالة.

جمال: ستذاع وتنشر بس اهدأ يا «عبدالحكيم»!!

ثم يقول «المشير» وأذيعت الاستقالة ونشرت بطريقة نشر فقد ختم أو استقالة شيخ بلد».

ويمضى «عبدالصمد محمد عبدالصمد» فى روايته قائلا:

«لم يكن مضى على وجود «المشير» فى بلده غير ثلاثة أيام حينما ذهبت لزيارته كالمعتاد فى كل ليلة أقامها هناك.. ورأيت (دكك وكراسى كثيرة أمام سور حديقة البيت الصغير وقد جلس عليها عدد كبير نسبيا من المواطنين من مركز سمالوط وكان بينهم عدد من أصدقائى الناخبين فى دائرتى الانتخابية والمشتركة مع دائرة «المشير» فجلست معهم.

وأقبل «حسن عامر» ليخرجنى من حيرتى ويأخذنى معه ونسير بعيداً عن الزائرين ويفاجئنى برغبة عجيبة! طلب منى أن أذهب بنفسى ولا أستعمل التليفون إلى بنى مزار (شمال بلدى) وأطلب من صديق لنا هناك أن يكلف من يراقب الطريق الرئيسى ليلا حتى إذا رأى قوة قادمة من القاهرة يخطرهم تليفونيا قبل وصولها إليهم بوقت مناسب.

وسألته فى دهشة ليه؟ قال مش بعيد ييجوا يعتقلوا «المشير»!! ولما كنت أعرف عن الصديق «حسن» اتزانه وقلة الكلام وتجنبه وضع النقاط فوق الحروف حينما يتحدث عن أسرار أو موضوعات هامة فقد أيقنت أن الاعتقال واقع وليس احتمالا كما ذكر! ولكن لماذا يعتقل «المشير»؟ وما فائدة أن نراقب القوة التى ستجئ لاعتقاله؟ وكنت أعرف أنى لو سألت «حسن» سؤالا مباشراً فهو لن يجيب إلا إجابات غامضة.. وكان المشير هو الذى يجيب إجابات صريحة ولا يخفى عنى شيئاً ما دمت سأشترك فى تنفيذ هذه المهمة المخيفة!.

إلا أنى فهمت أن «حسن» يريد أن أبقى هذا الأمر سرا بينى وبينه ولم أكن فى حاجة لمعرفة سبب هذه المهمة فقد كنت على يقين من أن «المشير» لن يستسلم ولن يسلم وهو على قيد الحياة! ومهما كانت المعركة غير المتكافئة فإنه سيقاوم وإن كان عنده أمل كبير فى أن أى قوة من الجيش لن تعتقله بل ستنضم إليه!.

وكنت أعرف أن القوة الموجودة مع «المشير» عندها بضعة مدافع صغيرة وبضع بنادق سريعة الطلقات وكافية لحدوث مذبحة مخيفة!!

ويعترف «عبدالصمد محمد عبدالصمد» بأنه لم ينم فى تلك الليلة ليس بسبب الخوف وحده ولكن بسبب القلق أيضاً ثم يقول:

وكنت أتوقع أن يسألنى «حسن» فى لهفة عن تنفيذى لتلك المهمة ولا أريد الكذب الذى كان آفة حياتنا وسبب كل النكبات والمصائب.. ولا أريد الصدق كى لا أفسد خطة تجنب الصدام الدموى الرهيب وكانت كلمة واحدة هى التى تحمل معنى الصدق والكذب فى وقت واحد وهى (أنى تصرفت)!! فلا أكون كذبت لأنى تصرفت فعلا بما يمنع وقوع الكارثة ولا صدقت لأن «المشير» سيظن أنى نفذت المهمة كما أرادها!.

ولكن فوجئت برؤية «حسن» ووجهه لا يدل على أى توتر أو قلق أو اضطراب! ولم يسألنى عن شيء كأنه لم يحدث بالأمس شيء وأننى كنت أحلم بكابوس مخيف! فقلت له أنا شايفك طبيعى جداً أمال نشفت دمى إمبارح ليه؟! قال بالغموض الذى أتوقعه: ظروف! ولم أسأله عن أمر يريد كتمانه وذلك كان أسلوب تعاملنا فى علاقتنا ولكن «المشير» كان أصرح وأشجع وأقوى وحينما يثق فى شخص خاصة إن أشركه معه فى تحمل مسئولية فلا حدود لثقته... فبعد انصرافى بالأمس فوجئ بمكالمة من «عبدالناصر» بدأها بقوله:

«جمال»: أعمل إيه؟ اشتقت لك!! قلت أسأل عليه أنا ما دام هو مش عايز يسأل.

وتلعثم «عبدالحكيم» الذى لم يجد كلاما يرد به على تمثيلية الأشواق المفاجئة! فقال له:

إزى الأولاد فلان وفلانة. وكان يحب أبناء صديقه كأبنائه تماماً كما كان عمهم «حكيم» أول وأكبر حب فى حياتهم.

وطلب «عبدالحكيم» منه أن يكلم الأولاد فقال له جمال إنهم والأسرة يزورون أسرته فى الجيزة . فشكره «عبدالحكيم» فقال «جمال» جرى إيه يا«حكيم»؟ إحنا بقينا أغراب واللا إيه؟ هى المسائل الطبيعية عايزة شكر؟.

وقال «جمال»: ما تيجى بأه يا «عبدالحكيم»! أنا مش شايف معنى لقعادك عندك وسايبنى وحدى فى الظروف دى.

قال «عبد الحكيم»: معلهش بارتاح كام يوم ولما تحتاج لى بعد ساعتين أكون عندك أو تبعت لى طيارة على المنيا بعد نص ساعة أبقى معاك.

وختم «جمال» حديثه بقوله: معلهش أسيبك شوية زى ما أنت عايز لكن ضرورى تيجى بسرعة.

بعد سماعى لهذا الحديث استأت استياء شديداً لسوء ظنهما «المشير وحسن» بـ «جمال» صهرهما العزيز وصديق العمر!!

وكان إجماع الحاضرين فى التعليق على هذه الأشواق سبب المكالمة أنها لعبة مكشوفة وفيها امتهان لعقولهم! ولكن «المشير» كان عاطفيا فقال لهم (الراجل معذور ما يقدرش يتكلم فى التليفون غير كده). وكان الحاضرون والقريبون والمتصلون بـ «المشير» يخافون عليه من هذه العاطفة وحسن الظن اللذين يؤثران فى تصرفاته بعكس «عبد الناصر».

وكان رأيهم فى الأسباب التى دعت «عبدالناصر» إلى هذا الاتصال ولم يمض غير ثلاثة أيام على فراقهما أن عنده أموراً تقلقه فى القاهرة أو يخشاها أو يتوقعها، وأن «عبدالحكيم» قادر على أن يطمئنه ويزيل القلق من نفسه وأنه ـ عبدالناصر ـ سيستغله بصورة ما وأسلوب ما لا يعرفونه حتى إذا انتهت مهمته كان له منه موقف آخر!.

كما كانوا يذكرون اللجنة التى شكلها «عبدالناصر» لتصفية «عبدالحكيم» ويعجبون كيف يقتل القتيل ويلطم الخدود ويكون أحد المشيعين لجنازته نواحا ونحيبا! ويتساءلون ماذا سيقول لـ «عبدالحكيم» تبريرا لهذا التصرف؟

ويطرأ على أحدنا خاطر فى اقتراح يخفف به حدة هذه الكآبة التى تسود الجو الحزين الذى نعيشه فيقترح أن يدلى كل واحد منا بتصوره لما سيبرر به «جمال» تصرفه وأن يكون بيننا رهان يكسبه من يصدق فى تصوره! ولكن أصغر الحاضرين سنا يقول إننا جميعاً سنخسر الرهان! فلا يمكن لأحد أن يصدق فى حكمه على أى تصرف من تصرفات «عبدالناصر».

ويقول واحد أن السبب الثانى هو أن يكون «عبدالحكيم» تحت رقابته فى القاهرة، ويرد آخر بأن الرقابة هنا أيسر وأن المباحث ترصد وتسجل كل زائر له هنا.. والمكالمة التليفونية يسمعها جميع موظفى الترنك من القاهرة إلى سمالوط! ولا يبقى إلا أسوأ

ظن وهو إنه يريد استدراج «عبدالحكيم» للإقامة فى بيته فى الجيزة ليؤلف له اتهاماً يصعب إلصاقه به لو كان فى قريته.

❑

كانت مصر غاضبة غضبا لا حدود له فى الساعات والأيام التى تلت تلك الهزيمة الفضيحة.. لم تكن مصر تستحق هذه الهزيمة بنفس القدر الذى لم تكن إسرائيل تستحق هذا الانتصار!.. لقد دفعت مصر ثمن هزيمة لم تكن تستحقها أو تتوقعها!!،وكان ما يجرى فى كواليس القيادة السياسية يدعو للدهشة والحيرة والغضب أيضاً، لكن شيئاً مما كان يجرى وقتها لم يخرج إلى الشارع والناس، ولم يتجاوز نطاق جدران الغرف المغلقة!!.

كان أغرب ما يجرى وقتها محاولات مستميتة يبذلها الرئيس.. «جمال عبدالناصر» للصلح مع «المشير عبدالحكيم عامر»!!.

قام بهذه الوساطات بين الرئيس و«المشير» أكثر من شخص بارز ومسئول وقتها، صلاح نصر رئيس المخابرات العامة.. و«عباس رضوان» و«الدكتور ثروت عكاشة» و«أنور السادات» و«محمد حسنين هيكل».

لقد التقى كل هؤلاء «المشير» وتحاوروا معه، لكن محاولات الوساطة باءت بالفشل، وظل «المشير» مصمماً على موقفه!.

كان «عباس رضوان» أحد هؤلاء الوسطاء الذى يقول:

«عبدالحكيم عامر» سافر المنيا يوم ١١ يونيو وكلمنى «عبد الناصر» قبل ما يسافر قال لى: «عبدالحكيم» تركنا وسوف يسافر إلى المنيا وأنا سوف أعين «محمد فوزى». فقلت له: المهم إنقاذ البلد.. سواء أن عينت «محمد فوزى» أو خلافه.. المهم إنقاذ مصر.

ولقد بحثت عن «عبدالحكيم عامر» فلحقته فى الزمالك وكان عند أحد الضباط الزملاء.. وكان يتأهب للسفر إلى المنيا.. ركبت معه من الزمالك وحتى الحوامدية.. وكان حديثى إليه منصباً على ضرورة أن يعود.. ويجلس مع «جمال عبدالناصر» لإنهاء الخلاف. فقال لى: لا.. أنا تركت السلطة ومن الأفضل أن أسافر لأبقى فى المنيا. فقلت له: ارجع وخليك جنب «عبدالناصر».. للتفاهم.. لابد أن تتفاهموا.. ليس سهلا أن تعود قائدا عاما للقوات المسلحة ولكن لا أحب أن تحدث قطيعة بينك وبين «عبدالناصر» أو خلاف بينكما مهما كان الأمر.

وتركت «عبدالحكيم عامر» فى الحوامدية ونزلت من السيارة.. وكانت سيارتى تتبعنى طوال الطريق معه فركبتها عائداً إلى القاهرة، ولقد عين محمد فوزى قائداً عاماً للقوات المسلحة فى ١١ يونيو وكان «المشير عبدالحكيم عامر» لا يزال محتفظا رسميا بمنصبه كنائب للقاعد الأعلى وبعد ذلك بعدة أيام اتصلت بـ «جمال عبدالناصر» وقلت له: سوف أذهب لـ «عبد الحكيم عامر».. فقال لى خليه يفوت علىّ..».

ويقول «عباس رضوان» : «أنه فى ذلك الوقت كان «المشير» غاضباً من عبدالناصر، لأن «المشير» حسب تقديره فهم واستنتج أن «عبدالناصر» يريد أن «يلبسه الموضوع» يعنى هو المتسبب فى الهزيمة» ثم يضيف «عباس رضوان» فى شهادته:

«قلت لـ «عبدالناصر» سوف أذهب لمقابلة «عبدالحكيم عامر» فقال لى: حاول أن تقول له أن يزورنى.. وبالفعل جلست مع عبدالحكيم واتغديت معه وكان عنده بعض الضباط لزيارته وانفردت به لأقول له: لا بد أن تعود.. وكان جمال يحملنى رسالة له قلتها له.. وقد كان يوم ٢٠ يونيو ذهب «جمال عبدالناصر» إلى «عبدالحكيم عامر» فى منزله بالجيزة.. وذهبت إليه وقال لى: نحن نتحدث فى الموضوعات والمسائل المثارة.. لكن فشلت محاولات تقريب وجهات النظر بينهما، وأنا أقولها وللأسف.. لم أتنصل من أى شىء حدث وأخشى أن يظن البعض أن هناك خلافا كنت أنا مشتركا فيه.. أنا على يقين أنهم لو جلسوا مع بعض لانتهى الخلاف».

وتشير «برلنتى عبد الحميد» إلى محاولة أخرى لـ «عباس رضوان» فتقول:

«ذهب «عباس رضوان» إلى أسطال، واجتمع بـ «المشير» لمدة ثلاث ساعات فى محاولة إقناعه، والعودة إلى القاهرة، وكان العرض الذى جاء به من عبدالناصر، هو أن يقبل «المشير» منصب نائب الرئيس ونائب القائد الأعلى ولكن بدون اختصاصات، وكان مما قاله «المشير» فى هذا اللقاء: «انت ناسى يا عباس أسلوب «عبدالناصر».. يدى نياشين ما تكلفهوش حاجة.. وبعدين يركنا زى بغدادى فى الثلاجة.. وإذا كان بغدادى رفض أن يكون «يافطة» فهل يقبل «عبد الحكيم» فى آخر أيامه أن يكون «يافطة» وعلشان إيه؟! علشان المرتب.. طب أنا معاشى يكفينى». ومن الوسائل التى حاول «عباس» أن يقنعه بها، هى حديثه عن أولاد «المشير» - يقصد ضباط الجيش - الذى يجرى اعتقالهم ويفصلون كل يوم ويحالون إلى المعاش وهم فى أوج شبابهم.

ورد المشير بقوله: «سأتحدث مع جمال بخصوص الضباط، ولكن المبدأ أن الجيش

والسياسة تضحية.. فكل من يدخل الجيش يعرف أنه من المحتمل أن يموت.. كذلك من يدخل ميدان السياسة، معرض للخروج منها..» ولم ير عباس فائدة، فعاد إلى القاهرة».

❑

ولم يكن «أنور السادات» رئيس مجلس الأمة فى ذلك الوقت بعيدا عن محاولات رأب الصدع بين الرئيس والمشير، لم يذكر السادات شيئا عن عرض سفر المشير لكنه يذكر ماهو أهم وأكثر دلالة فيقول فى «مذكراته»:

«دعوته إلى العشاء عندى فى البيت ورحبت به واستقبلته أسرتى أحسن استقبال كما كنا نستقبله دائما عندما يأتى لزيارتنا، ولكننى لاحظت أنه قد تغير تغيرا كاملا. كان قد فقد الثقة فى نفسه وفقد معها استقباله للحياة وأصبحت شخصيته مهتزة تكاد تكون مفقودة الكيان، وقد آلمنى هذا كثيرا وخاصة عندما التفت إلىَّ وأبنائى يداعبونه كعادتهم وقال:

أنتم بتكرمونى قوى ياجماعة... لسة لغاية دلوقتى بتكرمونى؟!

فقلت له: دلوقتى يعنى إيه ياعبدالحكيم؟! علشان أنت مابقتش قائد عام ؟! هو أنا كنت صاحبك علشان أنت كنت قائد عام؟! ده برضك كلام حد يقوله؟!!».

ثم يضيف السادات قائلا: «وفى نهاية لقائنا رجوته أن يقبل منصب نائب رئيس الجمهورية الذى عرضه عليه عبدالناصر، ولكنه قال بجفوة :

لا... طول ما «جمال عبدالناصر» بيشتغل رئيس جمهورية ، أنا لازم أشتغل قائد على القوات المسلحة.. لاكده لا بلاش».

وتروى السيدة «جيهان السادات» جانبا آخر مما دار بين «المشير عامر» وزوجها فى ذلك اليوم فتقول:

وعند عودتى من إحدى جولاتى فى المستشفيات فوجئت بعامر يجلس مع «أنور» فى الشرفة ويشكو له مندهشا من الطريقة التى يعامله بها عبدالناصر وكيف كانا كالإخوة طوال طريق الحياة، وبدأت آلاحظ مدى الألم الذى يبدو على وجهه.

وقاطعت الحديث قائلة بلطف محاولة تهدئته: إن هذا وقت عصيب تمر به مصر، وليس وقت تحد بينكما (كنت أحدثه كأخت، وواصلت حديثى قائلة) إن أفضل وضع

الآن هو أن يذهب هو وعـائلته إلى بلدته ويستجم وبعد أن يمر بعـض الوقت فلا شك أنه سوف يستطيع التفاهم مع صديقه القـديم، ولكن إذا ظل يضغط عليه فلن يكون هذا فى صالحه، ولكنه ظل يفكر دون أن يسمعنى قائلا:

لم تكن الهزيمة مسئوليتى وحدى ونحن جميعا مسئولون عنها!

ورددت عليه مرة أخرى: إن هـذا ليس مهما الآن، إن الشعور العام بـأنه قائد الجيش يجعل الهزيمة مسئوليته وحده».

وتقول جيهان السادات إن «عبدالحكيم عامر» «ظل غير مقتنع وهز رأسه ولم يرد».

كان د. «ثروت عكاشة» طرفا فى محاولات الصلح التى جرت، كما روى له «جمال عبدالناصر» خفايا محاولة قام بها صلاح نصر!

أما المحاولـة التى قام بـها «ثروت عكـاشة» فقد جـرت وقائعهـا فى أحد أيام يـوليو ١٩٦٧ عندما زار مصر مسـئول فرنسى تربطه بالدكتور عكاشـة صلة قديمة وأراد زيارة «عبد الناصر» فما كان من «د. عكاشة» إلا اصطحابه لزيارة الرئيس، وبعد انتهاء الزيارة استبقى الرئيس «د. عـكاشة» ثم أخذ يـحدثه «عمـا كان من عبدالحكيم عامر» وقـلقه الشديد من تصرفاته (!!)

وطمأن «د. عكاشة» الرئيس «عبدالناصر» قائلا:

إن «عبدالحكـيم» لايكن للناس إلا خيـرا لاسيما أنت، ولا أعتقد أنـه ينوى الإساءة إليك».

وسأل «عبد الناصر» «د. عكاشة»:

هل حقـا ما يشاع من أن الـبعض يطالـب بـعودة «المشير» إلـى القوات المسلـحة مرة أخرى؟!

وحسبما جاء فى مذكرات «ثروت عكاشة»: «أجـبته مندهشا بأنى أشك فى هذا وما أظن الرأى العام يوافق على عودته إلى قيادة الـقوات المسلحة من جديد» وأبديت له إنى على استعداد أن أذهب إلى عبدالحكيم لعلى أستطيع أن أجعله يعدل عن مطلبه إن صح هذا، فطلـب إلىَّ الذهاب لتوى إليه لأثـنيه عن رأيه بوصفـى صديقا للطرفيـن تاركا لى حرية التصرف وعاهدنى على أن يلتزم بتنفيذ ما سأنتهى إليه».

كانت الـساعة قد بلغـت الثانية عنـدما غادر «د. عكاشـة» بيت «عبد النـاصر» وقام

بالاتصال بـ «المشير» طالبا منه تحديد موعد، فاستمهله حتى الساعة الرابعة، وفى الموعد المحدد كان د. عكاشة عند «المشير» ودار بينهما حديث طويل استغرق حوالى ساعتين.

وكان مما قاله «للمشير» فى ذلك الحوار «إن الرأى العام لايرضى لك أن تعود ثانية إلى قيادة القوات المسلحة، ومن الخير أن تصرف هؤلاء الضباط الذين احتشدوا حولك فى بيتك، وما أظنهم فيما فعلوا يقصدون وجه الله ولا الخير للوطن، ولقد طلب منى «جمال عبدالناصر» أن أكرر عرضه عليك بأن تكون نائبا لرئيس الجمهورية، وإن كنت لا أرضى لك هذا أيضا، فما زلت عند رأيى بأن تهجر المناصب القيادية ولو إلى حين».

وحين رأيت منه الإصرار دفعنى الإشفاق عليه والخوف مما سيترتب على هذا العناد أن أعرض عليه فكرة طرأت لى ساعتها، وهى أن يقبل فيغادر مصر إلى أى بلد يشاء ليقضى فترة من الزمن يستجم فيه وتعاوده الطمأنينة، ولكنه رفض».

ثم يضيف د. «عكاشة»: «وكم أخذت وأعطيت معه بعد هذا، لكنه كان يعود فى كل مرة أشد إصرارا على عودته قائدا للقوات المسلحة، وأن يستجاب لكل ما يطلب، ثم أضاف إلى ذلك مطلب إعادة الحياة الديمقراطية على الفور».

ويقول د. «ثروت عكاشة»: «وماوسعنى بعد هذا إلا أن أودعه، وعدت إلى مكتبى فى الساعة السابعة مساء فعلمت أن «جمال عبدالناصر» كان قد استبطأنى وطلبنى مرات ثلاث، فاتصلت به لتوى وأنبأته بما كان».

❑

لكن ماهى حقيقة الوساطة التى قام بها «صلاح نصر» بين الرئيس و«المشير» فى ذروة مأساة يونيو ١٩٦٧.

فى التحقيق الذى قام به النائب العام مع «صلاح نصر» مساء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ طلب «صلاح نصر» مايلى:

«أرجو أن يسمح لى رئيس الجمهورية بالإدلاء بالدور الذى قمت به كحمامة سلام بينه وبين المغفور له المشير «عبدالحكيم عامر» حتى سقطت فى مكتبى يوم ١٣/ ٧/ ١٩٦٧ إثر إصابة بجلطة دموية شديدة، وكانت هذه المحاولات ابتداء من يوم ١٠ يونيو وأقصد محاولات التوفيق بين السيد الرئيس والسيد المشير، كما أرجو إثبات زيارة الرئيس لى فى مكتبى يوم ١٤/ ٧/ ١٩٦٧ حينما علم بما حدث لى من المرض».

وفى مذكراتها «المشير.. وأنا» تقول «برلنتى عبد الحميد»:

«عرض صلاح نصر نفس العروض التى عرضها عباس فرفض، فلما رفض المشير، قال له صلاح نصر: «هناك عرض آخر، وهو أن تتولى أنت - أى «المشير» - رئاسة الجمهورية، بينما يتولى «جمال عبدالناصر» رئاسة الاتحاد الاشتراكى..».

قال «المشير»: «طبعا هو يريد أن يحرقنى بطريقة قانونية - مثلما فعل مع محمد نجيب - أنا أصدر قرارا كرئيس للجمهورية، وهو يجمع الاتحاد الاشتراكى ويزايد على القرار... مثلا: إذا فرضنا ضريبة ما، طالب الاتحاد الاشتراكى بإلغائها... وإذا حددت الحكومة سعر أحد المحاصيل، طالب الاتحاد الاشتراكى برفع السعر، وعن طريق هذه المزايدات لا يبقى أمام الشعب، إلا أن يخرج فى مظاهرات - زى بتاعة ٩و١٠ - ويطالب بإقالة رئيس الجمهورية، وبهذا يرتاح منى سياسيا وعسكريا».

وعند وداع المشير لصلاح نصر قال له عامر: «أستحلفك بالله ياصلاح، بلغ الرئيس ألا يعطى أذنه «للعيال» الشيوعيين الذين حوله - الذين عودوه على أن يستمع إلى الأشرطة قبل النوم.. هؤلاء مستمرون فى الوشاية والكذب، وتلفيق التسجيلات... وأنت تعلم أن جمال «ودِنى» وهؤلاء العيال «راح يودوه فى داهيه» وأنا أخاف عليه منهم. لأن جمال جعل لِهم قيمة، وترك أيديهم تمتد فى كل مكان مثل الإخطبوط حتى التفت عليه هو نفسه. الله يكون فى عونه».

ونستكمل تفاصيل وساطة «صلاح نصر» كما وردت فى مذكرات «عبدالصمد محمد عبدالصمد» الذى يقول:

«ذهبت قبل ظهر يوم ١٦ يونيو إلى حيث يقيم المشير وفوجئت برؤية محافظ المنيا على فهمى شريف يجلس وحده فى شرفة البيت... وكنت أعرف أن المشير فى الإجازات ينام حتى الظهر فهو من هواة السهر ولذا لم أجد أحدا من الأسرة موجوداً... فجلست مع المحافظ كمضيف وأنا أحار فيما أفعل!

وأدرك المحافظ ما يجول بخاطرى... فقال لى إنه تلقى إشارة بأن ينتظر صلاح نصر فى مطار المنيا ويرافقه ليقابل المشير وأن «صلاح» تركه وحده وصعد إلى الدور الثانى ليقابله فانتظرت بلهفة مجئ أحد أفراد الأسرة ليجلس مع المحافظ وانصرفت لأعود فى المساء وأعرف سبب هذه المهمة التى كان واضحا أنها رسمية.

وعرفت فى المساء أن صلاح نصر جاء موفدا من «عبدالناصر» ليعرض عليه العودة

إلى منصبيه السابقين منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية ومنصب نائب القائ
الأعلى للقوات المسلحة ولكن بدون اختصاصات فتكون جميع أمور الجيش م
اختصاص «محمد فوزى» القائد العام وبالطبع من قبل هذا للرئيس القائد الأعل
ويبقى «المشير» معهما كمنظر!

وبالرغم من أن عبدالناصر اتصل بعبدالحكيم منذ ثلاثة أيام كما ذكرت فهو الآ
يوفد صلاح نصر بالإغراء الذى سبق وتنبأ به «عبدالحكيم» وخلال هذه الأيام الثلا
استدعى عباس رضوان وصلته الوثيقة بالمشير معروفة وشكا له من عبد الحكيم الذ
يتركه وحده فى هذه الظروف ويقعد فى بلده أسطال!

وكان رأى الأصدقاء أن يقبل المشير هذا العرض الذى كأنه هبط من السماء.. . وأ
ينحنى للعاصفة حتى تهدأ ثم يكون له التصرف الذى يراه... وقالوا إن الذين خرج
من الحكم اختفت أسماؤهم وانطفأت أضواؤهم ولم يعد أحد يذكرهم وانطووا ف
ظلام النسيان وساعد هو أو رضى لهم هذا المصير فلماذا يتوقع أن يكون مصيره أفضل
أو يحل لنفسه ما حرمه على غيره؟!

وكان الأصدقاء يظنون أن «المشير»طلب مهلة للتفكير فى عرض «عبدالناصر
فترافعوا مرافعات حارة ثم تبين أن مرافعاتهم كانت بعد صدور الحكم فى القضية!

وقال «عبدالحكيم» أنه يقدر وجهة النظر التى ذكروها... ولم تغب عنه وهو يعط
قراره الحاسم لصلاح نصر وهو رفض هذا العرض الذى جاء يحمله والذى كا
يتوقعه... وقال له قل لجمال أنا لا أعرف المناورات ولا التماحيك، وحينما استقلت ا
أكن أناور ليبقينى وقد كان فى وسعى أن أبقى بدون استئذانه وعلى غير إرادته فلما
ألقى الرغيف وأعود لأستجدى لقيمات منه أو أقبلها كإحسان شاكرا له كرمه! ثم قا
كنت أظن أنكم مقدرون لأسباب الرفض ... فمسألة الاختصاصات هى سبب استقال
سنة ١٩٦٢ وسلبى إياها يعنى تماما إبعادى عن الجيش وهى أمنية جمال من (حداش
سنة) وتحققت برضائى! ولما استقلت وقتها لو كان قادر يقبل الاستقالة كان قبلها و
كان قادر يعزلنى كان عزلنى! فالمسألة مش زى الناس ماهم فاهمين إن اللى بيننا صلا
وعواطف بتتدخل فى القرب والبعد والمناصب... اللى بيننا فرض وجوده على غ
إرادته! فلا يمكن لجمال أن يشترك معه واحد فى الرأى أو يقبل أن واحد يرفض له رأ
علشان سواد عيون الصداقة والعواطف.

وأكثر من كده رجوعى للجيش من غير اختصاصات معناه أن محمد فوزى يصدر قرار بإحالة مدير مكتبى للمعاش ويصدق عليه جمال وأنا أقرأه فى الجرايد!

بتقولوا أقبل اللى عرضه علىّ علشان مصلحة البلد... إيه فايدة إنى أرجع وأتحمل المسئولية لسياسة لا أؤمن بها ومن غير ما يكون لى قدرة على تغيير هذه السياسة أو إقناع جمال بتغييرها؟ الأفضل أنى أبعد وأحتفظ بصداقتنا حتى إذا قلت له رأى يسمعه ولا يعتبروش إملاء رغبة.

كان عبدالناصر قد طلب من صلاح نصر أن يبلغ عبدالحكيم بأنه إذا قبل المنصبين المعروضين عليه فإنه يجب أن يحضر مع صلاح فى الطائرة أو بعده بيوم أو يومين على الأكثر حتى يمكن إصدار القرار الخاص به والتشاور معه فى التشكيل الوزارى الجديد.

ولكن عبد الحكيم قال اعمل معروف ياصلاح تقول له يسيبنى وما يفتكرش إنى زعلان... زعلان من إيه بس؟ ماأنا كان فى إيدى كل حاجة ... قل له هو زهق وانسدت نفسه... وبقى عنده عقدة من الحكم واللى بيحكموا! مش من حقى أعيش حياتى زى أى مواطن؟ وعلشان مايحصلش أى دوشة ح أخلى شمس يجيب مراته وبنته ويقعد معايا شوية ويقطع أى طريق على نقل كلمة من هنا وكلمة من هناك... ونبقى عشنا حبايب وافترقنا حبايب... وإن كان عايز العربيتين دول والكام عسكرى بتوع الحرس أبعتهم له وهم بالطبع ح يزهقوا وأنا ماأقدرش أقول لضيف عندى امش وروح لشغلك .

وغضب شمس غضبا شديدا وقال إن له بلده وبيت أبوه زى «المشير» ماله بلده وإيه اللى يخليه يسيب المنوفية ويعيش فى المنيا ؟ وقال لى شقتى فى مصر والحتة اللى تحبوا أقعد فيها لكن تحددوا إقامتى وبرضاى كمان ده مش ممكن! ثم أن مراتى ح تولد بعد شهرين والبنت الصغيرة بتعوز دكتور أطفال كل يومين.. أنا أروح فى أى داهية معلهش! لكن دول ذنبهم إيه؟ وكمان ماأقدرش أسيبهم وأقعد هنا آكل وأنام... وطبعا لما ييجوا ح يأكلوا هم كمان؟ إحنا إيه مقاطيع؟

ولكن «المشير» قال له... أنت بتضحى علشان خاطرنا كلنا ... وأنت عارف جمال (ودِنى) ويسمع الخبص... وده قرار مصلحة عامة علشان نقطع لسان على صبرى وسامى شرف...

والجماعة اللى أنت عارفهم اللى خلى لهم جمال قيمة وأهمية علشان مايعرفش ينام قبل مايدور اسطوانات الخبص بتاعتهم!

ورضخ شمس وإن لم يقتنع والعجيب فيه أنه كان يتعامل مع عبدالناصر كزميل له ! ويتعامل مع «المشير» كمرءوس له ! وسافر للقاهرة وعاد بالسيدة زوجته وطفلته... كما جاءت السيدة زوجة «المشير» وأقامت الأسرتان فى بيت جديد كان بناه عامر ابن عم عبدالحكيم الذى رفض الإقامة فيه رغم أنه بيت كبير وجعله لأسر المهاجرين!

وكان المرحوم على شفيق فى أسطال لما علم بهذه القصة وكان بينه وبين شمس ما بين المطرقة والسندان وكان مشهورا بخفة الدم فقال على الله شمس ما يخلفش بنت؟ سألته ليه؟ قال علشان ما يسميهاش نكسة! ولكن شمس أنجب طفلا واعتقل بعد ولادته بأسبوعين رغم أنه سماه نصر!

لما اتخذ «عبدالحكيم عامر» قرار الإقامة فى بلدته أسطال ومعه شمس وأسرته لم يكن تنفيذ هذا القرار سهلا فقد كانت متاعب الهجرة الفجائية لا تحتمل أى زيادة فى عدد المهاجرين فقد جاء من القاهرة ضيوف جدد منهم المرحوم على شفيق وعبدالمنعم أبو زيد الذى نشرت بعض الصحف كثيرا أنه كان مدير مكتب «المشير» رغم أنه كان ملازم شرف فى حرسه وكان مسجونا والذى حاكمه شمس... ولكن «المشير» أفرج عنه وعن جميع المسجونين من العسكريين لما بدأت الحرب ليقاتلوا فى معركة شرف ولا يظلوا سجناء كأسرى الأعداء.

❑

أما شهادة الأستاذ «محمد حسنين «هيكل» «التى رواها فى كتابه» «الانفجار» فتختلف كل الاختلاف مع كل ماسبقها من شهادات حتى تلك التى جاءت على لسان «جمال عبد الناصر» نفسه وهذا أمر عجيب:

فى هامش صفحة ٨٧٥ يقول «هيكل» «كنت مع الرئيس «جمال عبد الناصر» فى مكتبه حينما وصل السيد صلاح نصر يطلب مقابلته والتقيت «صلاح نصر»داخلا إلى المكتب وأنا أخرج منه ذاهبا إلى مقابلة مع الدكتور«محمود فوزى» الذى كان قد تقرر سفره إلى الأمم المتحدة، وقد عدت بعد ساعة ونصف الساعة وكان صلاح نصر قد انصرف وسمعت من الرئيس «جمال عبدالناصر» تفاصيل مادار بينهما».

بعد هذه السطور «الاستهلالية» يروى «هيكل» ماجرى بين صلاح نصر والرئيس «جمال عبدالناصر» على هذا النحو:

وفى وسط هذه الشواغل كلها والهموم جاء إلى بيت «جمال عبدالناصر» على غير موعد السيد «صلاح نصر» مدير المخابرات العامة وعندما قابله «جمال عبدالناصر» بدأ «صلاح نصر» فأبدى دهشته من أن الرئيس لم يطلب استدعاءه لكى يسمع مالديه من معلومات المخابرات العامة خلال الظروف الأخيرة. وكان رد «جمال عبد الناصر» عليه مباشرة هو قوله «إنه كان مشغولا بالبحث عن حلول لمأزق صعب تواجهه «البلد» وهو ليس متأكدا من أن «صلاح نصر» جزء من الحل أو هو جزء من «المصيبة» وظهرت تعبيرات القلق على وجه «صلاح نصر» وراح يقسم أنه حاول كل جهده أن يساعد على حل مشاكل كثيرة بدون أن يزعج الرئيس بها. وسأله «جمال عبدالناصر» عن هذه المشاكل التى حلها. وكان رده «أنه كان طول الوقت يخشى من انفلات «عبدالحكيم عامر» إلى تصرفات لاتحمد عواقبها» ولم يسكت «جمال عبدالناصر» وإنما راح يقول لـ «صلاح نصر» إنه هو شخصيا أحد المسئولين عما جرى من «عبدالحكيم عامر» ولعله يلاحظ أنه جمال عبدالناصر لم يقابلة منذ شهور، كان ينوى عزله من منصبه لولا الظروف الخارجية التى طرأت فجأة. ثم قال له: «إن «عبدالحكيم عامر» كان «قطة مغمضة» حتى تولى «صلاح نصر» فتح عينيه على مالم يكن يجوز له أن يتورط فيه. وراح «صلاح نصر» يقسم بأغلظ الأيمان أنه لم يكن له ذنب فيما تورط فيه «عبدالحكيم عامر» وأنه يعترف بحقيقة أنه هو الذى قدم السيدة «برلنتى عبدالحميد» إلى المشير، ولكنه لم يكن يتصور أن تصل الأمور إلى الحد الذى بلغته. وسأله «جمال عبدالناصر» عن السبب الذى دعاه ـ وهو مدير المخابرات العامة فضلا عن علاقته المباشرة به ـ إلى إخفاء ما جرى عنه فى وقته. وقال «صلاح نصر» إنه تصور أن «المشير» سوف يفوق بعد وقت قصير ثم ينتهى الأمر وينسى الموضوع كله. ولكن ماتوقعه لم يحدث وغاص «المشير» فى ورطته إلى «شوشته» . وربما كان أهم ما قاله «صلاح نصر» فى هذا الصدد هو أن «عبدالحكيم عامر» كان تحت ضغط عنيف فى الظروف التى بدأت فيها الأزمة. ذلك أن السيدة «برلنتى عبدالحميد» التى أنجبت منه مولودا راحت تطالبه بأن يعلن زواجه منها لكى تجعل «وضعها فى المجتمع محتملا» ويظهر أنها صارحته (ومن وجهة نظرها فقد كان يمكن فهم إلحاحها) بأنها على استعداد لأن تذهب إلى أسرته وتشرح موقفها وتطلب قبولها فى الأسرة بحق الشريعة التى لا تحول بينها وبين هذا الطلب.

ثم كان آخر ما قاله «صلاح نصر» إنه «يتوسل إلى الرئيس» أن يبذل جهدا، وأن يضغط على نفسه لمحاولة لم «عبدالحكيم عامر» لأنه فى حالة نفسية صعبة يمكن معها أن يؤذى الوضع العام. ثم توجه بسؤال مباشر إلى الرئيس بما إذا كان ينوى إجراء تغييرات فى القيادة العليا للقوات المسلحة. ورد عليه «جمال عبدالناصر» بأن هذه التغييرات صدرت فعلا. وضرب «صلاح نصر» بكفه على جبهته تعبيرا عن الخوف، ثم سأل «جمال عبدالناصر» عما إذا كان يستطيع أن يجد وسيلة يخطر بها «عبدالحكيم عامر» بما أجراه من تغييرات فى القيادة العليا قبل أن يسمعها من الإذاعة أو يقرأها فى الصحف، وإلا فإن «آخر برج فى عقله سوف يطير» وسأله «جمال عبدالناصر» عن مكان وجود «عبدالحكيم عامر» الآن. وأقسم «صلاح نصر» أنه لايعرف، لكنه قال إن معلوماته هى أن «عبد الحكيم عامر» ومعه «شمس بدران» على اتصال بعدد من «رجال المشير» وأن هناك عملية تحريض واسعة النطاق لعدد من الضباط كى يطالبوا بعودة المشير كما عاد الرئيس. وأن آخر معلوماته قبل أن يغادر مكتبه منذ ساعة هى أن عددا من هؤلاء قد وصلوا إلى بيت المشير «عبدالحكيم عامر» فى الجيزة، ووقفوا على الرصيف المقابل له وبعض الجنود يهتفون «مكتوب على قلوبنا... عامر محبوبنا»».

وقبل أن يخرج من باب الغرفة التى جرت فيها المقابلة التفت «صلاح نصر» إلى الرئيس وقال له «هل تريد سيادتك أن أقدم استقالتى؟ ورد عليه «جمال عبدالناصر» بأنه سوف يبلغه بقراره فى الوقت المناسب».

إن سطور الأستاذ «هيكل» لوقائع ماجرى بين الرئيس و«المشير» تخلو تماما من حكاية الوساطة التى تكاد تجمع عليها كل الشهادات السابقة. كما أنها تتناقض وبشدة مع حقائق جديدة كشفت عنها مذكرات صلاح نصر وخصوصا فى الجزء الثالث والمعنون بالعام الحزين، وإذا ما ثبتت روايات صلاح نصر فى مذكراته تصبح روايات الأستاذ هيكل من نسج بعيد عن الصدق.

❑

لكن للقصة جوانب أخرى ربما تبدو أكثر إثارة يرويها الدكتور «منصور فايز» الطبيب الخاص «لجمال عبدالناصر» فيقول:

وبعد حرب يونيو كنت أتردد على المخابرات العامة للكشف على «صلاح نصر» ولاحظت عليه عدم التفاؤل بعد الهزيمة واشتممت من أحاديثه أنه يحاول إلقاء اللوم

على الرئيس «جمال عبدالناصر»، وإيجاد الأعذار للمشير ورجاله ثم قال: «مفيش فايدة من الروس ولازم نتصل بالأمريكان».

لم أعجب أن يحاول صلاح نصر إلقاء مسئولية الهزيمة على الرئيس فقد كان من أتباع المشير عبدالحكيم عامر، ولكن ماأدهشنى حقيقة هو أن يفكر مدير المخابرات العامة فى الاتصال بالأمريكان بعد أن ألحقت بنا إسرائيل هذه الهزيمة وهو يعلم أن الاتصال بهم فى هذه الظروف التى كانت قدرة مصر العسكرية فيها صفرا وتفوق إسرائيل العسكرى كاسحا لايعنى إلا الاستسلام.

وفى أحد الأيام وجدت صلاح نصر فى حالة توتر عصبى شديد واختفت الابتسامة التى كثيرا ما كانت تبدو على وجهه وعرفت أن سبب ذلك كان حديثا صحفيا قرأه (لموشى ديان) وحين سئل الأخير فى الحديث: لماذا لم تدخل القاهرة بعد هزيمة يونيو؟ أجاب بوقاحة وغطرسة: «كانت القاهرة تفتح لى ذراعيها ولكنى لم أدخلها حتى لا أضطر إلى إطعام ثلاثين مليون خنزير» !

وفى صباح اليوم التالى وكنت فى مستشفى قصر العينى وصلت سيارة من المخابرات العامة وطلبوا منى الحضور فورا لزيارة صلاح نصر فى مكتبه حيث أصيب بأزمة قلبية. فذهبت فى الحال فوجدته راقدا فى حجرة نوم صغيرة مجاورة لمكتبه فى جناح رئيس المخابرات العامة وبالكشف عليه وجدت أنه مصاب بجلطة فى الشريان التاجى للقلب مصحوبة باضطراب فى ضربات القلب ، وقد جاءته هذه الأزمة كما ذكر لى نتيجة الانفعال الشديد طوال اليوم السابق إثر قراءته ذلك الحديث الذى أدلى به (ديان). وقمت بعلاجه أنا والدكتور رفاعى كامل حتى أمكن السيطرة على الأزمة فى المساء.

وبعد أن خرجت من عنده منصرفا عاد لاستدعائى وقال لى:

أنا عايز أشوف «جمال عبدالناصر» لأنى عايز أنصحه.

توقفت عند كلماته لحظة، وفكرت فيها طويلا ، فهل يكون طلب رؤية مدير المخابرات العامة لرئيس الجمهورية عن طريقى!! المفروض أن مدير المخابرات لديه القدرة على الاتصال المباشر بالرئيس وبينهما أكثر من خط تليفونى لذلك. فهل كان الرئيس يؤجل رؤيته فى هذه الفترة لسبب محدد أو نتيجة انشغاله التام بتصفية نفوذ

مجموعة «المشير عامر» كخطوة فى سبيل إعادة البناء العسكرى ؟ أم ترى كان هناك ما يقلق «صلاح نصر» على نفسه ومركزه وجعله يطلب منى أن أنقل للرئيس رغبته فى رؤيته لتردد «صلاح نصر» فى المبادرة بالاتصال به مباشرة؟

ولم أفعل شيئا إزاء هذا الطلب فقد كان السيد/ محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس قد اتصل بى تليفونيا فى المخابرات العامة ليستفسر عن حالة «صلاح نصر» خلال علاجى له من أزمته القلبية، وأخبرنى أن الرئيس سيزوره فى الصباح . وبالفعل حضر «جمال عبدالناصر» فى اليوم التالى لزيارة صلاح نصر وكان بادى التأثر لما أصابه. ولم أعرف ماذا دار بينهما فى تلك الزيارة ولا تلك «النصائح» التى كان صلاح نصر يود أن يقولها له».

❑

فى كل الشهادات السابقة يتواجد اسم الأستاذ «محمد حسنين هيكل» بقوة وفاعلية أيضا!!

يؤكد الرئيس «جمال عبد الناصر» أمام أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن المشير عندما سافر غاضبا إلى بلدته أسطال اتصل بهيكل تليفونيا وأبلغه باستنكاره التام لجميع تصرفاته(!!)

ويعترف الرئيس لثروت عكاشة: بأن «المشير» اتصل بهيكل وأبدى رغبته فى لقائه ـ عبد الناصر ـ على أن يكون اللقاء بحضور هيكل!!

والآن هذه زيارة هادئة إلى شهادة «هيكل» حول ما جرى وقتها والتى سبق القول أنها تتناقض مع كل الشهادات المتاحة بما فيها رواية عبدالناصر عن الأحداث.

وقد جاءت فى كتاب «الانفجار» نقرأ معا التفاصيل حيث يقول :

«.. وفى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق من ظهر ذلك اليوم (١٥ يونيو ٦٧) كان «جمال عبدالناصر» يتحدث معى على التليفون المباشر، وفجأة دق تليفون آخر بجانبى ودهشت، فقد كانت العادة ألا تحول إلىّ أية مكالمات تليفونية إذا كان الرئيس معى على الخط، ورفعت سماعة التليفون، وكانت السيدة «نوال المحلاوى» وهى مديرة مكتبى فى ذلك الوقت تقول لى: «إن المشير عبد الحكيم عامر» بنفسه على التليفون، وبمتابعتها للظروف فقد تصورت أننى قد أحب أن أتلقى هذه المكالمة، وقلت للرئيس: إن المشير على التليفون الآخر»

وطلب إلىّ أن أتكلم معه وأن أفعل كل مافى وسعى لكى أقنعه بالذهاب إليه!!!

وبدأ «عبدالحكيم عامر» يقول لى ما بدا أنه رسالة يطلب منى نقلها إلى الرئيس وقلت له على الفور، إننى لا أتصور يوما يكون هو فى حاجة إلى رسول بينه وبين جمال عبد الناصر!!

ثم اقترحت عليه أن ألقاه بدلا من أن نتحادث عبر أسلاك التليفون، وبعد تردد لم يستغرق أكثر من لحظة أعطانى عنوان البيت الذى هو فيه الآن قائلا: إنه بيت إحدى قريبات العقيد «عصام خليل» فى الزمالك ، وتوجهت مسرعا إليه، وبعد حوار دام نصف الساعة تقريبا اقتنع بأن يذهب لمقابلة «جمال عبدالناصر» شريطة أن أحضر لقاءهما معا .

ويضيف «هيكل» قائلا: حاولت إقناعه بالعدول عن هذا الشرط، وبدا لى مصمما عليه وكأنه يتحسب ويتهيب من المقابلة وحده (!!) واستأذنته أن أتصل بالرئيس من عنده لأبلغه أننا فى الطريق إليه، كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عندما وصلنا إلى بيت الرئيس ودخلنا للقائه فى حجرة مكتبه وعذت فقلت: «إننى أتمنى أن يحدث اللقاء بينهما وحدهما وألا يحضره طرف ثالث أيا كان» .

وقال «عبدالحكيم عامر» معاتبا: إن ذلك ليس ما اتفقنا عليه...!!

وأضاف الرئيس «جمال عبدالناصر» إلى ذلك قوله: وأنا أيضا أريدك أن تحضر .

ويروى «هيكل» كيف أحس فى البداية بالشعور الذى يوصف عادة بأنه التواجد بين المطرقة والسندان، فقد كان اللقاء فى حد ذاته محرجا ومزعجا بعد كل ماجرى ووقع من أحداث، لكن المهم أن الحوار بدأ على النحو التالى وكما يقول هيكل: فقد بدأ بسؤال وجهه «عبدالناصر» لـ «عبدالحكيم»: عن هذا الذى يحدث؟! ورد عبد الحكيم بسرعة: ممن ؟! ورد «عبدالناصر»: منك أنت ؟! وقال عبدالحكيم وهو يرخى جفونه: منى أنا ؟! ماذا فعلت؟ إنك أنت الذى تملك التصرف وأنت الذى تفعل كل شئ، ودار النقاش بين الاثنين متوترا ومتشددا.

كان مؤدى ماقاله «جمال عبدالناصر» حسب رواية الأستاذ هيكل:

إنه لايريد أن يتكلم عما جرى بالأمس، وعلى أية حال فقد جرى والحساب عنه ليس أوانه الآن، وإن كان ضروريا دراسته واستكشاف حقائقه بغرض الاستفادة من

الدروس والباقى له وقته.. وإنه فى دهشة من أن بعض العناصر المحسوبة على «المشير» لا يكفيها ما حدث وإنما تقوم بأعمال طائشة.. وإن هؤلاء يظنون أنهم يخدمون «عبدالحكيم عامر» والحقيقة أنهم يخدمون أنفسهم ويضرون «عبد الحكيم».. وأن استمرار هذا «الفلتان» من جانب هذا البعض سوف يؤثر على روح الجيش، وهو لن يسمح بذلك ومعنى هذا أنه سيضطر لاتخاذ إجراءات لا يريد اتخاذها لأن هناك مسئوليات تتعدى كل الناس .

ووصل الحديث إلى نقطة قال فيها «جمال عبدالناصر» للمشير عامر:

إن الموضوع ليس موضوع أنا وأنت، وإنما هو مستقبل البلد الذى هو فى أيدينا الآن!

ويعترف «هيكل» بأنه فوجئ بأكثر مما تصور عندما قال «جمال عبدالناصر» لـ «عبدالحكيم عامر»: «إنه يعرض عليه الاستمرار فى العمل السياسى بدون أى دور فى القوات المسلحة» وكان رد «عبدالحكيم عامر» أن ذلك سوف يبدو أمام الناس نوعا من العقاب له ، فهو إما أن يعود كما كان سياسيا وعسكريا، وإما أن يبقى خارج كل شئ .

وعندما استحكم الخلاف بينهما حول هذه النقطة فاجأنى «جمال عبدالناصر» مرة أخرى بأن احتكم إلىّ وطلب منى إبداء رأيى ، وكان فى لهجته ما أوحى إلىّ بأنه يتوقع منى موافقته على رأيه ، وعلى نحو ما أحسست بأن شيئا فى داخلى هو الذى يبدى الرأى فى هذه اللحظة الحرجة فقلت:

الحقيقة أننى مع المشير فى أنه لا يستطيع قبول مسئولية سياسية، وبالتالى ففى رأيى أنه قد يكون من الأفضل له وللوضع كله أن يظل الآن فى الخارج تماما.

وكان هذا أقصى ما أستطيع التعبير به عن رأيى فى أن «عبدالحكيم عامر» لم يعد له مكان فى أى شئ، وهذا هو واجب الإنصاف لكل الأطراف ولكل الحقائق أيضا.

ويبدو أن «جمال عبدالناصر» لم يعجبه ما قلت، ولم يستطع أن يخفى مشاعره فقال لى على الفور بضيق ظاهر: «إنك خذلتنى».

«وفى هامش صفحة ٩٢٠ يقول هيكل: طلب منى الرئيس أن أذهب معه لزيارة المشير فى بيته وكان رأيه أننى حضرت لقاءهما الأول بعد المعركة، كما أننى كنت قد ذهبت مرة إلى مقابلة المشير فى قريته أسطال عندما ذهب إليها وأقام فيها بعض الوقت

فى أواخر شهر يوليو». ولم يذكر الأستاذ «هيكل» حرفا واحدا حول زيارته للمشير!! تفاصيل الزيارة رواها فيما بعد «عبدالصمد محمد عبدالصمد» كما يلى:

«فوجئ المشير بعد عودة صلاح نصر بيومين أو ثلاثة بمجئ «حسنين هيكل» فجأة فى سيارة إلى أسطال ولم يجده فيها فذهب إلى (عزبة خديجة) حيث يقيم عبدالحكيم وقابله موفدا من عبدالناصر واستطاع أن ينجح فيما فشل فيه من سبقوه.. ولم أعرف كيف نجح ولا ماذا كان العرض الجديد الذى جاء به؟... فلما ذهبت كالعادة فى المساء لزيارة المشير وجدت الصديق عامر ينتظرنى فى الطريق أمام بيته ليقول لى إن المشير وباقى الأصدقاء سافروا إلى القاهرة وكانت دهشته كدهشتى فإنه لم يعرف إلا أن «هيكل» جاء لزيارة عبدالحكيم واستنتج أن يكون أقنعه بالعودة وكان يشعر براحة لنجاح هذه المحاولة ويعتقد أن المياه عادت إلى مجاريها بين الصديقين... أما أنا فلم أفكر فيما سيحدث بينهما فقد كان الفهم مستحيلا ولكن كان العجيب (ولو أن شيئا فى تلك الحياة لم يكن عجيبا) أن يكون هيكل. وهيكل من بين جميع الناس الذى يقنع عبدالحكيم ويثق فيه المشير!

كان سبب دهشتى أنى كنت أعرف المتاعب التى سببها «هيكل» للمشير ولو أنها كانت لغير عبدالحكيم لسميتها إساءات ولكن عبدالحكيم لم يتخيل لحظة أن «هيكل» أو غيره يستطيع الإساءة إليه فإذا كان غفر لهيكل هذه الأعمال فليس معقولا أن يتخذه صديقا ويثق فيه!».

ثم يروى «عبدالصمد محمد عبدالصمد» عددا من المواقف التى ضايقت عبدالحكيم عامر» من الأستاذ «محمد حسنين هيكل» فيقول:

«وبالرغم من أن عبدالحكيم يعلم أن «هيكل» مغلوب على أمره وأنه مجرد أداة يستغلها عبدالناصر إلا أن الإنسان قد يغفر الإساءة ولكن لا يصادق ويحب من أساء إليه خاصة ومقال «هيكل» عن الضربة الأولى لم يكن مضى عليه أكثر من ثلاثة أسابيع.. فهل نسى عبدالحكيم غليان دمه من هذا المقال؟ وهل تحول الغليان إلى جليد فى أيام؟!

لهذا كانت دهشتى كبيرة من زيارة «هيكل» وإقناعه له بالعودة فماذا قال له وما سر هذه الصداقة التى استمرت طوال أيام الأزمة ؟! وربما يؤثر المكان الذى نعيش فيه

والناس الذين من حولنا فى مستوى تفكيرنا فلم أتشوق كثيرا وأنا فى بلدى للإجابة على السؤالين وكان من المستحيل أن أصل إلى جواب وأنا بعيد عن مصادر الفهم... ولم يتركنى الأصدقاء مع أعمالى المنهارة كما رجوت وتمنيت فاتصلوا بى وقالوا إن المشير يلح فى ضرورة حضورى السريع. وأدركت أن الموقف لم يتغير فلو كان تغير لما احتاج «المشير» إلى حضورى السريع ففى وقت الزفة تكون رؤية العريس قاصرة على النظر إلى وجه العروس الجميل وإلى زحام المهنئين!!

ولم يجد «هيكل» صعوبة كبيرة فى إقناع «عبدالحكيم» بأنه لا يرضيه أن يبقى فى قريته وبعيدا عن صديقه الذى يوفد له كل يومين رسولا خاصة أن عبدالناصر لا يستطيع الاتصال التليفونى والحديث يمر به (فى الترنك) وأنه لو استمر إصرار «عبدالحكيم» على البقاء فى بلدته فإن أعمال الدولة ستتعطل فى هذا الوقت العصيب فجمال سيكون مشغولا فى إيفاد رسل جدد برسائل جديدة... وتلقى ردود جديدة... فماذا لو عاد عبد الحكيم إلى بيته فى الجيزة ويتم الاتصال بينهما تليفونيا وأن «جمال» لا يريد أكثر من استمرار صفاء الصداقة!

كان «هيكل» يعرف نقاط الضعف عند عبدالحكيم فاستغلها وهى تأثره العاطفى وذوبان غضبه بعد كلمة رقيقة طيبة واحدة واستعداده القوى للتسامح والصفح ونسيان الإساءة.. فوافق على العودة.

استطاع «هيكل» أن يكون صديقا لـ «عبدالحكيم» رغم كل هذا الذى ذكرته!».

❑

وتكمل ملامح الصورة السيدة «برلنتى عبدالحميد» الزوجة الثانية للمشير التى تقول فى مذكراتها إن المشير كان يقاوم كل الإغراءات وفشلت كل محاولات إقناعه بالعودة إلى القاهرة، وفى النهاية أرسل له «جمال عبدالناصر» محمد حسنين «هيكل» فعاد به إلى القاهرة!!

تقول برلنتى «إن عبدالناصر حاصر المشير أولا بالمودة العائلية فأرسل لزيارته زوجته وأولاده وكلمه فى التليفون معاتبا وقائلا إنه أرسل أبناءه، ولو كنت تريد أن آتى بنفسى لترجع معى فإنى آت إليك» وواصل «عبدالناصر» حديثه التليفونى قائلا: «حابعث لك «هيكل» يمثلنى وأرجو أنك ماتكسفنيش المرة دى» وحسب كلام السيدة برلنتى: «جاء

«هيكل» فشكا له المشير من أن «جمال» يريد أن يحول كل من حوله إلى «طراطير»!!

لكن «هيكل» جاء هذه المرة ومعه عرض جديد، مشفوع بدفء الصداقة والعلاقات الأسرية، كان عرض «هيكل» هو أن الرئيس على استعداد لقبول شروط «عبدالحكيم» بالإفراج عن الضباط المسجونين وإعادة من أحيل إلى المعاش. بدت هذه الفكرة طيبة فى نظر عبدالحكيم فعاد إلى القاهرة، وأدى «هيكل» دوره بنجاح وكما تقول برلنتى فقد أفلح فى الظهور بصورة الصديق للاثنين والولاء للاثنين، وبعد عودته مباشرة اتصل بـ «جمال عبدالناصر» ليخبره بوصول المشير».

وفى موضع آخر من المذكرات تقول برلنتى إن «أمين حسن عامر» ابن شقيق المشير أبلغها بأن الوحيد الذى كان مسموحا له بزيارة «المشير» هو «هيكل».

ويقول «شمس بدران» وزير حربية مصر وقتها:

«كان «هيكل» واسطة ما بين «عبدالناصر» وما بين «عبدالحكيم عامر» كان هو السكة علشان الكلام اللى ما يقدرش يقوله «عبدالحكيم عامر»، يقوله «هيكل» لما يروح لعبدالناصر، وعبدالناصر انتهز فرصة إن «هيكل» فيه قبول من «عبدالحكيم عامر» على أنه يعنى وسيلة اتصال أو واسطة بينه وبين عبدالناصر تخلى «هيكل» يقنع «عبدالحكيم عامر» إنه يروح بيت «عبد الناصر».

❑

كان الشك وعدم الثقة وربما الغدر هى المفردات التى سادت بين المشير «عبدالحكيم عامر» والرئيس «جمال عبدالناصر» فى الأيام والأسابيع التى تلت خمسة يونيو ١٩٦٧ وما بعدها!!.. ومما لا شك فيه فإن البعض ممن يحيطون بالرئيس والمشير قد لعبوا دورا لا يستهان به فى زيادة التهاب هذه المشاعر بين الصديقين السابقين.

ولاتوجد واقعة أبلغ فى دلالتها ومغزاها من هذه الواقعة التى رواها السيد «صلاح نصر» ـ فى الجزء الثالث من مذكراته، «العام الحزين» والصادر عن دار الخيّال ـ حيث يقول:

«فى أحد أيام شهر يوليو ١٩٦٧ كنت فى مكتبى أنتظر مقابلة السيد «سجاد حيدر» سفير الباكستان فى القاهرة الذى كان على موعد معى، فدق جرس التليفون ورفعت

السماعة فإذا المتكلم هو «عبدالحكيم عامر» وكان غاضبا وقال لى: أنت مراقبنى ياصلاح؟!

فظننت فى بادئ الأمر أنه يمزح معى، ولكننى أحسست من حديثه بعد ذلك أنه غاضب ويتكلم بجد فقلت له: هل تظن هذا ؟!

فقال : لقد قبض ضباط الحرس عندى على ضابط مخابرات بجوار المنزل فى عربة!».

ويضيف «صلاح نصر» قوله:

«وبعد أن انتهت المكالمة، بادرت بالاعتذار لسفير الباكستان طالبا تأجيل الموعد لليوم التالى. وذهبت إلى منزل «عبدالحكيم عامر» فى الجيزة بشارع الطحاوية، وقبل أن أترك مكتبى اتصلت برئيس هيئة الأمن فى المخابرات - نائبى حسن عليش - وفهمت منه أن هناك عملية مراقبة لأحد الأجانب المشكوك فيهم وكان يقطن قريبا من منزل المشير، وطلبت منه أن يعد جميع الأوراق والخطط التى وضعت لمراقبة هذا الشخص ويلحق بى إلى منزل «عبدالحكيم عامر».

وما أن دخلت منزل «المشير» حتى وجدته غاضبا، وقد أمسكوا بضابط المخابرات الذى جلس فى إحدى غرف المنزل، وحضر«حسن عليش» بعدى بربع ساعة وحاولت أن أقنع «المشير» بأن هذه أوهام، وما كان ينبغى على ضباط حرسه أن يقتربوا من الضابط الذى كان يؤدى مهمة وعرضنا عليه تعليمات المراقبة التى كانت موضوعة من مدة شهر سابق، ونتائج المراقبة، ولكن يبدو أنه لم يقتنع وقال:

ربما كانت هذه المراقبة تمت دون علمكم بأوامر من سامى شرف. فأجزمت له أن هذا لا يمكن أن يحدث وحاولت تهدئته، ولكننى لم أستطع أن أخرج مافى ذهنه عن هذه القصة الوهمية، واتصلت بـ «عبدالناصر» وذكرت له ماحدث، وطلبت منه أن يتصل بالمشير لإقناعه وتهدئة الموقف، ولكننى عرفت بعد ذلك أنه لم يتصل به.

وكانت هذه الحادثة أحد العوامل التى زادت من التوتر بينهما ومن إشعال بذور الفتنة التى أخذت تتصاعد حتى انتهت إلى المأساة المعروفة».

وبحكم موقعه واقترابه الحميم من «جمال عبدالناصر» يرصد لنا «محمود فهيم» سكرتيره الخاص وحارسه الشخصى ملامح رآها بعينيه فيقول:

«دخلت علـى الرئيس فى إحدى لحظات الذروة فوجدتـه يتحدث مع «المشير» فى التليفون ويـقول له إن الناس لا تعرف ما بينـنا من صداقة (!!) ولهذا فإنه لن يـستجيب لمحاولات الوقيعة التى يسرى بها بعض المحيطين به. كان «عبد الناصر» يحاول فى تلك اللحظات أن يهدئ من روع المشير بالرغم من أنه كان قد أصدر قرارا بإعفائه من جميع مناصبـه «إلا أنه كان يحاول أن يقنـع المشير بالخطوة التـى اتخذها حياله، كـان «المشير» ثائرا وغاضبا!

حاولت بدورى أن أعمل علـى تلطيف الأجواء بينهما فطلبـت من «عبدالناصر» أن أذهب إلى «المشير» فى بيته لأقوم بتدليكه «حين علمت من الرئيـس أنه تعبان وأعصابه مرهقة، وقد اتصل به «عبدالناصر» بنفسه ليبلغه أننى فى الطريق إليه!

ذهبت الى بـيت «المشير» بالجيزة فوجدته قد تحول إلـى ثكنة عسكـرية. وما أن رآنى بعض القـادة العسكريين الـذين كانوا متضامـنين معه فى عملـية التمرد حتى أصـابتهم الدهشة بـسبب حضورى إلى بـيت المشير فى هـذا الوقت، ونظروا إلىّ فـى شك وريبة وخاصة أننى كنت أحمل فى يدى حقيبة لـم يعـرفوا أننى وضعـت فيها ملابسى الرياضية وبعض الأدوات التى أستخدمها فى التدليك (!!)

تجمع حـوالى ضباط «المشيـر» عند مدخل الـبيت ولكن أحـدا لم يسألنى عـن سبب حضورى أو ماذا أحمـل فى الحقيبة التى فـى يدى، رغـم أن تلك الأسئلة وغـيرها كانت تبدو واضحة على وجوهـهم جميعا، تركتهم فى حيرتهم، وتوجـهت إلى غرفة «المشير» الذى ما أن رآنـى حتى رحب بـى، فحاولت أن أطيـب خاطره وأن أعمـل على تهـدئته فقلت له:

أنت تعرف أن الرئـيس يحبك، ويقدرك جدا، فلا تـستجيب للمحـاولات التى يقوم بها البعض للوقيعة بينك وبين صديق عمرك.

سألنـى «المشير» منـدهشا: كيف أصـدق، أو يصدق الرئيـس أن «عبدالحكيـم عامر» يمكن أن يقوم بانقلاب عليه؟!!».

ويصف «محمود فهيم» ماجرى مع «المشير عبد الحكيم عامر» على النحو التالى:

«استلقى «المشير» علـى سريره، وقمت بتدليكه، بينما كان الحوار بـيننا لا ينقطع عن العلاقة بينه وبين عبدالناصر، خرجت مـن بيت «المشير» وسط حيرة وذهول المحيطين به

وهم لا يعرفون لماذا أتيت وماذا فعلت، وحين عدت إلى «عبد الناصر» استقبلنى ضاحكا وقال لى :

ماذا فعلت هناك لقد دربكت الدنيا ؟!

كان «المشير عامر» هو الذى اتصل بـ «عبدالناصر» بعد خروجى من عنده وأخبره برد فعل مرافقيه المحيطين به من حضورى ودهشتهم من وجود سكرتير «عبدالناصر» الخاص مع المشير فى هذا الجو المشحون بالتوتر بينهما !! وضحك الاثنان على هذا الموقف بسبب جهل هؤلاء بطبيعة العلاقة الحميمة التى تربط بينهما».

❑

وأخيراً يقول «صلاح» نجل المشير عامر: «كان المشير يحب الرئيس أكثر من نفسه ويثق به بشكل غير عادى، ولم يفكر فى خيانته رغم الخلافات العديدة التى كانت بينهما فى معظم المواقف السياسية، وبعد عودة المشير من أسطال بواسطة هيكل؛ طلب الرئيس من المشير أن يقابله على العشاء فى منزله، وهو ما يطلق عليه العشاء الأخير».

❑

وهكذا تقترب الدراما الإنسانية من ذروة النهاية ويصدق عليها وصف السيد صلاح نصر فى مذكراته بأنها «الفتنة الكبرى» !

حياة المشير.. محمد عبد الحكيم عامر

6

ليلة القبض على المشير!

دار الخيّال

كان الكل فى حالة غضب لا حدود له!!.. اجتاح الغضب «جمال عبدالناصر» و«عبدالحكيم عامر»، كان كلاهما فى حالة غضب مكتوم ومكبوت ولكنه معلن للآخر!

كان «عبدالناصر» غاضباً لأن المشير رفض كل محاولات الصلح والوساطة ليعود إلى أى منصب إلا القوات المسلحة!!.. وكان «عبدالحكيم» غاضباً لأن الرئيس رفض عودته إلى قيادة القوات المسلحة!!

وبمرور الوقت كان الموقف يتأزم والجو يتكهرب، ولعب الصغار بين الرجلين، وكان الكلام والقصص والشائعات تروح وتجىء بين الرئيس والمشير عبر أطراف ثالثة ساهمت فى إشعال الموقف.

وكانت كل الشواهد حسب رأى معسكر «جمال عبدالناصر» تلمح ثم تؤكد أن المشير يعد للعودة بانقلاب عسكرى!!

وكان لابد من حل! أى حل، حتى لو كان هذا الحل اعتقال المشير «عبدالحكيم عامر» ورجاله!!

وما جرى فى كواليس الحكم وقتها يكشف الكثير من الوقائع والحكايات والتصرفات!!.. وحتى اللحظات الأخيرة كان أمل «جمال عبدالناصر» أن يتوصل إلى حل لهذا الموقف المعقد والذى يزداد تعقيداً، وحسب ما يقول الأستاذ «هيكل»:

«طلب «جمال عبدالناصر» من السيد «أنور السادات» أن يذهب ومعه وزير الداخلية السيد «شعراوى جمعـة» إلى مقابلة المشير، وإحاطته علمـا بما سوف يتخذ من إجراءات قبل أن يفاجأ بها ويستغلها أحد فى دفعه إلى ما يصعب تداركه.

وذهب الاثنـان فعلا إلى مقـابلة المشيـر فى بيتـه، وعاد «أنور السادات» إلـى «جمال عبدالناصر» يقول له إن المشير هاج وماج وحذر من أى مساس برجاله، وأنه أصبح واثقا الآن من أن مؤامرة ضده تستهدف وضع المسئولـية كلها عليه، وذكر «أنور السادات» أنه قال للمـشير «إن الموضوع ليس مـوضوع مسئولية عـلى أحد، فإن «جمال عبـدالناصر» أعلـن أمام كل النـاس أنه هو المسئول عن كل مـا جرى، ولا يعقـل أن يقول لهـم هذا بالأمس ثم يـجئ اليوم ليقول لهـم إنها مسئولية «عـبدالحكيم عامر»، وأن الرسـالة التى حملها له «جمال عبدالناصر» لينقلها إلى المشير هى فقط كلمة «اتق الله فى البلد».

ويوم ١٩ أغـسطس تـلقـى «جمال عـبدالنـاصر» تـقرير مـعلومـات من المخـابرات العسكرية أثار قلقـه، فقد كان التقرير يقول إن بعض المحيطين بـ «عبدالحكيم عامر» قد رسموا خـطة لذهابه إلى الجـبهة، وهناك يـتخذ طريقه إلـى مقر المنطـقة الشرقية ويـعلن عودته إلى القيادة العـامة للقوات المسلحة، ويتفاوض مع «جمال عـبدالناصر» من موقع قوة على تـرتيبات جديدة «تحـفظ حقه»، وكان رأى هؤلاء إن وجـود المشير فى بيته فى الجيزة يجعله فى الـواقع أسيراً لأجهزة الأمن مهما فعل، وأما إذا استـطاع أن يضع نفسه وسط القـوات المسلحـة فإنه سيـكون فى مركـز قوته الطـبيعى، وكـان التقريـر يقول إن «عبدالحكيم عامر» فـى البداية كان متردداً، ثم بدأ يميل إلى الاقتـناع، وإن لم يصل بعد إلى رأى قاطع.

ثم بـدأت التقاريـر توحى بما يـفيد أن «عبـدالحكيم عـامر» أصبح مـيالا للفـكرة إذا استطـاع بعض أنصاره أن يجـسوا له النبـض بين قوات الجبـهة، كما أن السيـد «شمس بدران» الـذى أقام هـو الآخر فـى بيـت المشيـر فى تـلك الـظروف أكـد له أن «جـمال عبدالناصر» سوف يقبل شروطه لعدة أسبـاب، من بينها أن الرئيس سوف يكون حريصاً على المحافظة على وحدة الجيش فى حالة الحرب، ثم إنه بمعرفته به «يعرف تخوفه الدائم من سفك الـدماء»، وأيضاً لأنه سيضـطر إلى المحافظة على المـظاهر بأى ثمن بيـنما هو يستعد لحضور مؤتمر قمة عربى أعلـن عنه فى الخرطوم، بل إن أحد الآراء المقترحة على المشير ـ والتى ورد ذكرها فى تقرير المعلومـات ـ استحسن أن يكون توقيت ذهاب المشير إلى الجبهة بحيث يتوافق مع وجود «جمال عبدالناصر» فى الخرطوم.

ويوم ٢٣ أغسطس دعا «جمال عبدالناصر» كل الباقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وهم السادة «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى» وطرح عليهم ـ بوصفهم أصدقاء ورفاق مسيرة ـ ما وصله من معلومات، واستقر رأى الجميع على أن هذا الموقف أصبح خطراً على سلامة الجيش والوطن، وأنه من الضرورى منع «عبدالحكيم عامر» من التورط فى أكثر مما تورط فيه».

❏

وإذا كان كلام «هيكل» يؤكد أن «عبدالناصر» تلقى تقريراً يوم ١٩ أغسطس أثار انزعاجه، فإن شهادة «سامى شرف» تشير إلى عكس ذلك بالضبط، وبدرجة تثير الدهشة والحيرة أيضاً!!.

تحت عنوان «عبدالناصر كيف حكم مصر؟» جاءت مذكرات «سامى شرف» التى أعدها وكتبها الأستاذ الكبير «عبد الله إمام» وجاءت شهادة «سامى شرف مفاجأة مذهلة بكل المعايير وتبدأ كما يلى:

«بعد انتهاء «جمال عبدالناصر» من إلقاء الخطاب الذى أعلن فيه التنحى توجه «عبدالحكيم عامر» إلى شقة فى الزمالك كانت تستخدم كمنزل أمين وتتبع اللواء طيار «عصام خليل» مدير المشروعات الفنية بالقوات المسلحة والمدير السابق للمخابرات الجوية لذلك فإن ما يدور فيها كان مرصوداً منذ البداية وكان المفروض أن تكون إقامة «عبدالحكيم» فيها سرية وفق ما أبلغنا به.

لم تمض أربع وعشرون ساعة إلا وكان عنوان الشقة مدوناً لدى عدد من الضباط وبصفة خاصة قادة الأسلحة الرئيسية وقادة أفرع قيادة القوات المسلحة، وبدأ بعضهم يتصل تليفونياً بالمشير «عبدالحكيم عامر» وتمت فعلاً اتصالات مع كل من صدقى محمود والفريق عبدالعزيز مصطفى والفريق سليمان عزت واللواء عبدالرحمن فهمى واللواء عبدالحليم عبد العال، وكانت هذه الشقة مؤمنة قبل ذهاب عامر إليها وكانت المكالمات فى حدود المجاملات وعرض الخدمات الشخصية، وكانت ردود عبدالحكيم عامر جس نبض موقف كل منهم.

عاد المشير عبدالحكيم عامر بعد ذلك إلى منزله بالجيزة، وهو أحد القصور ويقع على النيل مباشرة يتكون من دورين الأول للاستقبال والطعام والثانى لإقامة المشير وأسرته. وبدروم تحتله مكاتب السكرتارية، وحديقة ذات سور مرتفع.. وفور توجه المشير عبدالحكيم عامر إلى الجيزة ازدادت الحركة والنشاط داخل وحول القصر.

بدأت بعض العناصر من المدنيين والقوات المسلحة فى التردد عليه وظهرت فى الشارع لأول مرة ورقة مطبوعة تحمل استقالة كان قد قدمها المشير عبدالحكيم عامر عام ١٩٦٢ إلى الرئيس جمال عبدالناصر يتحدث فيها عن قضية الديمقراطية وعدد من القضايا السياسية!

كان ذلك بداية نشاط يتحتم مراقبته، وكانت المراقبة فى هذه الظروف صعبة لأن العلاقة الخاصة والحساسة بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر تجعل من الصعب تصور أن عبدالحكيم سيتحرك ضده أو ضد النظام، كما أن المراقبة هنا كانت لشخص غير عادى، وبهدف احتمال تورط عناصر من القوات المسلحة، ولصعوبة أن تركز المتابعة فى جهاز واحد، وقد تم التنسيق بين الأجهزة المختلفة لتتابع هذا النشاط وأخذ كل جهاز واجباً محدداً، وقد اسفرت نتائج المتابعة أن عدداً من الضباط المعروفين بولائهم للمشير وكذلك بعض أقاربه وبعضهم أعضاء فى مجلس الأمة يترددون عليه.

لم تكن المراقبة إلا مؤشراً واحداً وبسيطاً. ففى يوم ٢٤ يونيو، وقعت فى وقت واحد وبشكل تلقائى ثلاثة أحداث:

الأول: اتصل بى السيد على صبرى فى العاشرة والنصف وسأل عن الرئيس، وعندما قلت له إنه ليس بالمكتب طلب منى أن أذهب إليه سريعاً لأمر هام لابد أن أنقله إلى الرئيس بعد سماعه منه.

الثانى: وأنا أغادر المكتب، دخل سكرتيرى ليبلغنى أن العميد «ع»، يريد مقابلتى لأمر على جانب من الأهمية وطلبت أن يوجز الموضوع، وكان عن ما أسماه «بوادر مؤامرة»، ويحتاج الأمر إلى حديث طويل.

والثالث: وأنا أدير محرك السيارة فى طريقى إلى السيد على صبرى إذا بسكرتيرى ينادينى بصوت عال يا فندم.. يا فندم.. انتظر لحظة العقيد «س» من الدفاع الجوى اتصل الآن تليفونيا من الشارع ويريد لقاءك بعد منتصف الليل فى شارع بيروت بمصر الجديدة تجاه الميريلاند. وكان تلميذى فى الكلية الحربية ولم ألتق به منذ أن كان فى مدرسة المدفعية سنة ١٩٥٠ وكنت أنا أركان حرب الوحدة الملاصقة لمدرسة المدفعية. قلت لسكرتيرى الذى رد عليه بأننى سأكون الساعة ١٢ من منتصف الليل على ناصية شارع السباق وشارع بيروت فى سيارة نصر ١١٠٠ زرقاء، وانطلقت إلى منزل السيد على صبرى بشارع العروبة، على باب المدخل كان يقف اللواء طيار كمال حمادة زوج

شقيقة السيد على صبرى مدير التدريب فى القوات الجوية ودخلنا إلى الصالون على عجل لأجد السيد على صبرى يستجوب شاباً يرتدى ملابس مدنية عرفنى به أنه الملازم أول طيار «ح» وطلب إليه أن يعيد أمامى ما قاله، وبدأ يروى فقال إنه لاحظ أمس حركة فى الطيران لصالح المشير عبدالحكيم عامر يقودها فى سرية النقيب «م» وقد بدأت العملية بدردشة لجس النبض إلا أن الأمر تطور اليوم مع بعض الضباط ليأخذ شكلاً شبه تنظيمى، فقرر أن يسايرهم بل اندفع ليعلن استعداده للقيام بتحرك إيجابى بطائرته إذا تم الاتفاق على ذلك، ثم بادر بالإسراع بتبليغ اللواء كمال حمادة لصلة القرابة بينهما، وأبدى استعداده لمتابعة وتنفيذ ما نراه لتأمين البلاد والحفاظ على سلامتها، فالبلد لايتحمل أى عبث صبيانى. واتفقنا على أن يتم مسايرتهم مع توضيح طريقة الاتصال والتبليغ بحيث لا ينكشف من الجانب الآخر. وعندما عدت إلى المكتب طلبت الرئيس على التليفون المباشر بينى وبينه واستأذنت أن ألقاه فوراً. كان الرئيس جمال مرتدياً بنطلوناً رمادياً وصندلاً وقميصاً أبيض من القطن بنصف كم. عندما فتحت الباب وجدته يعبر الصالة مطرقاً برأسه مفكراً بعمق لأنه اعتاد ألا أطلب مقابلته فى وقت راحة ـ وكان قليلاً ما يرتاح ـ إلا لحدث هام جداً، وقلت للرئيس إن لدى معلومات عنوانها واحد ومؤداها أن عبدالحكيم عامر يتآمر، فنظر إلىّ الرئيس مليّا ثم قال: «أنت متأكد يا سامى، أنت عارف أن الظروف التى نمر بها تجعل المرء يتخيل أشياء ويتصور أوهاماً فأنا لا أتصور هذا من حكيم». قلت للرئيس إن لدى ثلاثة بلاغات من ضباط عاملين بالقوات المسلحة.

١ـ بلاغ العميد أ ح «خ» من المدرعات وذكرت عنوانه.

٢ـ بلاغ الملازم أول طيار «ح» من القوات الجوية وذكرت ما قاله.

٣ـ بلاغ العقيد أ ح «س» من الدفاع الجوى وسوف أقابله الليلة هذا ما وصلنا حتى الآن وفى ساعة واحدة، ورجوت الرئيس أن يسمح لى بلقاء آخر بعد مقابلة العميد فى مكتبى والعقيد فى موعده.

خرجت من المكتب وأنا واثق أن الرئيس بدأ التفكير فى كيفية مواجهة الموقف الجديد، توجهت إلى مكتبى عبر الشارع لأجد العميد فى حالة نفسية سيئة. قال لى إنه من تلهفه على التبليغ الذى اعتقد أنه لن يستغرق أكثر من ١٠ دقائق أو ربع ساعة فإنه حضر إلىّ بملابس الميدان وترك سيارة الجيش أمام المكتب وأنه يخشى أن يكون هناك من

يتابعه من الطرف الآخر وبذلك يتسبب فى أضرار لا داعى لها، طمأنته أن المنطقة كانت مؤمنة وأنه إذا كان هناك من يراقب فهناك أيضا من يراقب من ناحيتنا وقال لى: أنت عارف أننى خدمت فترة طويلة فى سلاح الحدود وكانت علاقتى بالجنود طيبة جداً وأغلب من يعملون فى نوادى القوات المسلحة من سلاح الحدود من أبناء النوبة والسودان. جاء اليوم مساء السفرجى «م» وأنت تعرف أين يعمل طبعاً، فقلت له أنه يعمل فى الجيزة فى منزل المشير عبدالحكيم عامر.

وروى كيف جاء السفرجى منزعجاً لأنه لا يسمح لنفسه أن يشاهد جريمة تضر بأمن الوطن، وقد لاحظ حركة غير عادية تدور فى بيت المشير، وإنه تتخذ إجراءات أمنية عندما يحضر الضباط ويدخلون من باب المشتل الجانبى وليس من الباب الرئيسى ليقابلهم المشير فى غرفة أقيمت بالحديقة. كما أنه لاحظ إحضار صناديق أسلحة صغيرة. وقنابل يدوية، وتردد بعض الشباب بملابس مدنية وآخرون من الشخصيات المعروفة وآخرون من الذين لم يرهم من قبل. ولكن من طريقة كلامهم وتسليحهم يحس أنهم ضباطاً، وأنهم يصلون فى مواعيد غير عادية تبدأ من الحادية عشرة مساء، وأن طريقة وصولهم ودخولهم إلى الغرفة الجديدة التى جهزت بجوار المشتل مريب إذ يحاولون كلهم بدون استثناء أن يخفوا وجوههم أو ملامحهم . كما أنهم غالباً ما يكونون مصطحبين بواسطة ضباط موفدين من رجال المشير، ويكون المشير شخصياً فى انتظارهم بالغرفة ولا تستغرق مقابلته لأحد منهم إلا ثلث أو نصف ساعة على أكثر تقدير.

الشىء الذى أخاف السفرجى أن العقيد على شفيق صفوت عندما كان سكرتيراً عسكرياً للمشير كان يرتب مثل هذه المقابلات أما الآن ولغياب على شفيق فيقوم آخرون بترتيبها، وقد لفت انتباهه أن رأى السيد عباس رضوان نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية السابق يرتب بعض هذه المقابلات ويحضر بنفسه بعض هؤلاء الشباب ليقابلوا المشير فى حضوره ولذلك فإنه أسرع بوضع هذه الصورة كما هى أمام العميد «خ» باعتباره أنه شخص يثق به فقد عمل معه فترة طويلة بسلاح الحدود.

سألت العميد «خ» عن مدى ثقته فى هذا الشخص؟ قال يثق فيه جداً وأنه هادئ الطبع ولا يتكلم كثيراً ولا يروى ما يراه خصوصاً فى المنازل ولكن يخرج عن القاعدة ويحضر إلىَّ ويتكلم عن هذا الأمر فقط لإحساسه بخطورته على مستقبل البلد فى هذه

الظروف. طلبت من العميد «خ» أن يرتب لقاءات منتظمة مع السفرجى مع مراعاة كل احتياطات الأمن وأن تكون الصورة لدىّ أولاً بأول، فوعد بذلك وانصرف وأبلغت الرئيس كافة التفاصيل فكان رده «يا سامى مش عايز تسرع. فهذه العمليات تحتاج لأكبر كمية من المعلومات الموثوقة لأنه فى حال صحتها ستتخذ إجراءات وقرارات ذات تأثير كبير على الموقف داخليا وخارجيا».

كنا نمضى الليل فى مكاتبنا وفجر اليوم التالى دخل علىّ أحد العاملين معى فى حالة عصبية. وقدم لى ورقة مكتوبة بالقلم الجاف وموقعة باسم «النقيب» «ع» وكان خال هذا الموظف.

ولم يخرج ما جاء فيها عن التبليغات السابقة، الجديد فى الأمر أن كاتب التقرير هو أحد ضباط مكتب المشير ومن العناصر المخلصة للثورة وطلبت من «حسنى» أن يستمر فى الاتصال به، وبالطبع وضعت هذه الصورة الجديدة أمام الرئيس، وأضيف هذا البلاغ إلى البلاغات الثلاثة السابقة».

وعن موقف جمال عبدالناصر إزاء كل هذه المعلومات قال «سامى شرف» لـ «عبد الله إمام»:

«قد تعجب عندما تعرف أنه كان متشككا فى الأمر. لم يكن يصدق أن عبد الحكيم يمكن أن يتآمر عليه، وفى النهاية طلب مزيداً من الصبر والبحث، ثم طلب بعد ذلك بحث موقف كل من شمس بدران وعباس رضوان وعلى شفيق صفوت، وكان مطلباً صعباً لحجم هذه الشخصيات وعلاقتهم بالقوات المسلحة وبالمشير، بالإضافة إلى صعوبة إيجاد الذين يقومون بمثل هذه التحريات والأجهزة التى ستقوم بالبحث، وكيف يمكن التنسيق بينها ؟

وكانت دائرة هذه المعلومات قاصرة على الرئيس جمال عبدالناصر فقط، واستجد موقف استدعى أن أستأذن الرئيس فى إبلاغ السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية والفريق فوزى فوافق، لأنه لم يكن لدى جهاز خاص لجمع المعلومات.

كما قمت بطريق غير مباشر بتنبيه اللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية، آنذاك، بأن هناك تطورات فى الموقف الداخلى تتطلب اليقظة التامة من ناحية الأمن.

ثم استدعيت اللواء الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى إلى جلسة عمل لبحث موقف القادة والضباط فى الحرس الجمهورى، وهل يرتبط أحد من أفراد الحرس

الجمهورى بواحد ممن بدأت تثار حولهم الشكوك؟ والحمد لله لم يكن لأى من أفراد الحرس الجمهورى أية ارتباطات بأشخاص بل كان ارتباطهم وولاؤهم بالكامل للنظام ولثورة ٢٣ يوليو. ولذلك لم يستبعد أو ينقل أى ضابط من الحرس الجمهورى كما حدث فى جهات أخرى لا أثناء البحث ومتابعة القضية ولا بعدها. ووضعت اللواء الليثى ناصف فى الصورة بالكامل وطلبت منه بناء على أوامر الرئيس عبد الناصر، أن يكون الكل متيقظاً على أن يتم تنفيذ هذه التعليمات بطريقة هادئة وطبيعية لا تلفت الأنظار لأى نشاط.

ثم كانت الخطوة التالية هى وضع السيد أمين حامد هويدى فى الصورة أولا بأول.

كيف تصرف الرئيس «جمال عبدالناصر» بعد كل هذه المعلومات؟

أمر بأن تشكل لجنة ثلاثية من شعراوى جمعة وأمين هويدى وأنا لتجميع وتقييم المعلومات ثم تقديم التوصيات والمتابعة وكنا فى حالة شبه اجتماع دائم ليلاً ونهاراً، وكانت هذه اللقاءات منذ مدة طويلة تتم يومياً عندما ينتهى يوم العمل الطويل لنا نحن الثلاثة فى مكتبى للتنسيق وتبادل الآراء ورفع التوصيات فى المسائل التى نكلف بها من أمور الدولة العليا. اللقاءات ليست جديدة، الذى استجد فى هذه الفترة هو لقاء صباحى لشرب فنجان قهوة فى المكتب قبل أن يتوجه كل من الإخوة شعراوى جمعة وأمين هويدى لعملهما.

بدأت المعلومات تصلنى من منزل المشير «عبدالحكيم عامر» مرتين يومياً، الأولى فى الفجر والثانية فى المساء، وكانت أيضاً تصل معلومات يومياً من الضباط الذين قاموا بالتبليغ من قبل عن التحركات المشكوك فى أمرها. الصورة النهائية لحصيلة المعلومات خلال أيام قليلة تقول إن فى بيت المشير بالجيزة سريتى حراسة كاملتى التسليح وميليشيا مسلحة مقيمة من أبناء قرية أسطال، مسقط رأس المشير «عامر»، وأن على شفيق صفوت غير موجود. أما السيدان شمس بدران وعباس رضوان فهما بصفة مستديمة مع المشير فى بيته.

وتحدثت المعلومات عن تردد بعض ضباط الصاعقة والمدرعات والطيران والمدفعية فى أوقات متأخرة من الليل على البيت ودخولهم من أبواب جانبية أو من باب المشتل المجاور بصحبتهم السيد عباس رضوان أو أحد ضباط حراسة المشير، ويتم لقاء مع كل منهم على انفراد مع المشير عامر، لا يستمر طويلاً ولا يتعدى أى لقاء أكثر من نصف

ساعة أو ٤٠ دقيقة، وأنه لم يحضر أبداً ضابطان فى وقت واحد، وإذا زادت عن لقاء فى الليلة تكون متباعدة فى التوقيت حتى لا يحدث تداخل فى المواعيد ويلتقى أحد بالقادم التالى وهكذا، أى أنها عملية مرتبة ومخططة بشكل حذر جداً.

بعد أسبوع بدأت تنتقل اللقاءات إلى شقق خارجية، تم تأجير فيللا تحيط بها حديقة ذات أشجار عالية لا تكشف ما يدور بداخلها، وكان يملكها «كبابجى» فى الدقى، تقع فى شارع جانبى من الجهة المواجهة لمنزل المشير ويلتقى فيها المشير بالضباط الذين يخشون من التردد على البيت فى هذه المناطق وغيرها، وكان يتابع اللقاءات عباس رضوان وشمس بدران. بدأت متابعة هذه العناصر بطريقة سرية ودقيقة لمعرفة مدى اتصالاتهم ونشاطهم، يحضرنى فى هذا المجال، أن زوجة أحد الضباط، الذين تم الاتصال بهم وقابلوا المشير عامر شخصياً فى المشتل، علمت بنشاط زوجها وبنية القيام بانقلاب، فبادرت بإبلاغ المرحوم السيد كمال الدين رفعت بما يقوم به زوجها من نشاط وقام السيد كمال الدين رفعت بإبلاغى بذلك زيادة فى تأكيد المعلومات التى كانت لدينا من قبل.

أحد ضباط المخابرات العامة، وكان فى موقع حساس، جاء فى منتصف إحدى الليالى وأبلغنى أنه يريد مقابلة الرئيس لأن هناك تصرفات مريبة فى المخابرات، وطلب أن يتم هذا اللقاء فى سرية تامة مطلقة، وافق الرئيس جمال عبدالناصر على لقاء ضابط المخابرات العامة، فى اليوم التالى تم اللقاء وأدخلته من الباب الخلفى وكان لقاء طويلا. تحدث عن انحرافات فى جهاز المخابرات وأن صلاح نصر مرتبط بعبدالحكيم عامر مع عباس رضوان وشمس بدران، وأن زيارات عباس رضوان لصلاح فى مبنى المخابرات العامة قد زادت فى الفترة الأخيرة وتكاد تكون يومية، وتتم فى وقت متأخر من الليل.

طلب الرئيس متابعة هذه التصرفات وأن يتم لقاء آخر قريباً، وفى اللقاء الثانى وضعت النقاط على الحروف بالنسبة للتصرفات كلها وعلى أساسها قامت قضية الانحراف فى قيادة جهاز المخابرات.

كان عبدالناصر يقول لى إنه عمل بثقة من جانبه مع هذه القيادات، وكان من الصعب معرفة ما سمعه إلا إذا عين رقيباً على جهاز المخابرات وهو أمر مستحيل لأنه يترتب عليه حساسيات وفقدان ثقة تنعكس على كل الأجهزة الأخرى، والحقيقة أن الموقف كان صعباً جداً بقدر ما كان محبطاً!

أصبحت المعلومات متوافرة، وهناك أدلة مادية على الخروج على الشرعية، فهناك انحرافات واتصالات واستئجار شقق واستدعاء ميليشيات من بلدة المشير عامر فى منزله بالجيزة وتوزيع الاستقالة واعتصام بعض الضباط، وأيضاً طلب المشير عامر، بعد أن تقرر سحب قوة الحراسة من الجيزة، أن تنقل المعدات والأسلحة التى كانت فى الحلمية إلى الجيزة.

وعندما اكتملت الصورة أمام الرئيس أمر بتكليف شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف بوضع خطة لمواجهة الموقف وإفشال المخطط، كانت مهمة صعبة وحساسة لأسباب عاطفية ومادية. فصلاح نصر كان رجل عبدالحكيم عامر الذى تتعاطف معه القوات المسلحة. فضلاً عن أنه لم يكن بين أى منا نحن الثلاثة وبين عبدالحكيم عامر إلا كل تقدير وحب واحترام، ورغم شعورنا أننا نعمل فى جو غائم من ناحية الإمكانات المتاحة فقد كنا فى سباق مع الزمن.

تم الاتفاق على أن نعقد اجتماعاتنا السرية فى نادى الشمس الرياضى باعتبارى مؤسس النادى ورئيسا لمجلس إدارته. كنا نذهب إليه فرادى، بعد اتخاذ احتياطات التأمين اللازمة، وكان لى مكان خاص فى منطقة منعزلة.

وضعنا خطة أطلقنا عليها اسما كوديا «جونسون» ولم تأت التسمية من فراغ فكان لها مدلول، فجونسون كان وراء ما حدث فى ٦٧ وما قبلها وكان يجسد العداء الكامل لعبدالناصر.

كان تصورنا المبدئى أن يتم اعتراض سيارة المشير فى طريق صلاح سالم الذى كان يستخدمه فى جميع تحركاته أثناء عودته إلى الجيزة، وتتم السيطرة على السيارة بمن فيها بسرعة لتفادى أية اشتباكات محتملة. ثم ينقل المشير عامر إلى مكان أمين مجهز من قبل. وكانت هناك أكثر من أربعة أماكن تبادلية جاهزة فعلاً. وتم وضع هذا الإطار العام فى خطة كاملة وطلب الرئيس إبلاغها للسيد زكريا محيى الدين. وفى مساء اليوم التالى طلبنى السيد زكريا محيى الدين للتوجه إلى منزله، وقد أبلغنى كل من شعراوى جمعة وأمين هويدى أن زكريا محيى الدين اتصل بهما وطلب إلى كل منهما أن يذهبا فرادى لمقابلته. وبعد مناقشة اتفقنا أن نتوجه إليه مجتمعين وفى سيارة واحدة. وفوجئ السيد زكريا الذى كان ينتظرنا فى مدخل حديقة منزله الخلفى بدخولنا نحن الثلاثة وضحكنا كلنا على هذا الموقف دون أن يعلق واحد منا على شيء.

ناقشنا السيد زكريا فى الخطة ووافق من ناحية المبدأ على الإطار العام إلا أنه أثار تخوفاً من فكرة اعتراض سيارة المشير فى طريق عام على أساس احتمالات كثافة مرور غير متوقعة فى التوقيت نفسه وعدم حساب عنصر الاشتباك مع الحرس مما قد يفشل العملية وقد يترتب عليها خسائر فى الأرواح. واتفق على إعادة النظر فى الخطة وتعديلها.

بدأنا نعقد لقاءاتنا فى نادى الشمس حتى توصلنا إلى خطة مبسطة احتمالاتها السلبية محدودة، وكانت الخطة تتلخص فى أن نغتنم فرصة أن الرئيس قرر دعوة عبدالحكيم إلى بيته لمواجهته بحضور أعضاء مجلس الثورة، على أن يبلغ بعد انتهاء المواجهة بقرار تحديد الإقامة، ويتم التحفظ على سيارته وحراسته فى الحرس الجمهورى. وفى الوقت نفسه الذى تتم فيه مواجهة المشير فى منشية البكرى يقوم الفريق أول محمد فوزى يعاونه الفريق عبد المنعم رياض واللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية بمحاصرة منزل المشير عامر بالجيزة والقبض على كل العناصر الدخيلة مع وضع الترتيبات التى تكفل سلامة وتأمين عائلة المشير عامر، وتصفية المنزل من الترسانة الموجودة به. وكذلك السيطرة على المخابرات العامة إما فى الليلة نفسها أو فى الصباح الباكر من اليوم التالى حسب تطور الأحداث.

ووافق جمال عبدالناصر على الخطة الجديدة وأمر بعدم القيام بأى تصرف إلا بإشارة منه شخصياً.

يوم الخميس ٢٤ أغسطس ظهراً بحثها الرئيس معى ونحن نسير فى حديقة منزل المنشية وأمر بالآتى:

بينما الرئيس وأعضاء مجلس الثورة، زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى سيواجهون المشير عامر بما هو منسوب إليه يكون أمين هويدى مسئولا عن الطاقم الموجود داخل المنزل فى منشية البكرى ومقره بجوار مكتب الرئيس لتلقى أية اتصالات تليفونية وأية أوامر من الرئيس لتنفيذها خارج منشية البكرى.

شعراوى جمعة وسامى شرف مسئولان عن كل الاتصالات وتنفيذ التعليمات والتنسيق مع الفريق فوزى فى تصفية منزل المشير بما فى ذلك القبض على حرس المشير وتأمين سيارته فى «جراج» الحرس الجمهورى. وعلى شعراوى جمعة أن يكون على

اتصال دائم أو متواجداً فى مكتب الأخ محمد أحمد، ولم يكن مع تقد
يعلم شخصياً عن هذا المخطط وقد أخطره الرئيس قبل تنفيذ العملية بـ
سيحضر وستتم بعض الإجراءات وعليه ألا يعترض على أى تصرف،
سامى شرف وشعراوى جمعة، وقد ترتب على هذا شيء من الحساسيات
ذلك طبعاً، لكن الواجب هو الواجب، وكان الرجل على قدر المسئوا
الحدث.

كان المعاونون فى هذه العمليات العميد صلاح شهيب من الياوران
شهيب يعاونا السيد أمين هويدى داخل منزل منشية البكرى. ويكون ا
عثمان رئيس مكتب آمر رئاسة الجمهورية، تحت تصرفهم إذا تطلب الأمر

اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية واللواء محمد
يكونان تحت تصرف شعراوى جمعة وسامى شرف.

الفريق عبدالمنعم رياض واللواء سعد عبدالكريم مدير الشرطة العـ
عادل سوكة قائدا اللواء الرابع المدرع تحت تصرف الفريق محمد فوزى
من يراه الفريق فوزى، وعند بدء التنفيذ تترك له حرية التصرف.

اللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة، من خلال شعراوى جمعة
يكون فى حالة تأهب واستعداد لتنفيذ أية مهمة تطلب منه».

عند هذا الحد تنتهى شهادة «سامى شرف» وكما رواها للأستاذ «عبد

❑

لا نزال مع شهادات المعسكر الموالى للرئيس فى صراعه مع المشـ
فشهادة «أمين هويدى» أكثر من مهمة، فقد رأى عن قرب كل تفاصيـ
البداية يؤكد أن الخطوة التمهيدية لما جرى بشأن المشير «عامر» من خـ
١١ يونيو ٦٧ ومن مكتب «سامى شرف» سكرتير الرئيس للمعلومات.

يقول أمين هويدى: «وفى تلك الفترة كان المشير قد تورط فى عدة أ

الحدث الأول: وهو الهزيمة النكراء التى مُنىَ بها الجيش على يديه،
حقيقة أن هذه الهزيمة لم تؤثر فى المشير. بل أجمع كل من شاهدوه فى
٨/ ٦/ ١٩٦٧ على أنه كان عادياً لا يظهر عليه أى شعور بالندم أو الان

ضمن من زاروه كثيراً من الساسة والصحفيين ورجال القوات المسلحة، وقد أخبرني الأخ شعراوي جمعة ـ وكان أحد من زاروه في منزله ـ أن «المشير نزل وكان زي الورد بعد أن كان قد انتهى لتوه من الاستحمام»!!

الحدث الثاني: وهو التمادي في العدوان على الشرعية القائمة فبعد أن قبل الرجل أن يتنحى يوم ٨/ ٦/ ١٩٦٧ عن قيادة القوات المسلحة إلا أنه عاد فتشبث بمناصبه حتى لا تفسر استقالته تلك على أنها بسبب الهزيمة العسكرية. فقد اتخذ المشير هذا الخط بعد النكسة ـ وهو خط أن السبب في الهزيمة هو سبب سياسي وليس سبباً عسكرياً ـ وتمسك به مساعدوه حتى مماته. كان مستشاروه قد أقنعوه بأن بعده عن القوات المسلحة في تلك الفترة معناه فتح الأبواب كلها لاتهامات يحسن تجنبها. ولذلك فإن الرجل لم يقبل بأي حال من الأحوال أن يكتفي بتولي منصب نائب رئيس الجمهورية بل تمسك بكل قواه بالمنصب الأهم ـ خاصة في تلك الفترة ـ وهو منصب القائد العام للقوات المسلحة، وكسبا للظروف غير المتوقعة بدأ الرجل في تحويل منزله بالجيزة إلى قلعة حقيقية نقل إليها الكثير من الأسلحة والعتاد وكثف قوة الحراسة الموضوعة على منزله بقوات من الشرطة العسكرية. بل استدعى ـ وكما سبق القول ـ ٣٠٠ رجل من بلدته بالمنيا لمضاعفة الحراسة. ولا شك أن هذا التصرف لم يكن حكيماً ولا لائقاً ولكنه حدث، وكان الخطر الأكبر لهذا العصيان على الشرعية هو الانقسامات التي بدأت تحدث في القوات المسلحة. بل وتحركت بعض الوحدات بقيادة ضباطها في مظاهرات صاخبة تهتف بحياة المشير. وبدأ ولاء الضباط يتزعزع وأصبحت القوات المسلحة حقلا خصباً للشائعات بل للاستقطاب. وللدلالة على مقدار الفوضى التي خلقها عصيان «المشير» في المحافظة على الأمن أن أحد الضباط ـ أثناء إلقاء القبض عليه بناء على تعليمات سابقة بالقرب من منزل المشير بالجيزة وكان من ضمن الضباط المعتصمين هناك ـ استغاث بزملائه في المنزل فأغاثه خمسة أفراد يرتدون الجلاليب والعمة ومعهم بنادق آلية. وبدأوا في إطلاق النيران على القوة قاصدين القضاء على أفرادها، ثم بدأ إطلاق النيران من داخل منزل «المشير» من عدة اتجاهات ثم تحركت أربع عربات جيب من حول منزل المشير لمطاردة القوة في شوارع الجيزة وهي تطلق النيران.

ثم تحديا لكل التقاليد والقوانين أمر «المشير» يوم ٢١/ ٧/ ١٩٦٧ وبعد أن استقر في منزله بالجيزة بعد تركه منزله بمعسكرات الحلمية بنقل الأسلحة التي كانت موجودة في منزل الحلمية إلى محل إقامته الجديد.

وفى الوقت نفسه بدأ «المشير» فى توزيع استقالته التى سبق وقدمها إلى الرئيس فى أزمة ١٩٦٢ والخاصة بتعيينات الضباط من الرتب الكبيرة بتصديق المجلس والسابق الإشارة إليها.

وثبت بعد ذلك فى التحقيقات أن الذى طبعها هى «زوجته السيدة برلنتى عبدالحميد» وقد ضبطت آلة الطباعة فى قريتها. وكان يتولى توزيع هذه الاستقالة والتى كتبت فى عام ١٩٦٢ بعض ضباط القوات المسلحة داخل الوحدات وبعض أعضاء مجلس الأمة وهم ما أطلق عليهم «مجموعة المنيا» والذين فصلهم السيد أنور السادات الذى كان يرأس المجلس من عضوية المجلس وآخرين.

بل أخذ المشير يلجأ إلى وسائل ما كان يجب عليه أن يلجأ إليها مهما كانت الظروف، كان المشير «عامر» يريد أن يهدم المعبد على كل من فيه فلم تكفه «النكسة» الثقيلة التى أصاب بها الأعمال العظيمة لثورة يوليو والتى أضاعت وغطت على حلاوة انتصاراتها الكثيرة والكبيرة، ولكنه تمادى فى أعماله تلك وأخذ يتورط فى أعمال أخرى خطيرة.

الحدث الثالث: مؤامرة قلب نظام الحكم وتخطيطه للاستيلاء على السلطة، والشيء الغريب أن جهازى المخابرات العامة والمخابرات الحربية كانا على علم بما يدبر، وأبلغت إدارة المخابرات الحربية مالديها من معلومات للجهات المختصة، ولكن المخابرات العامة - وكان يتولى رئاستها السيد صلاح نصر - حتى مساء ١٩٦٧/٨/٢٥ لم تبلغ مالديها من معلومات إلى الجهات المسئولة، ويعد هذا التصرف إخلالا كاملاً بمسئولية وأمانة المسئولين عن ذلك واستمر هذا التكتم حتى توليت رئاسة الجهاز فى ١٩٦٧/٨/٢٦.

فبعد أن قدم المشير إستقالته - والذى عاد وسحبها مرة أخرى - بذلت محاولات كثيرة من المحيطين به وبموافقته لإعلان العصيان فقد قاموا بجمع عدد كبير من الضباط لعمل مظاهرة للمطالبة بعودة المشير. بل قام ضباط حراسة المشير بمظاهرة عسكرية مسلحة بالعربات المدرعة واتجهوا من الحلمية إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، وفى الوقت نفسه كان يتم اتصال أعوان المشير بقوات الصاعقة الموجودة فى أنشاص فى ذلك الوقت، وكان يتم استدعاء بعض الضباط لمقابلة المشير ليلا فى منزله بالجيزة. وكان المشير يستقبل علاوة على ذلك بعض المدنيين سرا فى منزله، ولزيادة سرية هذه

المقابلات أمر المشير بفتح ثغرة فى السور الذى يفصل بين المنزل «والمشتل المجاور» وأخذت المقابلات تتم فى هذا المشتل كل ليلة، وأخذ بعض الضباط يزودون المشير بتقارير عن أوضاع وحداتهم ويتلقون منه الأوامر لنشر الشائعات وتوزيع استقالته السابق الإشارة إليها. وفى نفس الوقت لوحظ نقل كميات من الأسلحة والذخيرة من معسكر الحلمية إلى منزل المشير بالجيزة. كما لوحظ عدد كبير من الأفراد المدنيين يحملون السلاح ويقومون بحراسة منزل المشير ويمنعون الاقتراب وقام بعض الضباط المقيمين فى منزل المشير بتدريبهم على إطلاق النيران وبذلك أصبح منزل المشير والمنطقة المحيطة به منطقة ممنوعة على سلطات الأمن. كما لوحظ تردد أعضاء مجلس الأمة عن محافظة المنيا وبعض محافظات الوجه القبلى على منزل المشير، وكلف البعض منهم بإثارة مناقشات سياسية بقصد إحداث بلبلة سياسية فى نفوس أعضاء مجلس الأمة والشعب ووزع على بعضهم صورة من الاستقالة مع تحريضهم على القيام بنشر أنباء مضللة عن أسباب الهزيمة العسكرية.

لكل هذه الشواهد تم وضع المنطقة كلها تحت المراقبة بواسطة الأجهزة المختصة. بل تم عمل كافة الترتيبات الدقيقة لمعرفة كل ما يجرى داخل المنزل فى كل وقت وتم تجهيز «رسم كروكى» للمنزل من الداخل والخارج وللمشتل ولكل المنطقة المحيطة بالمنزل تحسبا للظروف.

وبدأت هذه التجهيزات والترتيبات التى ينوم بها المشير تتبلور فى مؤامرة حقيقية لقلب نظام الحكم حدد لتنفيذها يوم ٢٧/٨/١٩٦٨ وكان الغرض منها الاستيلاء بالقوة على القيادة العامة للقوات المسلحة.

أـ المرحلة الأولى وهى الجانب التمهيدى والدعائى داخل أفراد القوات المسلحة لإحداث بلبلة فى الأفكار وإثارة الفتن ببث الدعايات المسمومة والمغرضة والسعى إلى نيل تأييد أكبر عدد ممكن من الضباط لتأييد المخطط وتهيئة الأذهان لتقبل الوضع الجديد، ودعوة الضباط إلى منزل المشير وتقصى أحوال القوات المسلحة وأسرارها منهم وتوزيع استقالة المشير وإقناعهم بأن للمشير قضية عامة هى مطالبته بالديموقراطية وإطلاق الحريات.

ب ـ الشق الثانى ويتمثل فى الجانب العسكرى التنفيذى ويعتمد على قوات الصاعقة الموجودة فى «أنشاص» والتى كان عليها تأمين وصول المشير إلى القيادة

الشرقية فى منطقة القناة ثم تنصيبه قائداً عاماً للقوات المسلحة، ثم يقوم المشير بإعلان مطالبه لرئيس الجمهورية من هناك فإذا لم يستجب له الرئيس تحركت قطاعات من القوات المسلحة لفرض هذه المطالب بالقوة وذلك بمعاونة القوات الجوية لضمان نجاح الخطة، وتم تحديد القوات اللازمة لتنفيذ العملية ودرست الطرق التى سوف تتحرك عليها هذه الوحدات وحددت التوقيتات اللازمة للتنفيذ. كما وزعت المهام والواجبات لكل منهم فكان موكولا إلى السيد «شمس بدران» مثلا تأمين الشرطة العسكرية والفرقة المدرعة والسيد «عثمان نصار» تأمين منطقة دهشور العسكرية والسيد «عباس رضوان» تأمين منطقة القاهرة واعتقال بعض المسئولين فى الدولة بمعاونة أطقم المخابرات العامة بعد موافقة السيد «صلاح نصر» وكان على رأس المعتقلين «شعراوى جمعة» و«سامى شرف» و«أمين هويدى».

باختصار شديد وحسب ما يقول «أمين هويدى»:

«..إذن كان المشير متورطاً فى أكثر من اتجاه. وكان بذلك مهيئاً للقيام بأى إجراء غير محسوب أو خطوة يائسة إذا ظل هكذا مطلق الحرية يفعل ما يريده، ولذلك فإنه كان من الواجب إيقاف الأمور عند حدها حتى لا تتطور وتتضخم.

صدرت تعليمات الرئيس «عبدالناصر» إلى كل من «شعراوى جمعة ـ سامى شرف ـ أمين هويدى» بوضع خطة لمواجهة الموقف وتحديد إقامة المشير «عامر». وكان اقتناع الرئيس باتخاذ هذه الخطوة فى حد ذاته عملا إيجابياً حقيقة إذ لم ينجح فى إقناعه أحد من زملائه رغما عن تكرار المحاولة، وكان هذا يرجع أولاً إلى أن الأمور وصلت إلى منتهاها وأن الصراعات على القمة التى كانت موجودة داخل «الحرس القديم» لم يكن لها أثر فى «الجماعة المختارة» فكانت حسابات الرئيس هنا أسهل وأيسر.

وكانت المأمورية دقيقة وصعبة ولكنها كانت واجبة وكانت المناصب التى يتولونها فى ذلك الوقت كالآتى: «شعراوى جمعة» وزيرا للداخلية، «أمين هويدى» وزيراً للحربية، «سامى شرف» مدير مكتب الرئيس للمعلومات.

كانت المأمورية دقيقة لأنها كانت تتعلق «بالمشير» والرجل لم يقدم لأحد منا من الناحية الشخصية سوءا أو ضررا، ثم كان الرجل بسلطاته التى مازالت تترك بصماتها على كل أجهزة الدولة يمثل قوة حقيقية لا بد أن نعمل لها حسابا ثم كان لابد من التصرف بحكمة تامة حتى لا نجعل من التصفية صداما حقيقيا يمكن أن يتسع فيشعل الحرائق فى كل شيء.

وكانت المأمورية صعبة لأن الأجهزة الحساسة كلها كانت متعاطفة مع المشير «عامر». فالمخابرات العامة وعلى رأسها السيد «صلاح نصر» كانت قد حددت موقفها إلى جواره، القوات المسلحة متعاطفة وإن كان البعض قد أظهر جانب الحياد إلا أنه لم يكن ليتردد فى اتخاذ موقفه إلى جوار المشير عند أول بادرة نجاح لجهوده فى سبيل الاستيلاء على السلطة. أما أجهزة وزارة الداخلية فلها حساباتها المعقدة فى مثل هذه الأحوال ولا داعى للخوض فى تلك الحسابات حتى لا نخرج عن الموضوع.

ولذلك فقد قررنا أن نلتزم بالسرية المطلقة فى اتخاذ إجراءاتنا وكذلك بالسرعة المعقولة لأننا كنا فى سباق خطير مع الزمن فلم يكن الجانب الآخر عند بداية وضع الخطة بواسطتنا قد حدد موعد تحركه بعد وكنا بذلك نتحرك فى المجهول، من ناحية السرية لم يخطر أحد غير ثلاثتنا فى المراحل الأولى بهذا الأمر، وأى قول غير هذا عار تماماً عن الصحة وادعاء باطل تورط فيه البعض حتى يظهر أنه كان على علم ببواطن الأمور، واتفقنا أن نطلق الاسم الكودى «جونسون» على العملية كلها خوفا من التورط أثناء حديث أو مكالمة تليفونية كما اتفقنا على أن تكون اجتماعاتنا فى «نادى الشمس» بمصر الجديدة، وكانت الاجتماعات تتم فى وقت متأخر من الليل بعد أن يكون النادى قد أغلق أبوابه حول حمام السباحة وأمامنا لفائف من ساندويتشات الفول والطعمية التى كان يحضرها من يكلف بذلك، وكنا نصل دائماً إلى مكان الاجتماع فى مواعيد متقاربة وبطريقة فردية.

كان تقديرنا لأول وهلة أنه إذا استدرج «المشير» بحيث يكون منفرداً أو معه أقل عدد ممكن من الحراس فإنه فى هذه الحالة يمكن وبسهولة تدبير طريقة نتحفظ بها عليه فى أى مكان أمين حتى تتم تصفية الجيوب الباقية فى منزل الجيزة مثلا.

ولذلك وبعد بحث عدة بدائل استقر الرأى على الآتى:

١ـ إن أصلح مكان لذلك هو طريق «صلاح سالم» حيث كان المشير يستخدمه ذهابا وإياباً للقيام ببعض الزيارات الخاصة ويمكن تحديد الوقت بالتقريب بمراقبة تحركاته على الطريق عدة مرات.

٢ـ إن أنسب وقت لإتمام العملية هو فى طريق عودته إلى الجيزة فالوقت يكون متأخراً فى ذلك الحين وتقل حركة المرور ثم يكون «المشير» فى حالة يقظة غير كاملة.

٣ـ أن يتم سد الطريق عند إحدى فتحاته بحيث تضطر عربة المشير إلى التهدئة والانحراف إلى الجانب الآخر من الطريق.

٤ـ فى هذه اللحظة يمكن السيطرة على العربة بمن فيها مع التأكد من أن تتم الأمور بسرعة لتفادى أى اشتباك، ثم يوضع المشير فى مكان أمين مجهز من قبل.

كانت هذه هى الخطة العامة التى وضعنا لها كثيراً من التفاصيل الدقيقة وعرض الموضوع على الرئيس بواسطة «سامى شرف» ووافق الرئيس على ذلك.

وعقب ذلك بفترة قصيرة استدعانا السيد زكريا محيى الدين استدعاء فرديا لمقابلته فى منزله بالدقى وكان يؤكد على كل فرد ألا يخطر أحداً بالمقابلة على أن يترك كل فرد عربته بعيداً عن المنزل وتبادلنا هذه المعلومات رغما عن التنبيه علينا مرارا بعدم إخطار أى فرد باللقاء وصممنا أن نذهب إلى السيد «زكريا» مجتمعين وفى وقت واحد وبعربة واحدة، وفوجئ الرجل بذلك إلا أنه قابل الموقف بضحكته المعهودة التى قد تعنى شيئاً أو قد تعنى أشياء عديدة أو قد لا تعنى شيئاً. إلا أنه استقبلنا فى بشاشته الكريمة وبكرمه المعتاد، وتناقشنا فى الخطة وكان على علم بها، كان الرئيس قد أطلعه عليها وأشركه فى التنفيذ أو على الأقل فى مراجعة تفاصيل ما سوف يتم ، وخرجنا ونحن جميعاً على اتفاق كامل على التنفيذ، لم يكن أحد يعلم بالموضوع إلا نحن فقط بعكس ما ورد فى روايات عديدة قرأتها وتعجبت منها ولها.

ولكن حينما تكررت اللقاءات بدأت عيوب كثيرة تظهر أمامنا لهذه الخطة:

١ـ فقد اكتشفنا أنها معقدة غاية التعقيد والخطة يجب أن تكون بسيطة.

٢ـ ثم إنها خطة جامدة أى أنها تتبع توقيتا دقيقا، ومقتل أى خطة هو فى جمودها وعدم ترك فسحات من الوقت للظروف غير المتوقعة أو الطارئة.

٣ـ ثم إن احتمال عدم الاشتباك ضئيل للغاية ويعتمد على الحظ، والاعتماد على الحظ أكثر من الدقة ليس صحيحاً فى أى أمر من الأمور.

٤ـ ثم من يضمن عدم كثافة المرور فى هذه الساعة التى ستتم فيها العملية وليس لائقا أن تتم عملية مثل هذه مع نائب رئيس جمهورية سابق حتى تصبح حديثاً تلوكه الألسن فى العاصمة.

٥ ـ ثم من يضمن ألا يكون المشير فى وعيه الكامل استثناء من الظروف العادية؟

وهنا قررنا إلغاء الخطة من أساسها واستبدالها بأخرى تتلافى عيوب الخطة السابقة.

وتوالت الاجتماعات وأغلبها فى نفس مكاننا فى نادى الشمس بمصر الجديدة وكنا فى سباق مع الزمن لعدة أسباب:

١ـ فمؤتمر القمة العربى سوف يعقد فى الخرطوم فى ١٩٦٧/٨/٢٩ ولابد أن يحسم الوضع قبل سفر الرئيس إلى الخرطوم وإلا لو استمرت الأوضاع على ما هى عليه فإن تأجيل سفر الرئيس سوف يصبح أمرا حتميا، وكان البديل لهذا الموقف ـ فى حالة عدم إمكانية الحسم ـ أن يصطحب الرئيس «المشير عامر» معه إلى هناك ولو فى هدنة مؤقتة.

٢ـ كان الجانب الآخر قد ضاعف نشاطه وأصبح ظاهرا أن عملية ما قد أصبحت جاهزة للتنفيذ لموالاة الضغط على السلطة الشرعية، وكان لا بد لجانب الشرعية أن يضرب ضربته أولاً.

٣ـ كان الموقف فى القوات المسلحة يزداد سوءاً فحالة القلقلة والتميع كانت سائدة ولا أنسى فى هذه المرحلة زيارتى إلى القاعدة الجوية فى أنشاص وبرفقتى الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة والفريق مدكور أبوالعز قائد القوات الجوية. كانت الزيارة لن تستغرق أكثر من ساعة نفتش فيها على إنشاء الدشم والدفاعات الأرضية والجوية على القاعدة وحالة المواصلات والخطط الموضوعة وطريقة إصلاح الممرات فى حالة ضربها بواسطة العدو وخطط التمويه والخداع واستكمال النقص فى الأفراد والأسلحة والمعدات، إلا أن موقف البلبلة السائد بين ضباط القاعدة جعلنى ألغى زيارتى للقواعد الجوية الأخرى وصممت على عدم ترك أنشاص إلا والاقتناع سائد بين كل الأفراد. وقد كان.

٤ـ كان العدو يركز على انهيار الجبهة الداخلية كوسيلة لإسقاط النظام وكان لابد من رأب التصدع الذى حدث بأسرع ما يمكن حتى تعود الجبهة الداخلية إلى تماسكها وتعود القوات المسلحة إلى وحدتها وانتظامها ويتفرغ الجميع للمسئولية الثقيلة التى تواجههم.

إذن كان لا بد للخطة أن تكون بسيطة وشاملة وتشمل كل الجيوب التى تشارك فى حالة العصيان القائمة: المشير بشخصه على رأس القائمة، قلعة منزل المشير بالجيزة، جهاز المخابرات العامة بعد أن أصبح من المؤكد أن رئاسته تلعب دوراً خفياً فى تغذية وتأييد العصيان.

وكانت الخطة فى إطارها العام كالآتى:

١ـ يستدعى المشير إلى منزل الرئيس فى منشية البكرى ليلا لأى سبب يراه الرئيس صالحاً لهذا الاستدعاء حيث يبلغ بتحديد إقامته.

٢ـ فى نفس الوقت تتجه قوة من القوات المسلحة إلى منزل المشير بالجيزة لحصاره والقبض على من فيه على أن يتم ذلك قبل أول ضوء.

٣ـ فى اليوم التالى مباشرة يعاد النظام إلى جهاز المخابرات العامة.

ووافق الرئيس على الخطة ورأى أن يحضر معه فى لقائه بالمشير فى منزله كل من السادة «زكريا محيى الدين» و«حسين الشافعى» و«أنور السادات»، ولم يكن أحد من الثلاثة يعلم بما سوف يتم إلا السيد «زكريا محيى الدين» فقط ويظهر هذا واضحاً من رواية السيد «أنور السادات» فى كتابه «البحث عن الذات» فى الصفحة ٢٤٨: فالبرغم من أنه على عادته المعروفة يميل إلى أن يجعل نفسه دائماً مركز الأحداث أيام «عبدالناصر». وهذا غير حقيقى بالمرة، إلا أنه قال «بعد ذلك فى أغسطس أثناء زيارة تيتو لنا استدعانى «عبدالناصر» فى قصر رأس التين فذهبت إليه ووجدت علامات الحيرة على وجهه وقال: والله أنا عايز أقول لك على موضوع يا أنور. أنا مشغول قوى بحكاية «عبدالحكيم» وأنا تكلمت مع تيتو وحكيت له الحكاية كلها، تيتو قال لى ضرورى تأخذ إجراء فى العملية دى وإلا البلد مجروحة وبعدين أى صراع داخلى وخصوصاً إذا كانت فيه القوات المسلحة حيتوسع وينقلب إلى صراع كبير: قلت له: ياجمال إنت سمعت منا كلنا رأينا فى الموضوع ده وفعلا ضرورى أنت بالذات تواجه «عبدالحكيم» باللى بيعمله وتحسم الموضوع نهائياً. فقال: فعلا أنا لازم آخذ إجراء. كان ذلك فى ١٣ أغسطس ولم يفصح «عبدالناصر» عن نوع الإجراء الذى سيتخذه، كل ما حدث أن الإجراء تأخر إلى يوم ٢٥ أغسطس. لماذا تردد رغم خطورة الموقف؟ هنا مرة أخرى تظهر علامة الاستفهام الكبيرة فى كل ما يختص بالعلاقة بين «عبدالناصر» و«عامر». ثم قال «فى هذه الأثناء كان عامر قد جعل من بيته المطل على النيل فى الجيزة قلعة بكل معنى الكلمة مما جعل عبدالناصر يقرر أخيرا إقامة عامر فى بيته بعد أن تسحب منه جميع الأسلحة، وبناء عليه أرسل إليه يطلب حضوره للقائه فى منزلة مساء الجمعة ٢٥ أغسطس وقال لنا: اسمعوا ياجماعة أنا عاوزها جلسة مواجهة وأنتم تكونوا

موجودين، وأنا وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى كنا موجودين فى هذه الجلسة» وبعد ذلك أخذ يسرد القصة ويركز على أنه هو الوحيد الذى كان يتكلم فى الجلسة وهو الوحيد الذى اصطحب المشير إلى دورة المياه وهو الوحيد الذى بقى معه وكل هذا لم يحدث لأننى كنت موجودا هناك أرى كل شىء وأسمع كل شىء.

وصف السادات لعبدالناصر بالتردد هنا ومحاولته إثارة علامات استفهام فيه مبالغة كبيرة. لأنه لم يكن يدرى أن الترتيبات كانت تعد قبل ١٣ أغسطس الذى تحدث عنه بوقت طويل، ثم واضح من حديثه أنه كان يجهل كل شىء حتى استدعاه الرئيس يوم ٢٥ أغسطس إلى منزله فى المساء.

وأصبح كل شىء معداً للتنفيذ!!».

❑

حسب الشهادات السابقة فقد كانت كل تحركات المشير «عامر» ورجاله مرصودة وتحت المراقبة - حسب شهادة سامى شرف - لكن يبقى معرفة ماذا جرى داخل معسكر المشير ورجاله عندما اتصل الرئيس بالمشير يدعوه لمقابلته؟!

فى مذكراتها قالت «برلنتى عبدالحميد» :

«جاءت رسالة من مكتب «الرئيس» للمشير، تفيد بأن «جمال عبدالناصر» يدعو «عبدالحكيم عامر» إلى العشاء، فى يوم ٢٤ أغسطس. وسرى النبأ بين أنصار «عبدالحكيم عامر». فانقسموا بشأنه قسمين، قسم كان يغلب عليه التفاؤل، ويتنبأ بأن يسافر «جمال» مصطحباً «عامر»، إلى مؤتمر القمة العربى، الذى سيعقد يوم ٢٨ أغسطس بمدينة الخرطوم وقد أشاع هذا الظن، أن هذه الدعوة، جاءت بعد اللقاء الأخير بين «جمال» و«عامر» بحضور «عباس رضوان»، وما أعلنه «عبدالناصر» بعد ذلك عن الصلح بينه وبين «عامر».

أما المتشائمون، فقد داخلتهم الريب والشكوك بخصوص هذه الدعوة، فهم يرون ازدياد الاعتقالات بين ضباط الجيش، وازدياد الشائعات عن انتحار المشير، بالإضافة إلى أن «جمال» كان إذا أراد دعوة المشير، فإنه يكلمه شخصياً بنفسه، ولم يسبق قط أن جعل بينهما وسيطا، فجمال يطلب «عامر» ويسأله من منا يحضر لزيارة الآخر، وأحياناً يترك للمشير الاختيار، فيقول له «عامر» أنا فى البيت تحب تيجى إمتى، وهكذا يتفاهمان

ببساطـة، ويحضر «جمال» إلـى «عامر» بمنزله بـالجيزة، ولكن هذه الـدعوة قد جاءت ـ لأول مرة ـ عن طريق مكتب الرئيس.

أما «عبد الحكيم» نفسه، فقد أبدى تفاؤلاً، واستبشاراً بهذه الدعوة.

وفى عصر ذلـك اليوم ـ الرابع والعـشرين ـ كنت فى حـديقة منزل الزوجـية أمارس هوايتـى فى العناية بـالزرع، فجأة سمـعت صوت كلاكس سيارة «المشير»، فتـركت ما بيدى، وجريت كالطفلـة إلى السيارة أفتح بابها وأفتش كالعادة فى تـابلوه العربة أبحث عن الحلوى والـشيكولاتة، نظر إلـىّ المشير مبتسـماً: والله انتى رايقـة قوى.. ولا دريانة بحاجة!!.

وتنبهـت إلى أن نظراته وحركاتـه يشوبها القلق. فـنظرت إلى متولى الـذى نظر إلى الأرض أدباً منه، وصامتاً كالعادة، ولاحظت وجود «عباس رضوان» أيضاً فصافحته، ثم انصرف.

سبقنى المشير إلى داخل المنزل. سألته «تحب أعمل لك ليمون؟».

قال باهتمام: «لا.. فين عمرو؟».

كان عمرو مازال رضيعاً فى حوالى الشهر الرابع مـن عمره ترعاه خالتى المقيمة معنا فى حجرة صغـيرة معدة فى الناحية الأخرى مـن الشاليه حاولت أنا أسأله مـاذا به ولكنه قال بحسـم: «أرجوكى قولى للحاجة تجيب عمرو عايز أشوفه».

وذهبت إلى خـالتى وأخذته منهـا، وكان يستعد لـلنوم، وتلقفه مـن يدى ودخل إلى حجـرة النوم وأخـذ يداعبـه ويقبـله، ويـهدهده ـ وهـو فرح ولما رآنـى خائفـة. قال: «لا تخافى.. إن يدى لا تؤذى من أحب.. فما بالك بابنى؟».

واستمر المشير يداعب عمرو إلى أن نام، فـأخذته ولكنه أخذه منى وضمه إلى صدره ضمة قـوية طويلـة، أشعرتنـى بالخوف.. ثم تـركه لى وهو يـقول: «بشرط أن أراه قـبل مغادرة المنزل».

ذهبت بعـمرو، وحين عدت وجدت «عـامر» قد تخفف من مـلابسه، ونام مستـلقيا على ظهره، وقـد بدا على وجهه الشرود والتفـكير، فجلست صامتـة إلى جواره، ولما لـم يحدثنى سـألته: «ماذا بك؟» فنظر إلىّ قلـيلاً ثم قال: «كان مالك ومال الهم الـلى أنا فيه ده؟» واحدة زيك صغيـرة وحلوة، كان زمانها دلوقـت بتتفسح وتخرج وتـهيص.. إنتى اتظلمتى معايا».

قلت: «الحمد لله الذى أنعم علينا بعمرو.. ماذا أريد أكثر من ذلك؟؟».

ثم عاد إلى الصمت، وكان متولى قد نقل إلىّ بعض المخاوف من هذه الزيارة المرتقبة، لذا قلت له لمجرد الرغبة فى الحديث: «أنا مش مستريحة للمقابلة دى».

فإذا به يعتدل قائلاً: «دى المرة المائة التى أسمع فيها هذه الجملة النهارده»!.

رحت أجادله: «لماذا لم يحضر إليك كما كنتما متفقين، حسب المكالمة التى دارت أمامى؟؟».

قال المشير: «قال لى تعبان.. وعنده انفلونزا».

كان هذا القول استنتاجاً، حيث إن المكالمات التى جرت بينهما فى الأيام السابقة، كان «عبدالناصر» يشكو أثناءها من إصابته بالانفلونزا، وكان المشير يعلق على ذلك بقوله: «ده صوته باين عليه».

وساد الصمت.. قطعه بسؤالى فجأة: «مم تخافين؟.. تكلمى بصراحة».

قلت: «قد يغضبك كلامى.. قال مشجعاً «متصورة إيه.. قولى».

قلت بسرعة: «يقتلك».

ضحك المشير.. فقلت: «يقبض عليك.. ويفتعل أدلة اتهام.. ويعمل محاكمة أى كلام تصدر حكما بإعدامك».

رجع إلى الوراء وهو يتنهد: «يعمل لى محاكمة؟ ياريت.. ده اللى بتمناه.. محاكمة عسكرية.. عشان أقدر أرد فيها على الإشاعات اللى محفظينها لبتوع الاتحاد الاشتراكى».

ثم نظر إلىّ قائلاً: «فكرك راح لبعيد... شوفى، أنا أقول لك يقدر يعمل إيه.. يحدد إقامتى».

ثم وصف لى وضع القوات التى تحاصر منزله، واستطرد «مش راح يسكت بعد رفضى العمل معه فلو اشتركت معاه فى الحكم حايشعر بالأمان.. ولذلك هو لابد يصفى خلافاتنا قبل سفره إلى الخرطوم، المهم بلاش تقلقى.. أنا كلفت قرايبى فى الصعيد كى يختاروا بيتاً صغيراً نعيش فيه هناك».

قلت للمشير: «لماذا لا تقبل ما يعرضه عليك جمال.. وتشاركه العمل لمصلحة البلد.. كما كنتما دائماً؟؟».

قال بحزن: «الكلام ده كان ينفع قبل الحرب.. لكن دلوقتى.. بعد أولادى ما ماتوا من غير حرب، ومن غير ما يملكوا حتى الدفاع عن نفسهم؟ إنتى فاكرانى إيه.. موظف أقبض مرتبى ومخصصاتى، وأتفسح فى أوروبا، أنا راجل ثورى، ولن أقبل هذا، هو بيطلب المستحيل، إنى أقعد جنبه طرطور».

قلت: «أنت قلت أنك تريد أن تبتعد عن السياسة ونحن فى أسطال».

قال: «ماسابش لى فرصة الابتعاد.. هو غرق فى أحضان الروس، وصفى قادة الجيش والتشكيلات المؤهلين ـ أحسن الرجال دلوقت فى السجون أو على المعاش... و.... و...».

وتمضى «برلنتى عبد الحميد» فى تسجيل ما جرى فى ذلك اليوم فتقول:

«مضى الوقت ونحن فى حوار، إلى أن سمعت طرقا على شباك حجرة النوم من الحديقة وصوت متولى يقول: الساعة اتناشر يافندم.

قام عامر يستعد للخروج، وخرجت إلى القاعة، فوجدت متولى يجهز الحقيبة للمشير، جلست صامتة أنظر إليه، وهو يعد حاجيات المشير، كان القلق يبدو عليه، ولما كنت أعرف رأيه فى هذا اللقاء، فقد رغبت فى الثرثرة معه وسألته: «لماذا هو قلق؟» فأجاب: «أنا لست مرتاحاً لهذا التصرف، فلم يتعود الرئيس إعطاء مواعيد لسيادة المشير عن طريق أحد».

قلت له: «وليه ما قلتش لسيادة المشير كده؟».

بدا الخجل على وجه متولى وقال: «قلت له.. وكان حايضربنى بالنار.. أول ما سمع الكلام ده.. راح فاتح تابلوه العربية، وطلع المسدس، وزعق لى.. إزاى تسمح لنفسك تتكلم عن الريس بالشكل ده، لو كلمتنى تانى فى الموضوع ده راح أضربك بالرصاص»، وبالطبع اعتذرت له.. فقال: «إزاى تفكر إن الريس يعمل معايا كده؟ دا عشرة ثلاثين سنة وأكثر.. ومش ممكن يفكر فى حاجة زى دى أبداً».

وقطع علينا الحوار نداء المشير «ياعمرو» وكان يقصدنى، فأسرعت إليه فسألنى «انت حاطة الغيارات فين؟».

قلت ضاحكة: «انت مش ناوى تحفظ مكان الحاجة.. وبعد السنين دى كلها.. البدل

هنا و«قاطعنى»: «مش ح تعود. الست عندنا تعمل لجوزها كل حاجة.. سايبانى وقاعدة تسايرى.. عايزة تعرفى إيه؟».

ناولته الثياب وأنا أسأل: «يعنى ضرورى المشوار ده؟».

قال وهو يرتدى ملابسه فى عجلة «ما تقلقيش.. جايز لأن الريس مسافر الخرطوم يوم الثلاثاء، وعايز ياخدنى معاه، وأول ما نبعد عن المنافقين اللى حواليه ونقعد مع بعض بنتفاهم، وكل شىء بيتحل».

أتم المشير ارتداء ثيابه، وطلب رؤية عمرو، ولم يتنازل عن رغبته برغم قولى إنه نائم.. أحضرت «عمرو» فأخذه بين يديه، وضمه إلى صدره وقبله «فتفلفص عمرو وزام وحاول أن يخربش وجه المشير» فضحك وقال: «ده وحش مش عيل.. العيال تعيط وده يزوم».

ثم بدا على وجه المشير الجد، ونظر إلى المرآة قائلاً: «إذا لقيتى المرآة مكسورة أو أى شىء مكسور، اعرفى على طول انهم استعملوا معايا العنف، وإذا لقيتى بقعة دم، تعرفى إن الموضوع فيه دم، يعنى قتلونى، دى إشارة، تتبعى أخبارى فيها إشارات ورموز تعرفى منها كل حاجة، لو اعتقلونى فى البيت حاتعرفى أخبارى، أما لو خدونى حتة تانية واعتقلونى بعيد، راح أبعت إشارات معناها عايز أعيش.. أطلب كتابا، ماكينة حلاقة دى إشارات تفهمى منها إنى لسه حى أوعى تصدقى إنى أنتحر.. لو كنت عايز أنتحر كنت أنتحرت يوم ستة ولا سبعة يونيو.. أنا راجل مؤمن، ومش عايز أموت كافر».

سألته وأنا مذهولة: «لكن ليه كل ده؟».

قال: «لأنهم عارفين.. لو حاكموا أصغر عسكرى فى الجيش، حاروح المحكمة فى عربة مصفحة وأتكلم، وساعتها يعرفوا مين اللى يتحط فى القفص.. عشان كده لازم يقتلونى، وينفدوا من المأزق ده».

خرجت منى صرخة: «ياخبر اسود» استيقظ «عمرو» وأخذ يبكى، نظر إلىّ المشير معاتباً: لا مش دى برلنتى لازم تبقى أقوى من كده.. وعلى كل حال دى كلها احتمالات، وممكن تزول بزوال الخلافات».

وجاء «متولى» ليبلغ المشير بوصول «عباس رضوان» فقال المشير: «لازم أمشى دلوقت» وأعطانى «عمرو» فأخذته وأنا شبه غائبة عن الوعى، وعندما رأيت المشير

يتحرك مبتعداً، ناديت خالتى، وأعطيتها «عمرو»، ثم عدوت خلفه، ووضعت رأسى على صدره، ولكنه ربت على رأسى، ثم مضى صامتاً.

كانت دموعى تنهال وأنا أمشى معه إلى بوابة الحديقة، وقلت له: «عندما تعود غداً من عند الريس، لازم أشوفك على طول، فلن أنام حتى أراك ولو لدقيقة واحدة». قال: «بسيطة».

أوصلته إلى السيارة، ولم يكن بها سوى «عباس رضوان»، الذى أدار موتور العربة فور رؤيته للمشير قادماً، وانتظرت حتى صعد المشير، واستقر بجانب «عباس رضوان»، فأمسكت بيده، وقبلتها لأول مرة وأنا أقول: «ربنا معاك» فأشاح بوجهه ليخفى تأثره قائلا: «ربنا معانا كلنا».

وقال لى «عباس رضوان» والعربة تتحرك: «تصبحى على خير يابيلا.. خلى بالك من عمرو».

وتحركت العربة، وتابعتها حتى اختفت عن عينىّ».

ثم تقول «برلنتى» «مضى الليل وطلع الصباح، ولا أدرى كيف انقضى هذا اليوم، فأنا أتنقل داخل البيت، وأؤدى أعمالاً لا قيمة لها، مجرد تحريك لأشياء صغيرة من أماكنها إلى أماكن أخرى أو أنظف كوباً من الشاى، أو أقوم على رعاية «عمرو»، وكأن عقلى فى ذلك اليوم قد توقف عن التفكير، ومن لطف الأقدار أنى ظفرت فى ذلك اليوم، بسماع صوته، فقرب العصر، جاءنى منه تليفون، ودار بينى وبينه حوار قصير.. سألته «بتتكلم منين».

قال: «من البيت».

قلت: «وميعادك مع صاحبك؟»».

قال: «الساعة تمانية بالليل».

قالت: «وحاتعمل إية لغاية تمانية».

قال: «عبدالحليم حافظ جاى عندى».

قلت: «ولماذا لا أراك ساعة قبل أو بعد عبدالحليم».

قال «عبدالحليم اتكلم كتير عشان يأخذ ميعاد، وما أقدرش أخلى بيه».

وانتهت المكالمة، بعد أن وعدنى بزيارتى فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. وضعت السماعة وأنا فى دهشة من ردوده القصيرة المقتضبة ورغبته فى إنهاء المكالمة بسرعة، وتذكرت أنه حذرنى من قبل من أن التليفونات مراقبة وانتظرت زحف المساء، ومنذ بداية الليل، وأنا أتلهى لتسكين قلقى، أتفرج على التليفزيون، أو أقرأ كتاباً، أو أستمع إلى الراديو.. وفى كل الأحوال لم أتفرج، ولم أقرأ، ولم أسمع.

جاءت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ولم يأت المشير..».

وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى سمعت فيها برلنتى صوت المشير عامر!!

❑

ولن تكتمل الصورة إلا بقراءة شهادة سكرتير المشير عامر وهو «محمد متولى السيد» الذى يقول:

«..ففى تمام الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٦٧ دق جرس التليفون فى مكتبى وكان المتحدث هو «محمد أحمد» سكرتير الرئيس «عبدالناصر» وسألنى عن المشير وقلت له أنه غير موجود فى منزله حاليا وقال لى:

«أبلغ المشير فور حضوره أن الرئيس يريد تشريفه بمنزله ـ أى فى منزل الرئيس ـ فى تمام الساعة الثامنة والنصف من مساء غد الجمعة ٢٥ أغسطس ٦٧».

كان المشير ساعتها برفقة صديق عمره شمس بدران فى زيارة صلاح نصر بمنزله بعد تعرضه لأزمة قلبية ألزمته الفراش، عاد المشير من زيارته لصلاح نصر وأبلغته بأمر مكالمة «محمد أحمد» وطلب الرئيس له مساء الغد لمقابلته فى منزله وفجأة غطى وجه المشير مسحة وجوم شديد وامتقعت ملامحه، وطلب منى الاتصال ببرلنتى وإبلاغها ضرورة الذهاب إلى فيللا الدقى التى استأجرناها لها أخيرا، وكانت فى هذا الوقت تقيم مع والدتها فى شقة العجوزة وطلب المشير منى إبلاغها ضرورة إحضار ابنه عمرو معها فهو لم يره منذ فترة طويلة.

كانت زيارة الخميس ٢٤ أغسطس ١٩٦٧ هى الزيارة الأخيرة التى قام بها المشير لفيللا الدقى ليرى ابنه عمرو وفى مساء الخميس ركب المشير السيارة إلى جوارى وجلست أنا خلف عجلة القيادة ،كان المشير متلفعا بصمته والهموم والقلق تلوحان

ملامحه، وكأنه يدرك أو يستشرف ما سيحل به غدا وحاولت أن أخفف عنه عبء همومه وأن أفض مغاليق صمته وقلت له مباشرة دون تمهيد:

«ليتك يافندم تعتذر لسيادة الرئيس عن مقابلة الغد».

سألنى المشير مندهشا وهو يحتوى كل ملامحى وكأنه يرانى لأول مرة: لماذا؟

عدت أقول له: «نطلب لسيادتك طبيبك الخاص الدكتور «أحمد عفت» وهو الطبيب الخاص للرئيس والمساعد للدكتور «أحمد ثروت» ويقوم بالكشف على سيادتك ليقرر بعدها ضرورة ملازمتكم الفراش لارتفاع درجة الحرارة بما يجعلك غير قادر على الخروج.

أدار المشير رأسه ناحيتى وقال بانفعال واضح: ماذا تقصد؟!

ووجدت أنه لا مفر من الصراحة وقلت: «الحقيقة أن سيادتكم علمتنى أن أكون صريحاً وصادقا فى جميع الأحوال ولهذا أود أن أقول لسيادتك وبصراحة أننى غير راض عن موعد لقاء الغد مع الرئيس فى منزله».

ورد المشير بانفعال: ماذا تقصد بالضبط. لا داعى للمراوغة!!

وجاء ردى «أخشى أن يفعل معك الرئيس ما فعله مع كمال الدين حسين».

انفجر غضب المشير وفتح تابلوه السيارة وسحب منه مسدساً سريع الطلقات كاتماً للصوت كان لا يفارقنى فهو تسليحى الشخصى ووجه فوهة المسدس نحو رأسى وهو يقول بصوت مشحون بالغضب:

«كيف تسمح لنفسك أن تقول مثل هذا الكلام؟ كيف تسمح لنفسك مجرد التفكير بهذا الأسلوب؟.. أنا لا أسمح لك أو لغيرك أو لأى إنسان على وجه الأرض مهما كانت صفته أن يشكك فى علاقتى أنا والرئيس».

وكأن الشلل قد تمكن من مفاصلى ولم أعد قادراً على قيادة السيارة واختنق صوتى وانفجر المشير بعد فترة صمت وقال:

«سوف أقتلك بهذا المسدس إذا عاودت التفكير بهذه الطريقة.. مفهوم؟».

كان المشير لا يزال ممسكاً بالمسدس المصوب إلى رأسى.. وقبل أن تتفجر دموعى أعاد المشير المسدس إلى تابلوه السيارة.

حاولت أن أستجمع شتات نفسى واعتذرت للمشير وقلت:

«آسف يافندم، أنا كنت أفضى لسيادتك بمكنون نفسى والله وحده يعلم ما يدور داخلى الآن، لقد عملت مع سيادتكم لسنوات طويلة تعلمت خلالها الحب والوفاء والإخلاص وبغض الخيانة....» وأوقفت الدموع كلماتى.

وواصل المشير حديثه: «مهما حدث من خلاف بيننا فإن أحدنا لا يمكن أن يفكر فى خيانة الثانى أبداً. إن ما بيننا مجرد اختلاف فى وجهات النظر ولقد دعانى الرئيس لأسافر معه إلى الخرطوم يوم الثلاثاء القادم لحضور مؤتمر القمة».

وعند وصولنا إلى فيللا الدقى حيث تسكن برلنتى أمرنى المشير بإيقاف السيارة وأن أنتظره حتى يعود.. ونادراً ما كان يحدث هذا. وصعد إلى الفيللا وظل بها ما يقرب من ساعتين، وجاء المشير وفتح باب السيارة الأمامى ليقود السيارة وجلست بجواره فى المقعد الأمامى وانطلقت السيارة فى طريقها إلى منزل المشير بالجيزة.

فى مساء الجمعة ٢٥ أغسطس فى تمام الساعة الثامنة مساء خرج المشير مرتدياً ملابسه المدنية وخرج من باب منزله وكانت السيارة الكاديلاك فى انتظاره كى تذهب به إلى بيت الرئيس فى منشية البكرى وسألنى: هل حضر عبدالحليم؟

كان المشير على موعد مع الفنان عبدالحليم حافظ فى تمام الثامنة ولم يكن عبدالحليم قد حضر بعد حسب طلبه لمقابلة المشير قبل سفره إلى لندن للعلاج.. وصعد المشير إلى غرفة الصالون وانتظر عبدالحليم لمدة ربع ساعة ولم يحضر فقرر أن يغادر المنزل وركب سيارته وقال: «إذا حضر عبدالحليم حافظ أبلغه أننى انتظرته حتى الثامنة والربع وأننى ذهبت إلى الرئيس فى منشية البكرى حيث موعدى معه الثامنة والنصف».

كان «محمود طنطاوى» سكرتير المشير العسكرى حاضراً فهو سيرافق المشير إلى الرئيس «عبدالناصر» وتحول موعد الفنان «عبدالحليم حافظ» مع المشير بقدرة قادر إلى «كلمة مزعومة للقيام بانقلاب مزعوم ضد الرئيس عبدالناصر كما جاء معنا فى التحقيقات فى السجن الحربى».

وانتهت شهادة سكرتير المشير.

أما السيد «عباس رضوان» فتجئ شهادته ضمن مقال قصير نشره له «الأهرام» (٢٨/ ٧/ ١٩٩٠) تعليقاً على ما كان يكتبه الأستاذ هيكل وقتها من كتابه «الانفجار». كتب «عباس رضوان» يقول:

«علمت من «عبدالحكيم عامر» أن «جمال عبدالناصر» اتصل به قبل ذلك اليوم بحوالى ثلاثة أيام وحدد له موعداً للقاء فى منزله بمنشية البكرى يوم السبت ٢٦/ ٨/ ٦٧ ثم تعدل الموعد إلى يوم الجمعة ٢٥/ ٨ الساعة ٨ مساء فاستبشرت خيراً وكررت له (للمشير) رجائى الأخوى بأن ينهى الموقف بالاتفاق مع «عبدالناصر» على ما يحفظ مصر أولاً وأخيراً من أية صراعات فى تلك الأيام الحالكة السواد من تاريخها، ووعدنى (أى المشير) بكامل استعداده لذلك وأنه لا يبغى سوى الوفاق بينهما.

وفى يوم ٢٥/ ٨ التقيت بـ «عبدالحكيم عامر» فى منزله قبل توجهه إلى منزل «عبدالناصر» وكررت له الرجاء فطمأننى على ألا يعمل إلا للوفاق بينهما، فقمت بزيارتين لبعض أهلى وعدت إلى منزلى القريب من منزل «عبدالحكيم عامر» فى الجيزة».

❑

ويكمل ملامح ما جرى «عبدالصمد محمد عبدالصمد» الذى يقول:

«عرفت بعد وقت ليس بالقصير أن عبدالحكيم قرر ألا يضعف وأن يدخل مع عبدالناصر وهو فى موقف ضعف نفس المعارك التى كان يدخلها وهو فى موقف قوة.. ويجد فى هذه المعركة حماساً كان لا يجده وهو قوى، ففى وقت قوته كان يضعف عاطفياً وحنيناً للعشْرة والصداقة وكان يرى ضرورة بقاء عبدالناصر على رأس الحكم ولكن دون أن يأكله، وبشرط أن يبقى ندا ومساوياً له على الأقل فى القوة.

ولكن فى حالته هذه كان شعوره أن جمال بيده كل القوى ويملك كل وسائل الضغط عليه وهو أعزل إلا من شجاعته وفهمه لطبيعة صديقه ونقاط الضعف عنده.. وكان يشعر أنه مظلوم ومعتدى عليه.

كان «عبدالحكيم عامر» يتوقع أن يحاول جمال اعتقاله فأعد خطة المقاومة المسلحة وهى بسيطة وناجحة لولا خطأ واحد ما كان يستطيع أن يتجنبه.. فقد كان يعتقد أن المبارزة ستكون وجهاً لوجه ومع كل واحد سيفه.. ورأى جمال أنه ليس من الضرورة أن يكون فى المعركة سيفان، وسيف واحد يكفى وهو الذى فى يده!

وحدد عبدالحكيم مكان المعركة وهو فى بيته فى الجيزة بين كثافة سكانية راقية وبجوار السفارات وبالقرب من شيراتون وهيلتون وكوبرى الجلاء والتقاء القاهرة

بالجيزة فلا يمكن أن تقوم معركة بالأسلحة الثقيلة ولا بالمتوسطة ومع ذلك فقد كان عنده أسلحة متوسطة وبنادق سريعة الطلقات، ومدافع صغيرة وقنابل يدوية ومسدسات، ولكن الأهم من هذا أن عبدالحكيم كان يعتقد أن هذه القوة تستطيع مقاومة قوات البوليس. وسيسمع الجيش بدوى الرصاص وبالنبأ وسوف تجرح كرامته فى أن يعتقل البوليس قائدهم الذى يحبونه، وربما كان فى حسابه أن قوات معينة من الجيش ستهب لنجدته.

فإذا فكر جمال فى أن تعتقله قوة من الجيش حتى من فرقة الحرس الجمهورى فإن هذه القوة ستنضم إليه.. وكان له حسابات هو ومن يحتمون فى بيته من الضباط بالنسبة لعلاقات شخصية بينهم وبين من سيجيئون لاعتقال أصدقائهم.

وكان الذين سيقاومون هم الضباط المجتمعون فى البيت ومعظمهم من الصاعقة وضباط وجنود الحرس الخاص زائدة قوة حرس الجلاليب!

ولم يكن الانتصار فى المعركة هدفاً ولكن كان رأيه أنه إذا كان «عبدالحكيم عامر» ـ كما يقول ـ يستسلم ولا يقاوم جمال فلن يقاومه أحد فى مصر حتى يوم القيامة!

كانت معركة حرب الأعصاب فى بدايتها فى صالح جمال فالوقت ضد عبدالحكيم فهو ينفق على عدد كبير من المقيمين فى بيته ولن يستطيع مواصلة الإنفاق طويلاً، وعند جمال كل قوى الضغط عليه ففى يده فرض الحراسة على كل عائلته، ليضغطوا عليه، ويقبل شروط جمال وفصل الموظفين من العائلة والأصدقاء والأنصار، بل وقطع أو إيقاف مرتب عبدالحكيم نفسه! كما يستطيع اعتقال الضباط المفصولين الذين يقيمون فى بيوتهم واعتقال أنصاره وأصدقائه وكل هؤلاء وعائلاتهم سيضغطون عليه ضغطاً لا يحتمله ومضت الأيام وعبدالحكيم يتحمل بعض هذه الضغوط حتى جاء شهر أغسطس وتحدد عقد مؤتمر القمة يوم ٢٧ فى الخرطوم، ولا بد لجمال من حضوره ولا يستطيع الذهاب إليه ويترك عبدالحكيم فى مصر الذى أخذ منه الكرة وبدأ يلعب بالضغط على أعصاب جمال بالأساليب السابق ذكرها حتى لا يكون أمام جمال غير تنفيذ مطالب عبدالحكيم أو الغياب عن المؤتمر وإيفاد مندوب عنه وهو قرار صعب. خاصة أن رؤساء الدول لا شك يعلمون بالأزمة ويعرفون أنها سبب اعتذاره وليس أى سبب آخر يعلنه فى المؤتمر.

وكان عبدالحكيم مصمماً أنه إذا فعل هذا فإنه سيذهب إليه ويقول له: اذهب إلى

المؤتمر وأنا موافق على كـل شروطك وعلى عمل كل ما يطمئنك، ذلـك أنه سيشعر بأنه انتصر فى معركـة الكرامة وهو الهدف الوحيد الذى يريـده.. وسوف يذهب جمال لأنه يعلـم أن عبدالحكيـم لن يغدر وسيفـى بقسمه، فـقد كان والده فى إحـدى الأزمات قد جمع جمال وابنه عبدالحكيم وجعلهما يقـسمان على القرآن الكريم أمامه بأنه لن يخون أحدهما الآخر، وأن يفترقا بمعروف أو يـعيشا بمعروف، وكـان لهذا القسم العـظيم أثر خطير فى حسابات عبد الحكيم إذ توهم أن جمال سيلتزم به.

وكان الحل الـثالث هو اعتـقال عبدالحكـيم قبل سـفره وتحمل نتـائجه الوخيـمة فى معركة المقاومة وبالطبع كان جمال يعرف هـذه التقديرات فلجأ إلى الحيلة والخدعة التى لا يمكن لـعبدالحكيم أن يتجـنبها. فلكى لا يشـك فى شىء عرض عليه جمـال الصلح بالشروط التى يـقبلها عبدالحكيم، ولـكن بعد عودته من الخرطوم! ولأن عبـدالحكيم لن يطمئن إلى هذا الوعد وأن جمال يعلم بعدم ثقة عبدالحكيم فى وعوده قال له إنه سيعلن هذا الصـلح قبل سفره بـأن يصحبه عبـدالحكيم إلى الخرطـوم بصفته النـائب الأول له، ويبقى زكريا محيى الدين نائباً مؤقتاً أثناء غيابهما إلى حين حضورهما.

واتفقا على أن يزوره عبدالحكيم فى مساء الجـمعة ٢٦ أغسطس ليتناول معه العشاء، ويتباحثا فـى أعمال المؤتمر، وفى الوقت نفسـه أعد الخطة اللازمة (وهى بسيطـة بالطبع) للقبض عـليه فور دخوله بيت عـبد الناصر (كابرتيـف قبل العشاء!) وفى الوقـت نفسه تعطى لـلقوة التى تـتجه إلى بيت عبدالحـكيم فى الجيزة الأوامر باعتقال من فـى البيت وتفتيشه تفتيشاً دقيقاً (وربما ذهب مع القوة خبير لنزع أجهزة التنصت من البيت)، وكان واثقاً بالطـبع أن أحداً لن يقاوم فى غياب عبـدالجكيم، فهذا القرار الفـدائى لا يمكن أن يأمر به إلا عبـدالحكيم ولا نتيجة مـن المقاومة ما دام عبدالحكـيم مقبوضاً عليـه فى بيت المضيف الكريم!!

وعلمت أنا وحـسن ومصطفى عامر وابن عمـهما عامر بهذا الصلـح وهذا العشاء.. وعلم به مـن كانوا فى بيت المشير من الضباط المجتمـعين فيه .. وسافرت مع مـصطفى عامر فى مساء الأربعاء ٢٤ أغسطس إلى بلدى وأنـا على ثقة بأن المسألة سويت وانتهت وأن المشير سيسافر فى صباح السبت مع عبدالناصر إلى الخرطوم.

وبالطبـع كان رفض عبدالحكيـم للذهاب إلى العشـاء مع جمال مستحـيلاً فإنه أولاً سيظهر ذعـره وشكه فكيف يعمل مع جـمال وهو يشك فيه إلى هذا الحـد؟ وهل يعمل

معه ولا يزوره فى بيته ؟ وهما اللذان يقيمان شهور الصيف فى الاستراحتين المتجاورتين فى المعمورة، ويختلطان اختلاطاً عائليا بأبنائهما وأفراد أسرتيهما. إن هذا مستحيل، وأكثر من هذا لقد تناول عبدالحكيم العشاء مع جمال فى حديقة بيته وسهر معه فى إحدى الليالى حتى بعد منتصف الليل وأثناء حدة الأزمة.. كما زاره مراراً فى أيام الأزمة وعاد مكرماً فما الذى يدعوه إلى الشك فى هذه المرة ؟

إن هذا التصرف السليم الذى لا نعرف غيره هو الذى أخذه الناس على عبدالحكيم واعتبروه ساذجاً وأكثر من ساذج!!

❑

وهكذا وافق المشير عامر على اقتراح «جمال عبدالناصر» ولم يخطر ببال المشير أن هذا اللقاء كان بمثابة محاكمة سياسية له».

ويؤكد «سامى شرف»: «رحب عبدالحكيم عامر بدعوة الرئيس لمقابلته يوم الجمعة ٢٥ أغسطس، لإعادة الأمور إلى مجاريها ووعد أن يصحبه إلى الخرطوم وعقد «عبدالحكيم عامر» اجتماعاً مع الحاضرين فى منزله، كان من الحاضرين «شمس بدران» و«عباس رضوان» و«عبدالحكيم عبد العال» و«عثمان نصار» و«جلال هريدى» وأبلغهم بدعوة الرئيس له. وانقسم المجتمعون. قسم يرى أن تتم الزيارة لعل عبدالحكيم ينجح فى العودة إلى قيادة القوات المسلحة، والقسم الآخر رأى رفض هذه الدعوة مطالباً بالاستمرار فى مخططهم المتفق عليه للنهاية وعدم قبول حلول وسط.. إلا أن المشير عامر قرر أن يقبل الدعوة، كانت هذه هى المعلومات التى وصلتنى من منزل المشير فى تقريرين منفصلين».

ويقول «أمين هويدى»: «اتصل الرئيس تليفونياً وبنفسه بالمشير يوم ٢٤/ ٨/ ١٩٦٧، ودعاه للاجتماع به فى المنزل فى منشية البكرى الساعة السابعة مساء يوم ٢٥/ ٨/ ١٩٦٧ ووافق المشير على الفور مرحباً، وكان سبب الموافقة المعرفة العميقة التى اكتسبها من تعامله مع عبدالناصر طوال تلك المدة، فهو يعلم أنه فى الأزمات السابقة فإن الرئيس كان يعمل دائماً على إصلاح الأوضاع وسد الثغرات. ألم يسافر له إلى اليمن لمصالحته وقت أن غادر المشير البلاد عقب إحدى الأزمات ليبقى ويبتعد هناك؟ ألم يتصل به فى مرسى مطروح عقب أزمة مجلس الرئاسة وتعيينات كبار الضباط

وحسم الموقف لصالحه؟ ألم يعرض عليه منصب نائب رئيس الجمهورية حتى بعد أن أوصلنا إلى النكسة التى نحن فيها ؟ ظن عبدالحكيم أن الرئيس سوف يصلح الأمور وتعود الحياة إلى مجراها الطبيعى. بل ربما يكون قد ظن أنه سيحدثه فى مرافقته إلى مؤتمر الخرطوم يوم ٢٩/ ٨/ ١٩٦٧. ولكن فى رأيى أنَ موافقة المشير على هذا اللقاء كانت لتخدير الرئيس حتى يكتسب وقتاً ثميناً لتنفيذ عملية يوم ٢٧/ ٨/ ١٩٦٧ باستيلائه على القيادة الشرقية فى الإسماعيلية. فإن صالحه الرئيس فى اللقاء على أساس جمعه بين منصبى نائب رئيس الجمهورية وقيادة القوات المسلحة فهذا خير وبركة. وإن لم يصلا إلى اتفاق لا يكون قد خسر شيئاً. بل يكون قد اكتسب الوقت لتنفيذ عمليته التى كان قد تم إعدادها وتجهيزها فى ذلك الوقت.

إلا أن أنصار المشير حينما بلغهم نبأ اللقاء المنتظر انقسموا إلى قسمين: قسم يرى أن يذهب المشير للقاء على أساس أنه فاتحة خير قد تنهى الأزمة القائمة. وقسم آخر أوجس خيفة من اللقاء وعارضه بشدة. واستمر حوارهم مدة طويلة. ولم يكن الحوار الدائر خافياً على الرئيس إذ كان ينقل له كافة التفصيلات التى تحدث داخل منزل المشير أولاً بأول».

ويقول «هيكل»: «وبعد ظهر يوم ٢٦ أغسطس اتصل «جمال عبدالناصر» بالمشير «عبدالحكيم عامر» ودعاه إلى مقابلته فى بيته. ومن الصعب معرفة ما دار فى رأس «عبدالحكيم عامر»، وبينه وبين الذين كانوا يعتصمون فى بيته، من آراء وتصورات. والأرجح أنهم ظنوا أن «جمال عبدالناصر» بدأ يشعر بضغوطهم، ومن ثم فقد أصبح الآن على استعداد لعقد صفقة. وهكذا ذهب المشير إلى بيت «جمال عبدالناصر» ومعه أربعة من ضباط الصاعقة السابقين يتولون حراسته».

والآن أصبح المشير فى ضيافة الرئيس!! والسؤال ماذا جرى وقيل بالضبط فى آخر لقاء بين الرئيس والمشير؟!

يقول «أمين هويدى»:

«حضر المشير مبكراً عن الموعد بحوالى ثلث ساعة. فقام كل من شعراوى وسامى بتنفيذ الجزء المخصص لهما فى العملية وبقيت مع الآخرين حتى أنهيت تعليماتى على عجل وانصرف ثلاثتهم للتنفيذ. لم تكن هناك مشكلة فى تجهيز القوات لأن قوات الشرطة العسكرية وعربات المخابرات الحربية كانت فى حالة استعداد دائم.

وعاد شعراوى وسامى بعد أكثر من ثلث ساعة بعد أن أتما المأمورية فتم القبض على سائق عربة المشير كما تم القبض على العقيد محمود طنطاوى أحد أفراد مكتب المشير، وهو من خيرة ضباط القوات المسلحة خلقا وعلما ولكن للضرورة أحكامها. إذ دفعته الظروف دفعا ليجد نفسه من الصف المناهض للشرعية.. ولما سألت شعراوى وسامى عن سبب طول مدة تنفيذ العملية أخبرانى بأن الأخ «محمد أحمد» السكرتير الخاص للرئيس أثار ضجة كبرى إذ بمجرد شعوره بما يحدث استنكر أن يتم ذلك من وراء ظهره ودون إخطاره واعتبر ذلك عدم ثقة من الرئيس بسكرتيره الخاص، وقد تمادى «محمد أحمد» في احتجاجاته فاضطرا إلى البقاء معه حتى يهدئا من ثورته.

تم وضع عربة «المشير» فى الجراج الخاص. وأمرت السائق «عثمان» أن يقف بعربتى على الباب الداخلى لمنزل الرئيس. والرجل لا يدرى ماذا يحدث لا فى الخارج ولا فى الداخل إلا أنه لابد أنه شعر أن شيئاً غير عادي يجرى تنفيذه.

وفى حوالى التاسعة مساء فضلت أن أدخل منزل الرئيس وبقى «سامى» و«شعراوى» فى مكتب الأول، واتفقت مع «سامى» أن يحول إلى المكالمة التليفونية المنتظرة من «محمد فوزى» بمجرد اتصاله وفعلاً دخلت منزل الرئيس ووجدت فى «الصالة الخارجية» بعض «ضباط الياوران» وجلست بجوار حجرة الصالون حيث كان اجتماع الرئيس بالمشير لألتقط أنفاسى كان فى الداخل خلاف الرئيس والمشير كل من السادة «زكريا محيى الدين» و«حسين الشافعى» و«أنور السادات».. وكان الذى يتكلم هو الرئيس وكان الذى يرد هو «المشير». وقد سمعت الرئيس وهو يقول للمشير «عليك يا عبدالحكيم تقدير الموقف الصعب الذى تمر فيه البلاد. وعليك أن تلزم منزلك فى هذه الفترة الحرجة»، وسمعت المشير وهو يرد على الرئيس قائلاً «يعنى بتحدد إقامتى وبتحطنى تحت التحفظ. قطع لسانك». وكرر ذلك أكثر من مرة. كان الحديث يدور هادئاً فى معظم الأحيان ولكن كانت الأصوات ترتفع فى حدة فى أحيان أخرى. ولكن لم يكن فى مقدورى متابعة ما يجرى لأنه لم يصل إلى أذنى إلا بعض الكلمات بين وقت وآخر وكنت منهكا وتعبا بحيث كنت أميل للاسترخاء قليلاً قبل ما ينتظرنى فى اليوم التالى.

وكان المشير ـ وحتى منتصف الليل ـ مصراً على موقفه المتعنت. ولا شك أن «تجمع

أصدقائه» فى الجيزة كان له دخل كبير فى إصراره هذا. كان الرجل يلعب على عامل الوقت لعل وعسى أن يلين الرئيس كما كان يحدث فى المرات السابقة.

وفى هذه الأثناء كان «فوزى» قد اتصل بى مرتين: مرة حينما وصل إلى منزل الجيزة على رأس قواته ليخبرنى بإتمام حصاره المنزل، ومرة أخرى ليبلغنى أن حرائق شوهدت فى المنزل والتى ظهر بعد ذلك أنها عبارة عن عملية حرق الأوراق المهمة بواسطة بعض الضباط الموجودين فى منزل الجيزة والتى قد تدينهم لو تم القبض عليهم، وقد أخبرت الرئيس بذلك وأكدت له أن هذه علامة على حالة الانهيار التى أصبح فيها هؤلاء الضباط.

وفى منتصف الليل تقريباً خرج الرئيس من حجرة الصالون ولما وجدنى بالخارج اصطحبنى معه واضعاً ذراعه فى ذراعى إلى حجرة المكتب على الجانب الآخر من «الردهة الخارجية» وكان كلانا يدخن بشراهة وخيل لى أن الرئيس يكاد يقضم سيجارته. وفور دخوله إلى المكتب طلب عباس رضوان تليفونياً من رقم مباشر من الذاكرة، وقال له: «يا عباس إنت المسئول عن فض الموقف فى الجيزة»، ولست أدرى هل تم اتفاق الرئيس مع عباس قبل هذا الاتصال أم لا ؟ لأن كلام الرئيس لعباس كان موجهاً لشخص يعرف ما يجرى. وبعد ساعة أخرى خرج الرئيس من الصالون للمرة الثانية واتجهت معه إلى المكتب ليعاود الاتصال مع «عباس» وكان حديثه هذه المرة محتداً قاطعاً وهو يقول له «إنت يا عباس مسئول عن عدم فض الموقف» وبعد انتهاء المحادثة ذكر الرئيس أن الموقف فى نظره يتعقد وأن عباس يتلاعب ورددت على الرئيس «مازال أمامنا أربع ساعات حتى الفجر وأن حل الموقف هناك فى منزل الجيزة وأن المشير سيبقى على عناده مادام بقى منزل الجيزة على أوضاعه». وأمن الرئيس على ذلك وصعد إلى الدور العلوى بمفرده ليستريح بعض الوقت. وليس صحيحاً ما ذكره الرئيس السادات فى كتابه «البحث عن الذات» من أن السيدين زكريا محيى الدين وحسين الشافعى صعدا مع الرئيس إلى الدور العلوى وأنه بقى وحده مع المشير فى حجرة الصالون.

ودخلت حجرة الصالون وسلمت على الجميع. كان المشير جالساً على أريكة من الأرائك وحينما رآنى قال: «أهلا وسهلا بوزير حربيتنا. الله ده الموقف مجهز تماماً والمسألة محبوكة على الآخر». كان أنور السادات هو الوحيد الذى يجلس صامتاً

والدموع على خديه، أما السيد حسين الشافعى فكان يبدو غير مهتم بما يجرى، وأما السيد زكريا فكانت ملامحه جامدة لا تدل على شئ.

وهنا خرج المشير ذاهباً إلى دورة المياه وخرجت معه وكان الرجل ودوداً معى يتحدث فى ابتسامته الهادئة. كانت أعصابه هادئة ولم يكن منفعلاً بالرغم من أنه كان يدرك الموقف الحرج الذى أصبح فيه. وفجأة خرج المشير من دورة المياه وفى يده كأس زجاجى به بعض المياه وقال بأعلى صوته وهو يرمى الكأس على طول ذراعه «اطلعوا بلغوا الرئيس أن عبدالحكيم خد سم ليتنحر». ودخل فى هدوء إلى حجرة الصالون ليجلس على الأريكة ذاتها وهو يبتسم فى هدوء وكأنه لم يفعل شيئاً. وقد انزعجت أشد الانزعاج حينما سمعت بذلك وصعدت إلى الدور العلوى حيث يوجد الرئيس قفزا فوق الدرج واستقبلنى الرئيس من أعلى السلم وقلت له «المشير خد سم وانتحر» فقال لى الرئيس «عبدالحكيم أجبن من أن ينتحر. لو كان عاوز ينتحر كان انتحر لما ودّانا فى داهية»، ويبدو أن درجة انزعاجى كانت شديدة لدرجة أن الرئيس كان يحلو له بعد ذلك أن يحكى عن ذلك فى مناسبات عديدة وكان يضيف قائلاً: «تمثيلية عبدالحكيم خَاَلتْ على أمين».

حدث هرج ومرج بين الموجودين. أما «الثلاثة الكبار» فكانوا على حالهم لم يتحركوا أو ينفعلوا ولكن خيل لى أن عبارات الرئيس السادات زادت كثافة. ودخل الدكتور «الصاوى» طبيب الرئاسة منسرعاً وفى يده شنطته العتيدة ولما لم يستجب المشير للعلاج الذى كان يريده الدكتور الصاوى تقدم السيد حسين الشافعى «ليعبط» المشير حتى أعطاه الدكتور «الحقن اللازمة» وهدأ كل شىء من جديد.

ورأى المشير أن يخرج إلى الحديقة ليشم بعض الهواء وخرجت معه. كان الرجل وفى حركات تمثيلية يكثر من النظر إلى السماء ثم يتنهد ثم يعود لينظر إلى السماء. وهنا دار بينى وبينه الحديث الآتى:

أمين: كيف حالك الآن؟

عامر: أنا كويس والحمد لله.

أمين: سيادة المشير. هل يصح هذا الذى يحدث؟ هل يمكن أن يطور المشير الموقف إلى هذا الحد؟ أنا لا أكاد أصدق أن الأمور تصل إلى ما تصل إليه الآن؟.

عامر: يا أمين أنت لا تعرف شيئاً.

أمين: كيف لا أعرف؟ الوقت يمر ولابد من حسم الموقف.

عامر: لحساب من يا أمين يحسم الموقف؟ اسكت أنت لا تعرف أى شيء.

وساد الصمت بيننا وأخذ يتمشى جيئة وذهاباً ودخلنا إلى حجرة الصالون. ولم أجد هناك السيد حسين الشافعى وحينما خرجت إلى الصالة الخارجية وجدته جالساً وأمامه طبق من الفاكهة وهو مقبل عليه فى اطمئنان. ودعانى إلى تناول بعض الفاكهة ولكن لم يكن لى شهية لأى شئ وأنا أرى ما أرى. وأخيراً قال: «أنا رأيى إن المشير يعود إلى منزله والموضوع «مش نافع» الفجر قارب الظهور فماذا سيقول الناس عندما يرون ما يحدث فى منزل الجيزة ؟!.

وبقينا ندور فى حلقة مفرغة. كان الجميع يلعبون على عامل الوقت وفى حوالى الساعة الخامسة صباحاً استدعانى أحد ضباط الياوران إلى التليفون ذاكراً إن «الفريق محمد فوزى على الخط» وأخذت التليفون وكان فوزى على الجانب الآخر من الخط يقول «المأمورية انتهت يا فندم دون أى صدام. والمنزل خالى الآن». فقلت له «الحمد لله ومتشكر» وأسرعت إلى الدور العلوى لأبلغ الرئيس بالسيطرة على الموقف دون صدام. فرد الرئيس «الحمد لله». ولم أدخل حجرة الصالون ولم أشاهد أحداً بعد ذلك بل غادرت منزل الرئيس وعبرت الشارع إلى مكتب «سامى» حيث وجدته جالساً هو وشعراوى. ومن خلال النافذة رأينا إحدى العربات تتحرك وفيها ثلاثة: المشير عبدالحكيم عامر والسيد زكريا محيى الدين والسيد حسين الشافعى».

ومن رواية «أمين هويدى» ننتقل معاً إلى رواية «سامى شرف» وتبدأ روايته لما جرى على النحو التالى:

«فى يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٩٦٧ عقب صلاة الجمعة عقد فى مكتبى بمنشبة البكرى اجتماع نهائى لمراجعة الخطة حضره شعراوى جمعة وأمين هويدى واللواء محمد الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى وتم التنسيق بين الحرس الجمهورى واللواء عادل سوكة قائد اللواء المدرع.

وفى الساعة السادسة مساء عقد اجتماع آخر حضره شعراوى جمعة وأمين هويدى والفريق محمد فوزى واللواء محمد أحمد صادق والعميد سعد عبد الكريم مدير

البوليس الحربى، وروجعت التفاصيل النهائية للخطة. وفى السادسة والنصف مساء وصل السيد زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى إلى منشية البكرى.

الساعة السادسة وخمس وأربعون دقيقة وصل المشير عامر بصحبة سكرتيره العقيد محمود أحمد طنطاوى، وعقب خروج السيارة من بوابة منشية البكرى تم تفتيشها وحجزت فى ثكنات الحرس الجمهورى وكذا العقيد محمود طنطاوى. وكانت لحظة مؤثرة جداً لى إزاء محمود طنطاوى فهو ضابط كفء عملاً وخلقاً، وكان فى دفعتى بالكلية الحربية، وكان «أنباشى» فى الفصيلة التى كنت أقودها. كنت «شاويش» فى الكلية، وكان أيضاً صديقاً، لكن الظروف هى التى وضعته فى هذا الموقف الحرج له ولى.

شقيق العقيد محمود طنطاوى، هو الضابط محمد طنطاوى كان أحد ضباط الحراسة الخاصة بالرئيس، كان من خيرة الضباط أيضاً، ولم يمس بشئ. وبقى فى الحراسة الخاصة حتى بعد رحيل الزعيم الخالد. ومن المصادفات الغريبة فى هذا اليوم أن محمد طنطاوى كان ضابط الحراسة المناوب الذى يتواجد داخل المنزل فى منشية البكرى وفى الزيارات التى ستتم فى ذلك اليوم. ولم يعف من خدمته طوال النهار. لكن أثناء تنفيذ العملية طلبت منه أن يبقى فى المكتب لا أكثر ولا أقل. وللأمانة أقول إن كلاً من محمود طنطاوى ومحمد طنطاوى تصرفا بهدوء وبولاء وبرجولة فى هذه الأزمة.

عندما تحرك الفريق فوزى ومجموعته قام السيد أمين هويدى ودخل منشية البكرى حسب الواجب المحدد له حوالى التاسعة والربع مساء، وبقيت مع الأخ شعراوى جمعة فى مكتبى لمتابعة الموقف.

عندما دخل المشير عامر الصالون الكبير فوجئ بوجود أعضاء مجلس الثورة فقال «هيه محكمة والا إيه؟»، وقد بدأ الرئيس جمال عبدالناصر الحديث حيث شرح تفصيل ما حدث منذ بداية الأزمة وكيف أديرت العمليات العسكرية ثم تحدث عما وقع بعد ٩ يونيو بالأسماء والتوقيتات والأماكن وأنهى حديثه قائلاً:

«كنت أتوقع بعد كل ما قلت وبعد كل ما حدث أن يكون التصرف من جانبك يا حكيم على مستوى المسئولية ووفق الميثاق غير المكتوب بيننا جميعا. أن من يترك موقعه لا يتآمر ولا يخرج عن الشرعية».

و«كنت أنتظر منك أنت يا حكيم بالذات أن تقدر الموقف العصيب الذى يمر به البلد لكن للأسف حدث العكس، وبناء عليه فإننى أطلب منك أن تقعد فى بيتك»، وتساءل عبدالحكيم عامر: «يعنى بتحددوا إقامتى»، ورد عليه الرئيس وبقية الحاضرين بنعم.

وتدخل السيد أنور السادات فى المناقشات محاولاً إقناع المشير عامر بقبول القرار. إلا أن المشير عامر تطاول عليه بألفاظ جارحة لم يتفوه بها مثلاً للسيد زكريا محيى الدين عندما كان يحاول إقناعه أيضاً. وقد جاء ضمن ما قاله «قطع لسانك أنت بتحاكمنى يا رقاص.. يا... ابن....». وكان واضحا تماماً من سياق المناقشات أن عامر يريد أن يطيل الجلسة بأمل أن ينجده من هم فى الجيزة إذا تأخر عن العودة. ولكنه لم يكن يعلم بالطبع أن الجزء الثانى من الخطة كان ينفذ.

اتصل بى الفريق فوزى ـ لاسلكيا ـ وأبلغنى بالموقف. وكان الرئيس فى هذه اللحظة على التليفون الخاص بيننا. عرضت عليه الموقف، وطلب أن يستمر فوزى فى الضغط وأنه سيتحدث مع عباس رضوان. واتصل به الرئيس فعلاً وحمله المسئولية وأن عليه فض هذا الاعتصام وتسليم جميع من فى المنزل أنفسهم للفريق فوزى. كان الرئيس يرى أن عباس رضوان بالذات يمكن أن يلعب دوراً مهماً فى تهدئة الموقف، وقد استجاب عباس رضوان لطلب الرئيس وتوجه إلى منزل المشير الذى كان قريباً منه وسمح له الفريق فوزى ـ بعد اتصالى به ـ بالدخول.

بعد فترة ظهرت سحابة دخان كثيفة من «بدروم» المنزل اتضح فيما بعد أنه نتيجة حريق خرائط وأوراق قام عباس رضوان وشمس بدران بحرقها وكانت الخرائط حسبما وضح من بقاياها تشمل مدينة «القاهرة» منطقة القصاصين وأنشاص وصوراً من استقالة المشير التى قدمها سنة ١٩٦٢، و بقايا أوراق بخط يد المشير عامر بها أسماء وتواريخ وأماكن.

اتصل بى الفريق فوزى مرة ثانية ليبلغنى بالموقف وعدم استسلام الضباط الموجودين بالداخل، فأبلغت الرئيس الذى أعاد الاتصال بعباس رضوان تليفونيا وحمله المسئولية وأنه يتلاعب، ولم يكن الرئيس يعلم فى أثناء هذه المكالمة أن عباس يقوم بحرق الوثائق والخرائط التى تدين التآمر، خرج عباس رضوان وشمس بدران بعد ذلك وأبلغا الفريق

فوزى أنهما مستعدان لتنفيذ أوامره وإصدار تعليمات للحضور بأن يسلموا أسلحتهم ويلقوها على الأرض.

وتم تفتيش الموجودين ونقلوا إلى السجن الحربى ما عدا شمس بدران الذى نقل إلى سجن القلعة. وجمعت الأسلحة والذخائر إلى معسكر البوليس الحربى بعابدين فى حمولة ١٣ سيارة سعة ٣ أطنان، وتم تعيين العميد سعيد الماحى قائداً للحراسة وجهزت له وسائل الاتصال الكافية مع الجهات المعنية. وقد انتهت هذه العملية حوالى الساعة الخامسة صباحاً.

كان الرئيس على اتصال دائم بى، حتى أبلغته أن عباس رضوان وشمس بدران وافقا على طلبات الفريق فوزى، فترك الاجتماع وصعد إلى حجرة نومه ليستريح حيث كان على اتصال دائم بالموقف.

وفى الخامسة وعشر دقائق تقريباً فجر يوم ٢٦ أغسطس (آب) خرجت سيارة ليموزين سوداء من باب منشية البكرى كان يجلس فيها المشير «عبدالحكيم عامر» و«زكريا محيى الدين» و«حسين الشافعى» ـ حسب المتفق عليه من قبل ـ وتوجهت السيارة إلى منزل المشير «عبدالحكيم عامر» بالجيزة ليتم تحديد إقامته فيه، ولم تقطع التليفونات عنه».

❑

ومن رواية «سامى شرف» إلى رواية «هيكل» وتبدأ روايته على النحو التالى:

دخل «عبدالحكيم عامر» إلى صالون البيت ووجد «جمال عبدالناصر» ومعه السادة «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى»، وبدا عليه أنه فوجئ بوجود هؤلاء جميعاً. فقد كان فيما يبدو يتصور حديثا منفرداً، ولكنه الآن وجد شهوداً. وكان تعليقه الأول أن قال محاولا الابتسام «هل هى محاكمة والا إيه؟» ولم يشاركه أحد فى ابتسامته، وأحس أن الجو جاد بأكثر مما قدر. وطلب إليه «جمال عبدالناصر» أن يجلس، وجلس. وراح «جمال عبدالناصر» يصارحه بكل ما بدا منه من تصرفات.

لم يستطع «عبدالحكيم عامر» أن يتمالك أعصابه ليسمع ما يقال له حتى النهاية. وهكذا انتفض قائلا إنه «لو كان يعرف أن الأمر بهذا الشكل لما جاء». ثم قال إنه ذاهب إلى بيته، واتجه بالفعل إلى باب الصالون الذى دار فيه الاجتماع. وفتح الباب، وفوجئ

بوجود مجموعة من ضباط الحراسة المسلحين. فتراجع عن الباب قائلا «كده»، ثم ما معناه «إنها إذن مؤامرة لقتله» وفى هذه اللحظة قام «جمال عبد الناصر» قائلا له «إنه قرر تحديد إقامته فى بيته، وقد جرى الآن تنظيف هذا البيت وخرج منه كل المحرضين وكل المتربصين بالسلاح. كما أن السلاح تم نقله خارج البيت».

انهار «عبدالحكيم عامر» وجلس على مقعد فى الوقت الذى غادر فيه «جمال عبدالناصر» القاعة تاركا الجميع فيها. والحقيقة أن المشهد كان عنيفا لدرجة خشى معها أن تتأثر أعصابه لأن «عبدالحكيم عامر» بدأ يصرخ ثم يبكى ثم يحاول أن يجرى، ثم يعود مرة أخرى إلى حيث كان. وحاول من غرفة الصالون أن ينادى حراسه بصوت عال، ولم يجبه أحد لأن الأربعة كانوا قد جردوا من أسلحتهم ووضعوا تحت التحفظ.

وكان أكثر ضيق «جمال عبدالناصر» أنه اضطر إلى هذه الإجراءات فى بيته، وقد اختار ذلك لأن أى خيار آخر كان يمكن أن يؤدى إلى مضاعفات غير مقبولة.

وعندما أحس «عبدالحكيم عامر» أنه لم تعد هناك فائدة بدأ يستسلم. ثم راح يتحدث بنوع من الهدوء المشوب بالذهول قائلاً إنه «ليس فى يده الآن شىء». ولوهلة بدا التفاهم معه ممكنا، وبدأ السيد «زكريا محيى الدين» يحدثه «بالعقل» فى عواقب تصرفاته، وكان يبدى الاستماع. وطال حديث الكل إليه لأكثر من ساعة ثم طلب أن يذهب إلى الحمام وذهب إلى الحمام بالفعل ومعه السيد «أنور السادات». وغاب فى الحمام دقيقتين ثم خرج وفى عينيه نظرة غريبة، ثم مشى مع «أنور السادات» عائدين إلى الصالون حيث كان ينتظرهما السيدان «زكريا محيى الدين» و«حسين الشافعى»، ثم قال للكل: «بلغوا الرئيس جمال أننى «حليت له» مشكلة «عبدالحكيم عامر»، ثم فاجأهم بقوله «إنه ابتلع سما وأنه سوف يموت فى ظرف دقائق»، وارتمى على أحد المقاعد وكأنه ينتظر سريان مفعول السم، وهجم عليه السيد «أنور السادات» يحاول استخراج شىء من فمه كان يبدو أنه يلوكه. وسارع السيد «زكريا محيى الدين» لطلب أطباء الرئاسة الذين جاءوا مسرعين، وسمع الرئيس «جمال عبدالناصر» وهو فى الدور العلوى من بيته بما يجرى فى الدور الأول. ونزل مسرعاً إلى حيث كان الجميع، وسمع بما جرى بينما كان ثلاثة من الأطباء قد أخذوا المشير إلى الحمام لمحاولة إسعافه بغسيل للبطن إذا اقتضى الأمر.

ولم يلحظ الأطباء أى عرض من أعراض السموم، ومع ذلك فقد بقوا مع

«عبدالحكيم عامر» يساعدونه بالأدوية حتى مرت ساعات تأكد فيها أن أحواله الصحية طيبة، وكان ترجيحهم أن كلامه عن سموم تناولها كان نوعا من محاولة التأثير النفسى على الآخرين أكثر من أى شيء آخر.

ووصل إلى بيت الرئيس «جمال عبدالناصر» كل من الفريق أول «محمد فوزى» والفريق «عبدالمنعم رياض» للإبلاغ بإتمام المهمة التى قاما بها فى بيت المشير، وطلب «جمال عبدالناصر» إلى الفريق «عبدالمنعم رياض» وهو يعرف عواطفه الودية تجاه المشير أن يصحبه بنفسه إلى بيته، وأن يتأكد من إجابة أية طلبات يمكن أن تخطر له أو للأسرة. وسار «عبدالحكيم عامر» ساكتا بجانب «عبدالمنعم رياض» متوجهين إلى سيارة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة. وكان «جمال عبدالناصر» يتابع المشهد والدموع تجول فى عينيه، وإحساسه أن مثل هذه المشاهد تحدث فى المآسى الإغريقية وعلى المسارح وليس فى الحياة العادية للناس. سياسيين كانوا أو غير سياسيين. وكان المشهد بالفعل مؤلما وحزينا.

وفى السيارة ـ وطبقا لما رواه الفريق «عبدالمنعم رياض» ـ ظل المشير ساكتا معظم الطريق من بيت «جمال عبدالناصر» إلى بيته، ثم نظر فجأة إلى الفريق «عبدالمنعم رياض» وسأله بصوت كسير: «هل يرضيك ما حدث؟» ورد عليه «عبدالمنعم رياض» وهو يغالب تأثره قائلا: «سيادة المشير، اتركنا نحارب».

والآن إلى شهادة «جمال» الابن الأكبر للمشير «عبدالحكيم عامر» والتى يرصد فيها الساعات الحرجة والخطيرة فى حياة المشير فيقول:

«والدى قعد فى البيت وقدم استقالته.. وحصلت الاعتقالات لجميع الضباط اللى كانوا بيشتغلوا معاه.. وفيه ناس هربت زى «شمس بدران» و«جلال هريدى» وناس ضباط كثيرة لا حصر لها أتوا إلى البيت، طبعاً.. وهو لا يقدر التخلى عنهم فقعدوا معاه فى البيت، وتكلم مع الرئيس ليه الاعتقالات دى ووعده إنه يحل هذا الموضوع، ونتيجة أنه لم يحصل حل للناس دى أقامت معاه فى البيت وهو كان يساعدهم.. طبعاً ما يقدروش يروحوا بيوتهم ومطلوب القبض عليهم.. وكان يحاول تهدئتهم وهم ثائرين جداً ضد الرئيس «عبدالناصر» وعاوزين يعملوا أى حاجة ضده (!!) أنا سمعته أكثر من مرة كان بينهى هذا الكلام ويرفض حتى يسمعه.. وما كانش فى دماغه إنه يعمل انقلاباً أو غيره».

ويكمل: «هو راح البلد فى الصعيد بعيداً عن أى تأويلات حتى يهدأ الوضع شوية واتعين الفريق «محمد فوزى» قائداً عاماً وبرضه مشيوا فى موضوع الاعتقالات بصورة أكبر، وطلعوا الناس على المعاش.. طبعاً الناس كلها ضباط ممتازة.. منها أسماء كبيرة وناس رجعت الخدمة بعد كده وحاربت فى ٧٣.. طبعاً لم يقدر يقعد - أى المشير - إلى ما لا نهاية هناك. وأفتكر الرئيس كلمه هناك ورجع حصل مقابلة بينهما.. وكان الرئيس «عبدالناصر» يأتى إلينا فى البيت فى وجود الناس اللى قالوا بيعملوا مؤامرة أو غيره.. جاء مرتين فى تواجدهم. ولوحده.. ولو كانوا يريدون عمل أى حاجة من دى ما كان أى حاجة تحصل.. ولو هو بس عمل بإيده كده كان الناس تنفذ.. لكن طبعاً لم يكن موجود هذا الكلام خالص لأن كان فيه ثقة كبيرة.. هو اتعرض عليه نائب رئيس جمهورية ورفض لأن هو أساساً خلاص حس إنه لا يقدر أن يخدم البلد بعد اللى حصل، بس اللى حصل أن الرئيس «عبدالناصر» كان مسافراً إلى الخرطوم فى مؤتمر قمة.. كان واضحاً أن الوضع لازم يحل بصورة أو بأخرى.. تواجد «عبدالحكيم عامر» بالناس دى فى البيت فى وسط القاهرة يشكل خطورة كبيرة فى الجيزة.. وفيه ناس حول الرئيس عبدالناصر «لهم مصلحة وفرصة عمرهم تحققت أخيراً».. إن فيه شرخ موجود بينهما، والنهارده الفرصة مهيأة إن هم يخلصوا من «عامر» عشان هم يبقوا فى الصورة.. وده اللى حصل بعد كده».

ويسأله «طارق حبيب» زى مين؟! فيقول ابن المشير بكل حسم ويقين:

زى «سامى شرف» والفريق «فوزى» وكلهم فيه صلات قرابة.. فيه حاجات الناس لم تعرفها، هم اجتمعوا على «عبدالحكيم عامر» فى الحتة دى لأن كل مرة كانوا بيفشلوا إن هم يخلصوا منه ودى كانت فرصتهم وبعد ذلك تلقى والدى دعوة من عبدالناصر إنه يذهب إليه فى البيت على العشاء.. طبعاً اللى حصل إن كل الناس اعترضت وقالوا له لا تذهب.. إحنا لم يؤخذ رأينا فى حاجة زى كده. هم إخوانه رفضوا أن يذهب وحذره شمس بدران وصلاح نصر أن يمكن يُعتقل.. لكن هو رفض وأصر وراح معاه السائق وفرد واحد.. أول ما دخل البيت اعتقل السائق والضابط اللى معاه، ودخل وقعد، كان «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى» على ما أذكر.. وبدأ الموضوع أن وجوده فى البيت خطر ولازم تحدد إقامته. حضر الجلسة دى الرئيس، ولم

يكن موجوداً بصفة مستمرة.. وأتخيل إن هو كان يتجنب المواجهة معاه.. وفوجئ أن تم القبض عليه.. وراح على البيت».

عرفتم الحكاية دى امتى وإزاى؟

المهندس «جمال»: عرفنا فى وقتها بلغنا من أطراف كثيرة.. إحنا برضه كنا بنقدر نعرف زى ما هم بيعرفوا كل حاجة وقتها.

بعد ما قبضوا على الناس اللى فى البيت، راحوا أحضروه - المشير - فى البيت عندنا وحطوا قوة من عندهم لتحديد إقامته وفضل معانا وكان كويس جداً. فوجئنا فى يوم صباحاً وجدت عربيات مدرعة وقوة كبيرة واقفة أعلى شارع النيل وعربية إسعاف لفتت نظرى وطلعت قلت له.. وبعد شوية وجدت الفريق «عبدالمنعم رياض» حضر ومعاه ٢ من الضباط وجلسوا معاه فى الصالون.. وجدت ضباط كثيرة بالسلاح. طبعاً أحس أنه فيه غدر. كان فى ساعتها على طول تكالبوا عليه ومسكوه.. وراحوا نازلين على العربية وكان معاهم عربية إسعاف.. فى البيت حاولوا يركبوه العربية ما أمكنش.. بكل القوة دى، فجابوا عربية ملاكى مرسيدس وركب معاه «فوزى» والفريق «عبدالمنعم رياض» ففهمنا إنه راح مستشفى المعادى، ودخل المستشفى، هم حسب روايتهم بعد كده أن هو أخذ سماً وهو قاعد معاهم.. مع العلم أن الرجل كان قاعد ما يعرفش إن هم جايين وإحنا كنا معاه ولم يتحرك من مكانه، إمتى ده تم ما حدش يعرف.. طيب أنتم بتجيبوا عربية الإسعاف وعارفين إنه حياخد سماً مقدماً.. إزاى؟! هو طبعاً راح المستشفى.. إحنا عرفنا من الفريق «مرتجى» اللى كان أخوه مدير المستشفى فى ذلك الوقت حكى لنا أن هو حضر وكانوا مصرين أن يعملوا له غسيل معدة.. جاء مرتجى وقال له علشان خاطرى، فسمع كلامه. ووضع (صباعه) فى بقه ورّجع، وعلى روايته فضل يضحك معهم.. وكان - المشير - طبيعياً جداً والنبض بتاعه كويس، وحالته الصحية كويسة، طلب من الفريق فوزى إنه يسيبه الليلة فى المستشفى، وحالته مجرد أن هم يتابعوه. فرفض طبعاً لأن الفريق «فوزى» عنده عداء مستحكم ضد «عبدالحكيم عامر» رجل حقود ولذلك هو أختير لهذه العملية.

تانى يوم الصبح جاء لنا واحد ضابط وقال لنا المشير طالب حاجات، عاوز الكتب وشنطة الأدوية، لأن كان فيه أدوية لازم يأخذها كل يوم بانتظام (المس بتاع الأسنان) وطلب طلبات محددة أكيد هو اللى طلبها فبعتناها، بس تانى يوم بلغونا أن المشير

انتحر(!!) بس طبعاً المشير كان فى مسئوليتهم بالكامل.. والحراسة بتاعتهم بالكامل كانت من رئاسة الجمهورية، الناس اللى كانت موجودة أنا بأشكك فيها بالكامل».

❑

كانت الهمسات والهمهمات تملأ سماء مصر كلها أن ثمة شيئا ما يدور فى كواليس الحكم!.. راحت الشائعات تنمو وتتزايد بشكل مثير عن الرئيس والمشير والخلافات المكتومة بينهما!.. وأخيراً خرج بيان يروى للناس قصة الساعات والأيام العصيبة التى عاشتها مصر، وجاء البيان الذى نشرته الصحف صباح ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ على النحو التالى :

اتخذت مجموعة من الإجراءات بينها تحديد إقامة المشير عبدالحكيم عامر فى بيته، والتحفظ على السيد شمس بدران وزير الحربية السابق، وكذلك التحفظ على بعض المحيطين بالمشير عبدالحكيم عامر وبينهم عدد من العسكريين والمدنيين فى وقائع نسبت إليهم. وقد جرت التطورات على النحو التالى:

١ـ بعد النكسة التى واجهها العالم العربى تحمل الرئيس جمال عبدالناصر أمام الجماهير وباعتباره المسئول الأول تبعات كل ما وقع. وأعلن قراره بالتنحى عن رئاسة الجمهورية وعن كل عمل سياسى. وكان ذلك بتاريخ ٩ يونيو الماضى. ولكن جماهير الشعب وجماهير الأمة العربية وقفت موقفاً قاطعاً وطلبت من الرئيس جمال عبدالناصر أن يبقى فى موضع المسئولية، وأن يواصل قيادة العمل لإزالة آثار العدوان.

٢ـ اعتبر الرئيس جمال عبدالناصر بمقتضى هذه المسئولية أن ضرورات المصلحة الوطنية والقومية تتطلب إجراء تغييرات فى قيادة القوات المسلحة. وفى هذه الفترة ورعاية للمشير عبدالحكيم عامر فإن الرئيس جمال عبدالناصر عرض عليه أن يبقى فى السلطة كنائب أول لرئيس الجمهورية، ولكن المشير عبدالحكيم عامر لم يقبل هذا العرض، وطلب أن يبقى أيضاً قائداً للقوات المسلحة، ولكن الرئيس جمال عبدالناصر كان من رأيه أنه من الضرورى أن تترك القيادة الفعلية للجيش لعناصر جديدة أتيحت لها الفرصة لتحصيل العلوم العسكرية المتقدمة، ولكن المشير عبدالحكيم عامر بقى مصراً على أن يتولى كل السلطات التى كان يتولاها قبل النكسة.

٣ـ وعندما صدر القرار بإحالة عدد من القادة السابقين إلى التقاعد وتعيين قيادات جديدة، فإن المشير عبدالحكيم عامر لم يتقبل هذه الإجراءات باعتبارها أمراً تحتمه

المصلحة الوطنية والقومية ومقدرة القوات المسلحة فى وقت عصيب تتطلب فيه الأمة العربية من كل فرد من أفرادها أن يؤدى واجبه إلى أقصى طاقته سواء كان داخل القوات المسلحة أو خارجها.

٤ـ ثم تعقدت الأمور أكثر عندما تقرر التحقيق مع بعض القادة العسكريين، خصوصاً فى القوات الجوية لتحديد مسئولياتهم باعتبار أن ما حدث من قيادة القوات الجوية كان بين أبرز الأسباب فى وقوع النكسة على النحو الذى وقعت به، وذلك برغم أن قيادة القوات الجوية فى ذلك الوقت تلقت التنبيه تلو التنبيه بأن العدو على وشك القيام بضربته، وأن ضربته الأولى سوف تكون موجهة إلى القوات الجوية.

٥ـ وقد حدث أن بعض الضباط الذين طلب التحفظ عليهم فى تلك الظروف ذهبوا إلى بيت المشير عبدالحكيم عامر، وبقوا فيه برغم قرارات صادرة بالتحفظ عليهم.

٦ـ وساعد على تأزيم الجو أن بعض العناصر الانتهازية التى ثبت فسادها بدأت تؤدى دوراً خطيراً فى تغذية فتنة كان يمكن أن تضر بالوطن فى ظرف مؤلم بالنسبة للجميع.

٧ـ وكان من الظواهر المؤسفة فى ذلك الوقت أن بدأ بيت المشير عبدالحكيم عامر يتحول إلى ترسانة سلاح، كما أن بعض المحيطين به أنشأوا حرساً خاصاً جاءوا بأفراده من مزرعة أحد أشقاء المشير عبدالحكيم عامر، الأمر الذى بدا معه وكأن هناك مركزاً وسط العاصمة خارجاً على سلطة الدولة.

٨ـ وفى ذلك الوقت وجد الرئيس جمال عبدالناصر من واجبه أن يشرح خطورة الموقف للمشير عبدالحكيم عامر، مؤكداً على أن سلامة الوطن والقوات المسلحة لها الأولوية على أى اعتبار آخر، ولهذا الغرض ذهب الرئيس جمال عبدالناصر بنفسه إلى مقابلة المشير عبدالحكيم عامر فى بيته، كما أنه دعاه أكثر من مرة إلى لقائه وتحدث إليه فى خطورة ما يجرى وعواقبه.

٩ـ وتوافرت بعد ذلك معلومات مؤكدة تشير إلى أن المشير عبدالحكيم عامر وبعض المحيطين به يقومون بنشاط مؤثر على صالح الشعب والدولة والقوات المسلحة، إلى درجة أن عدداً من الضباط الذين جرى الاتصال بهم وجدوا لزاماً عليهم إبلاغ السلطات الرسمية المسئولة به.

١٠ـ وحيال ذلك كله، وبعد انتظار طويل ومرهق للأعصاب فلقد كان لا بد من

وضع حد حاسم لهذا الموقف، ولذلك فإن الرئيس جمال عبدالناصر دعا المشير عبدالحكيم عامر إلى مقابلته، وواجهه بكل الوقائع، وبينها ما أبلغ عنه ضباط من القوات المسلحة، وكانت هذه المواجهة أمام السيد زكريا محيى الدين نائب الرئيس والسيد حسين الشافعى والسيد أنور السادات ـ كما شرح له خطورة مثل هذه التصرفات على الموقف كله ـ وأبلغه بأنه قرر آسفاً وحزيناً تحديد إقامته، كما أنه أمر بالقبض على المطلوبين للتحفظ ممن كان يحميهم وأمر بمصادرة كل السلاح المكدس فى بيته، كما أنه أمر بالتحقيق فى الوقائع المتصلة بهذا كله.

وبعد إتمام هذه الإجراءات كلها اتسع نطاق التحقيق، وتأكد من الوثائق والاعترافات أن المشير عبدالحكيم عامر وبعض المحيطين به وضعوا خطة تحقق له العودة إلى قيادة القوات المسلحة، وكانت الخطة تتسم بالمغامرة وتشكل أضراراً خطيرة كان يمكن أن تحدث آثاراً بعيدة على الوضع العام كله.

وكان ملخص الخطة ـ التى كان مقرراً تنفيذها يوم ٢٧ أغسطس الأخير ـ أن يذهب المشير عبدالحكيم عامر والسيد شمس بدران ومعهما بعض المحيطين بالمشير إلى مقر القيادة الشرقية وهناك يتولى ـ بمساعدتهم وتحت تظاهر أن قراراً رسمياً صدر بإعادة تعيينه ـ قيادة هذه القوات، ومن هذا الموقع يبعث إلى الرئيس جمال عبدالناصر بمجموعة من المطالب بينها أن يثبت تعيينه نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة، وأن يوقف التحقيقات التى تجرى لتحديد مسئولية بعض القادة السابقين».

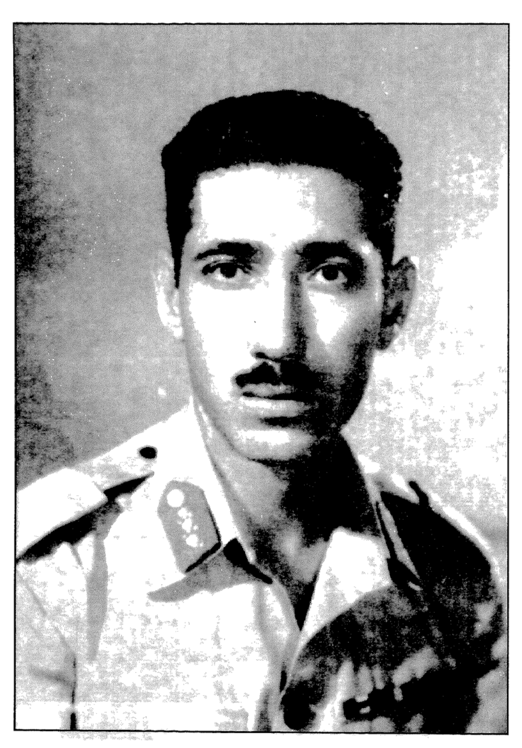
❏

انتهى البيان اللغز!! .. ولم يكن ذلك كله هو خاتمة المطاف، بل تسارعت الأحداث بشكل درامى، وفجأة اختفى «عبدالحكيم عامر» من الحياة وغادرها إلى الأبد!!

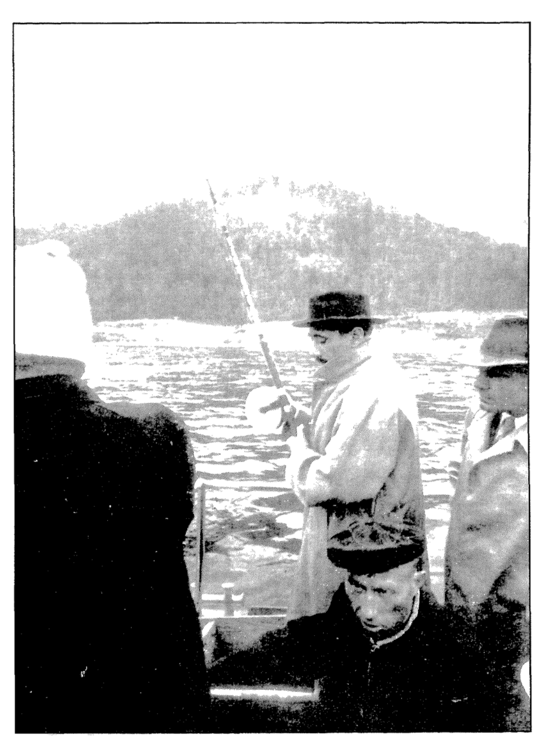
هل انتحر «المشير» كما تصر الرواية الرسمية التى يشوب بعض تفاصيلها التناقض؟! هل أغتيل كما تصر رواية أسرته وأصدقائه وبعض الحقائق التى بدأت تتكشف أخيراً، وربما ترسم صورة مغايرة تماما لما دون عن هذه الفترة ؟!

أخيرا إنها الحيرة فى تلك الصداقة القاتلة التى ربما ينجح أحد فى فك ألغازها ذات يوم قريب !!

رشاد كامل



القائد العام للقوات المسلحة المصرية



يمارس هواية الصيد فى زيارة خارجية



نظرة من شرفة الطائرة



جولة فى شوارع موسكو الباردة



خورشوف يستمتع بدفء القاهرة فى منزل المشير عامر



فى منزل الحلمية مأدبة غداء لزوجة خورشوف، وتظهر فى الصورة حرم المشير



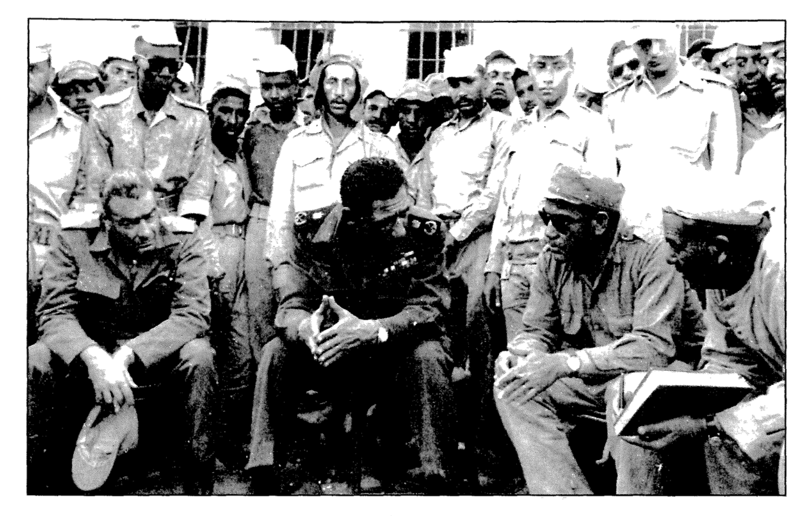
خورشوف وزوجته فى منزل المشير عامر



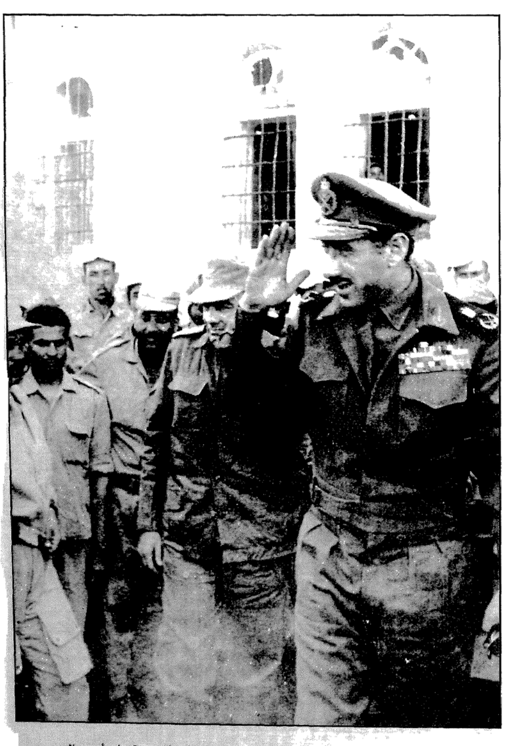
جلسة مباحثات سرية .. أقصى اليمين الفريق أنور القاضى ثم المشير السلال والمشير عامر وعبد الرحمن البيضانى



السهم يشير إلى الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن
وفى أقصى اليسار حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية اليمنى



فى اليمن المشير عامر بين الفريق أنور القاضى والفريق مرتجى



المشير عامر كان حريصًا على التواجد الدائم بين القوات المصرية على أرض اليمن



حفاوة باكستانية بالمشير عامر



مباحثات مع قادة الباكستان فى زيارة المشير





شهدت زيارة الباكستان حادث إرسال برقية المشير عامر للرئيس عبد الناصر
بطلب سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء





أشقاء المشير سعد عامر ومصطفى عامر مع داود عويس من مكتب المشير والذي كان صاحب المنشور الذي أزعج عبد الناصر جداً بعد انفصام الوحدة مع سوريا



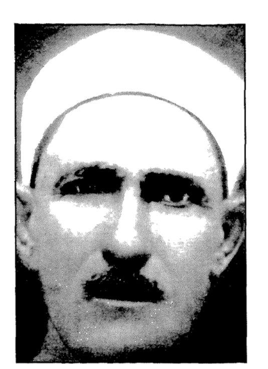
المشير عامر وقائد القوات الجوية صدقى محمود قبل نشوب العمليات العسكرية فى ١٩٦٧



المشير يعانق .. والفريق فوزى والسيد على صبرى يضحكان



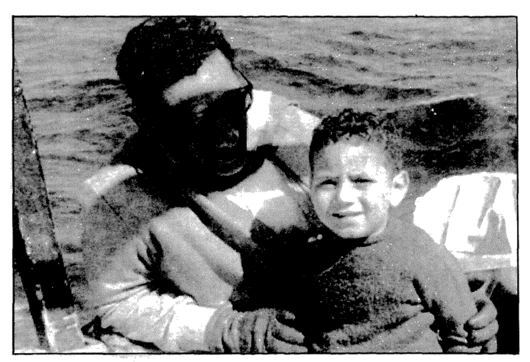
المشير عامر مع وزير الداخلية العراقى السيد صبحى عبد الحميد



والد عبد الحكيم عامر



والدة عبد الحكيم عامر



المشير عامر مع ابنه نصر



بنات المشير فى الفيللا التى كان يقتنها المشير خلال سنوات الوحدة ،
وتقع فى شارع عدنان الملكى فى دمشق بالقرب من رئاسة أركان الجيش السورى



أبناء المشير جمال ، نصر ، أمال فى منزل الحلمية



عبد الحليم حافظ فى حفل خاص لأبناء ثوار يوليو .. خالد عبد الناصر ، وأحمد حسين الشافعى يتجاوران فى الصورة

الرئيس عبد الناصر يحضر حفل زفاف نجيبة عامر إلى محمد عزب



المشير عامر بين حرمه والسيدة تحية عبدالناصر فى حفل خطوبة ابنته أمال



الرئيس عبد الناصر فى حفل خطوبة أمال عامر وبجواره فى اليسار زوجة المشير



الرئيس عبد الناصر يتلقى التهانى فى حفل خطوبة أمال عامر التى تصافح أخاها نصر



والد الرئيس عبد الناصر يهنئ أمال عامر بالخطوبة



المشير وزوجته قبل أحداث يونيو ١٩٦٧



الرئيس أنور السادات يحضر حفل زفاف سوسن عامر صغرى بنات المشير إلى السيد أحمد عبدالخالق
يظهر فى الصورة الابن صلاح عامر

حياة المشير

هذا الكتاب يحوى بين أوراقه الحياة الشخصية والعامة للمشير محمد عبدالحكيم عامر مكتوبة ومصورة ولكنها تمثل الجانب الآخر من الشخصية والأحداث والذي ظل محجوباً عمداً، ولعل سطور هذا الكتاب توضح التنقلات القدرية فى حياة المشير ومماته أيضا.. فلولا لقاء المصادفة مع زميل لما ترك كلية الزراعة ليلحق بآخر يوم للتقديم فى الكلية الحربية. ولولا لقاء المصادفة - أيضاً - مع الملازم جمال عبدالناصر في «باتانيا» بالقرب من الإسكندرية ما اقترنت حياة الرجلين حتى لقاء المحاكمة فى منزل الرئيس عبدالناصر بمنشية البكرى والذى كان مقدمة التخلص من المشير نهائياً.

ولعل الظلم البيِّن فى حياة المشير أن فُرض عليه أن يؤدى أدواراً على مسرح الأحداث غير الشخصية الإنسانية التي فطر عليها، فقد كان عبدالحكيم عامر «صاحب شخصية بسيطة، ودودة، مرحة، يقبل على الآخرين وعلى الحياة نفسها، بقلب مفتوح وبعقل مفتوح، فلا حيطة ولا حذر ولا ارتياب فى شخص، وكانت مشكلته الحقيقية مع نفسه أنه يعتقد أن الناس جميعهم مثله! فلم يكن عبدالحكيم عامر حذرا كعبدالناصر، ولا فوارا كصلاح سالم ولا غامضاً كزكريا محيى الدين، ولا ماكراً كالسادات.

وكان المشير عامر يقول عن نفسه : «أنا لا أفهم فى السياسة.. أنا أفهم فقط أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

ورغم ذلك فُرض على «الضابط» محمد عبدالحكيم عامر أن يكون سياسياً فى الجيش: بمعنى أن يقوم بتأمين الجيش لصالح الثورة أو الرئيس ويمنع انقلاباً آخر يقوم به الجيش ضد المجموعة الحاكمة من ثوار يوليو، فلقد أصبح اللواء عبدالحكيم عامر وزيراً لداخلية الجيش يرتدى البدلة العسكرية وعليه تطبيق المبدأ الذى أخذت به الثورة وهو أن الأسبقية لاستراتيجية الأمن ومن أجل الأمن يمكن التضحية بكل شيء.

ولقد كانت المأساة الأكبر فى خاتمة حياة المشير، فلقد قُتل الرجل ثلاث مرات، مرة لأنه أعلى من قيمة الصداقة وأنه آثر علاقته بصديقه «الرئيس» على نفسه وما يحب.. ولقد قُتل مرة ثانية فى عملية «دنيئة» لا يزال يحمل وزرها بعض الأحياء، ولقد كان عظم الجرم فى أنه قد تم محو «الجثة» والادعاء كذباً بأنها قد دفنت فى قرية المشير «أسطال» !

ولقد قتل المشير مرة ثالثة بأن تم الادعاء عليه بأنه قد انتحر، وتم تشويه سمعته ... ره بأنه الرجل المنفلت غير الملتزم المهزوم والذي جر الهزائم على الرئيس !

إن من الخجل أن يُلصق بالرجل ما أُلصق به.. ولكنها محنة النظام السياسـ ... ـا بمؤسسته العسكرية وسمعتها وجهاز مخابراته وأبرز قادة النظام المدنيين ... ل الحفاظ على رئيس الجمهورية. وتولت المهارة الإعلامية ترويج ذلك بشدة فى حـ ... ـه الآلة الإعلامية المشوهة قائما إلى الآن.

ولعل هذا الكتاب يُنصف بعض الذين ظُلموا وأن يعلى من قيمة الحقيقة ولو ... ـا ظننا أنه الحقيقة الأكيدة.



دار الخيَال - القاهرة - لندن